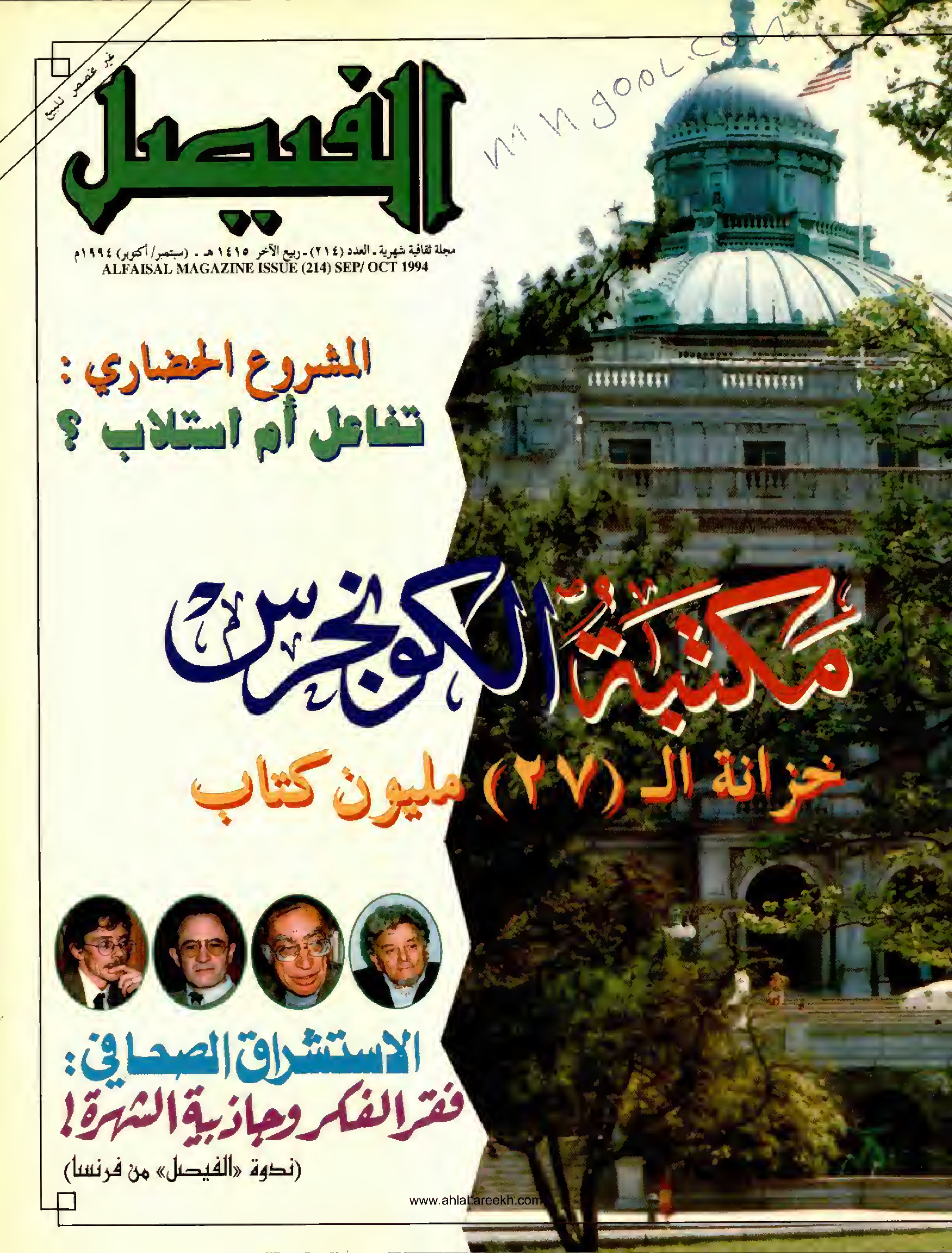

غير مخصص للبيع
الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢١٤) - ربيع الآخر ١٤١٥هـ - (سبتمبر/ أكتوبر) ١٩٩٤م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (214) SEP/ OCT 1994
المشروع الحضاري :
تفاعل أم استلاب ؟
مكتبة الكونجرس
خزانة الـ (٢٧) مليون كتاب
الاستشراق الصحافي :
فقر الفكر وجاذبية الشهرة !
(ندوة «الفيصل» من فرنسا)
www.ahlalhdeekh.com



شرح موجز القانون

لنفيس بن عوض بن حكيم الكرماني المُتوفَّى بعد سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م

أصل الكتاب هو «موجز القانون» في الطب لعلاء الدين علي بن أبي الحزم المعروف بابن النفيس المتوفى سنة ٦٨٧هـ. وهو من أشهر كتب الطب، رتبه المؤلف على أربعة فنون: الأول في قواعد أجزاء الطب العلمية والعملية. الثاني في الأدوية والأغذية المفردة والمركبة. الثالث في الأمراض المختصة بأعضاء الجسم. الرابع في الأمراض التي لا تختص بعضو دون عضو، وأسبابها وعلاماتها ومعالجتها المترجمة بترجمة المشهور في أمر المعالجات والأغذية وقوانين الاستفراغات وغيرها.

قال حاجي خليفة عنه: إنه كتاب معتبر ومفيد. وهو خير ما صنف من المختصرات والمطولات، إذ هو موجز في الصورة، لكنه كامل في الصناعة، منهاج للدراية، مجاز للذخائر النفيسة، شامل للقوانين الكلية والفوائد الجزئية، جامع لأصول المسائل العملية والعلمية. وقد نال الكتاب اهتمام الكثير من الشراح، ومن أشهر الشروح عليه هذا الشرح المنسوب لنفيس بن عوض الكرماني أحد علماء الطب في عصره، وكان طبيب السلطان أولغ بك محمد (١٣٩٣-١٤٤٩م) أمير تركستان وبلاد ما وراء النهر. والكتاب مؤرخ سنة ١٢٥٨هـ. استخدم الناسخ المداد الأحمر في كتابة النص الأصلي، والمداد الأسود في كتابة الشرح.

والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ١٢٧٣٩.

إعداد: د. عابد سليمان المشوخي

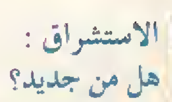
في العدد القادم:

- القيم في مواجهة الغزو الثقافي.
- المشكلات العالمية لعصرنا الحاضر.
- مراجعات علمية لآراء نقدية.



رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



الاستشراق : هل من جديد؟





انطلق الاستشراق الغربي، وبلغ أوجه في الحقبة الاستعمارية التي عانى منها العالم العربي والإسلامي.
ومع مرور الزمن وتبدل الأحوال ظهر ما يعرف الآن بالدراسات العربية والإسلامية. فهل اختلفت الغايات وتغيرت الأساليب؟ وماذا عن الرؤية الجديدة؟ «الفيصل» جمعت في باريس عددا من المستشرقين الفرنسيين للحديث عن ذلك. (ص ١١).

مكتبة الكونجرس.. أضخم خزانة معرفية!

أنشئت مكتبة الكونجرس بمرسوم من الكونجرس لشراء الكتب الضرورية لسد حاجات أعضائه، ثم صارت مع الزمن أضخم مكتبة في العالم، على الرغم من تعرضها لحريق هائل التهم أكثر كتبها. كيف صارت هذه المكتبة، التي بدأت في شقة مستأجرة، خزانة تضم ملايين الكتب والمخطوطات والمواد المعرفية الأخرى؟ (ص٧٥)

أحدث مُؤَلَّف عن المدينة يحكي تاريخها



التاريخ مسؤولية جسيمة تقتضي، ممن يتصدّى لها ، الدقة والأمانة والموضوعية. وتتضاعف هذه المسؤولية حين يكون التأريخ لمدينة شهدت أهم وأروع أحداث التاريخ وأكثرها تأثيرًا في حياة البشرية. هذه المسؤولية المضاعفة حملها مؤلف كتاب «التاريخ الشامل للمدينة المنورة»، الذي جاء في نحو ١٥٠٠ صفحة. فإلى أي حد نجح في الالتزام بمقتضيات المسؤولية؟ (ص ٩٢).

إطلالة

عبدالعزيز



في مثل هذا الشهر من كل عام تمر ذكرى عزيزة في تاريخنا المعاصر، ذلك يوم اكتمال بناء هذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» الذي أخذ موقعه على خارطة العالم كدولة متميزة في ثوابتها وقصة بنائها الحضاري.

وإذا كان مثل هذا اليوم عند غيرنا يسمى عيدًا وطنيًا تقام فيه الاحتفالات بشتى أنواعها إلى درجة قد تفوق الاحتفال بالعيدين، فإن المملكة العربية السعودية انطلاقا من عقيدتها الإسلامية تطلق على يوم بنائها وبدء نهضتها اليوم الوطني. إذ لا عيد عندها غير عيدي الفطر والأضحى المباركين، ويأتي التذكير بهذا اليوم المجيد متفقا مع ثوابتها وقيمها، ويتحدد هدفه الرئيس في تعريف الأجيال الناشئة بقصة البناء وبطلها، وما قدمه في سبيل هذا الإنجاز الفريد من صنوف التضحية والشجاعة والإخلاص، حتى يكون قدوة لهم يتحسسون خطاها، ويتمثلونها دومًا وهم يسيرون على درب العمل والتضحية من أجل الوطن وسعادته.

واليوم الوطني رمز لمسيرة طويلة بدأها الملك عبد العزيز - رحمه الله - في سبيل إعلاء كلمة الحق والدين، ونشر العدل والطمأنينة في ربوع البلاد التي مزقتها النعرات القبلية والعصبيات التي سادت في ظل عدم تطبيق الشرع الحنيف والاحتكام إليه، وغياب الفهم الصحيح لاختلاف المذاهب الفقهية وجهل الغالبية بها، مما أدى إلى التعصب الأعمى الذي بلغ إلى حد أن الصلاة الواحدة كانت تقام في بعض المساجد أكثر من مرة، حيث كان الجهلاء يتشيعون لمذاهبهم، وكان هذا التعصب الناجم عن الجهل سببًا في التفرق والتشرذم.

وقد عمقت الأطماع الدولية هذا التشرذم والعصبية والانشقاق في الدين، تحقيقا لمآرب أصحابها في التسلط على أقدس البقاع وأحبها إلى قلوب المسلمين، ومن ثم إحكام سيطرتهم على العالم الإسلامي كي يسيرونه وفق أهوائهم ومصالحهم في عالم مضطرب تتصارع فيه الأفكار، وتتضارب المصالح والأهداف.

واستطاع الملك عبد العزيز - رحمه الله - في هذا الوقت المبكر من حياته أن يستقرئ الواقع، ويقف على حقائقه، فيجعل هدف حياته تخليص أبناء وطنه مما هم عليه من فرقة وشتات، وأن يوحد بينهم تحت راية واحدة تذيب كل ما بينهم من خلاف وانشقاق، فلا يختلفون عليها أبدًا على مر الأيام والأجيال. وكانت هذه الراية هي راية التوحيد التي حملت هذه البلاد لواءه حين أشرق نور الإسلام عليها، ونزل الوحي المبين على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم في بقعة من بقاعها الطاهرة.

أي إن القائد عبد العزيز حين خطط لعمله البطولي المتمثل في استرداد الرياض - الذي يعد ملحمة تاريخية قل نظيرها في هذا القرن - لم يكن يرمي إلى مجد شخصي، ومُلْكٍ يزهو به بين الأنام، وإنما كان مرماه الأصيل أن يعيد حكم العقيدة الإسلامية الصحيحة في البلاد التي بدأ أشعاعها منها، وشرفها الله ببيته العتيق ومسجد رسوله الكريم. وقد تحقق له ما أراد، على الرغم من أن ما لديه من القدرة والسلاح والرجال وغير ذلك من الإمكانات تقل كثيرًا، بل لا توازن أبدًا مع ما لدى خصومه منها، وتلك هي إرادة الله سبحانه تحقيقًا لوعده تعالى لمن ينصره.

وكان وضوح المنهاج جليًا في أقوال الملك عبد العزيز وأفعاله كلها، لم يحد عنه أبدًا بالرغم من قسوة الظروف وشدة الأحوال. فقد جعل عقيدة التوحيد ركيزة دولته وأساس بنائها وانطلاقها الحضاري. يقول - رحمه الله - : «إن خطتي التي سرت - ولا أزال أسير عليها - هي : إقامة الشريعة الإسلامية السمحة. كما أنني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف».

وإذا كان الملك عبد العزيز قد استطاع أن يكسب إعجاب العالم - حتى أولئك الذين يناصبونه العداء - بشجاعته وجرأته التي تجلت في قصة استرداد الرياض وخطواته الثابتة في توحيد البلاد، إلا أن كثيرين كانوا يشككون في قدرته على تحقيق الآمال والطموحات المتعددة التي وعد بها شعبه وأمته، وبخاصة أنه يرفع شعار الاستقلالية والحياد في عالم ينقسم إلى معسكرين اثنين، إضافة إلى توكيده الدائم الارتكاز على دعائم الشريعة الإسلامية في بناء دولته، وكان هؤلاء المشككون يظنون أن شمس الإسلام قد أفلت - ساء ما يظنون - مع أفول شمس دولة الخلافة العثمانية، وزوال حكمها عن البلدان العربية والإسلامية التي توزعتها الدول الأوروبية الاستعمارية فيما بينها، وحَكَّمت فيها مناهجها ونظمها التي تتناقض مع شرع الله القويم، في محاولة لإذابة الشخصية الإسلامية، وتغييب الوعي الإسلامي لدى الشعوب المغلوبة على أمرها.

ولم يكن طبيعيا - والحال كذلك - أن يقف الطامعون في زلزلة دعائم الإسلام عند حدود التشكيك والفرجة، وإنما مارسوا ألاعيبهم في محاولةٍ لتحجيم جهود هذا القائد الذي يرفع شعار التوحيد متحديًا مبادئ السياسة التي ترى ضرورة إذعان الضعيف للقوي، وقد غاب عنهم - وهم يمارسون المؤامرات والضغوط - أن هناك سلاحًا أعتى وأمضى من الأسلحة المادية المعروفة كلها، ألا وهو سلاح الإيمان الذي أكسبه ثقة كبيرة في النفس جعلته يقيم علاقاته مع أكبر الدول وأقواها على أساس من النِدِّية واحترام الذات، دون أن ينبهر بما لديها من أسباب القوة ومظاهر التقدم المادي. فقد كان مبدؤه الأصيل أخذ ما يفيد وينفع من الآخرين دون أن يكون في ذلك تخليًا عن جوهر العقيدة الإسلامية، إذ يقول الملك عبدالعزيز - رحمه الله - «وأما الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام،

وذكرى توحيد الوطن

فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فاننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته»، ومن ثم كانت رؤيته لأسلوب التفاعل مع الآخرين واضحة لاتشوبها شائبة، ولاتخالطها تلك الأوهام التي صورت لكثيرين من أبناء العرب والمسلمين أن نموذج التقدم الغربي هو أكمل النماذج وأكثرها نضجًا، مما يجعل الاقتداء به واجبًا على المسلمين للخروج مما هم عليه من تخلف وركود.

فقد اتَّسمت مرحلة الملك عبد العزيز بظهور العديد من التوجهات والتيارات والمذاهب الفكرية والسياسية والاقتصادية المتباينة التي تبرر أنها طريق التقدم والمدنية، وذلك — بالطبع — وفق رؤى المروِّجين لها، وكان نصيب العالم العربي والإسلامي وافرًا من تلك الصرعات التي افتتن بها كثيرون، ونافحوا عنها بشدة، ورفعوا شعاراتها البراقة التي تدعي امتلاك مفاتيح الرخاء للأمم والشعوب.

وهكذا بدأت المذاهب الوافدة كالشيوعية والاشتراكية والقومية والليبرالية وغيرها في احتلال المنابر واعتلاء قمة السلطة في عدد من البلدان الإسلامية، وكان رأي هؤلاء أن الطرح الإسلامي لم يعد مجديًا في زمن التقدم العلمي والتقني، وكان هذا الرأي نابعًا من ربطهم بين الإسلام وغروب شمس الامبراطورية العثمانية دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة التفكير الموضوعي في الأسباب الحقيقية وراء تخلف المسلمين، وتكالب الطامعين على ديارهم.

ولكن الملك عبدالعزيز أدرك بحكمته ونفاذ بصيرته مبكرًا خطل هذا الرأي، فلم يؤخذ بالهالة الكبيرة التي أحيطت بها التيارات الفكرية التي تتباين فيما بينها، وتتفق في الوقت نفسه على عدائها للإسلام، وكان الملك عبدالعزيز كذلك على وعي تام بهذا العداء الذي يعتمل في قلوب الكارهين للإسلام، والمدافعين عنه، فيقول — رحمه الله — موضحًا هذه الحقيقة « و إني أرى كثيرًا من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلا لاتباعنا كتاب الله وسنة رسوله، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال «العصرية»، فو الله لا أغير شيئًا مما أنزل الله على لسان رسوله ولا أتبع إلا ما جاء به، وليغضب علينا من شاء وأراد». هكذا كانت رؤيته واضحة، وتصميمه موفقًا، الأمر الذي جنبه المزالق التي هوى إليها غيره ممن بهرتهم دعاوى المدنية والتحضر الكاذبة، مما مكنه من اجتياز المصاعب والمشاق، ووضع أسس البناء الحضاري لبلاده دون الالتفات إلى الآراء المغرضة التي ترى أن الفشل نتيجة حتمية تنتظره. ففي غمرة تصاعد المذاهب الفكرية التغريبية التي تهالك عليها كثيرون، وقف بمنأى عنها، يعصمه رصيده — بعد الله — من الحكمة والقراءة الواعية لصفحات التاريخ، التي تقر بأن الأمة التي تفقد أصالتها وتنفصل عن جذورها تكون قد حادت عن جادة الطريق السوي، وفقدت الأساس الذي تنبني عليه سائر المقومات السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية.

وهذا الوعي والإدراك لحقائق التاريخ جعله يصرح أكثر من مرة ويؤكد «إن التمدين الذي فيه حفظ ديننا وأعراضنا وشرفنا مرحبا به وأهلاً، وأما التمدين الذي يؤذينا في ديننا وأعراضنا وشرفنا، فوالله لن نذعن له، ولن نعمل به، ولو قطعت منا الرقاب». واليوم وبعد مضي سنوات على تصارع التيارات والاتجاهات السياسية والفكرية المتباينة في العالم، نجد أن كثيرًا منها قد تهاوى، بل وزال بعضها من الوجود، وانكشفت حقيقتها، واحترقت شعاراتها، ومن ثم انطفأ بريقها، وتراجع عنها من كانوا يحملون ألويتها، ويزايدون عليها، وتأكد للكثيرين من أبناء العرب والمسلمين الذين ساروا في ركاب الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي أن الملك عبد العزيز كان على حق حين نادى بأن الانتماء الحقيقي يجب أن يكون للإسلام وتراث الأمة الذي يزخر بالتجارب الحضارية الثرة التي تضيء طريق التقدم والرقي، فقد كان — رحمه الله — يرى أنه «لا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عزة لنا إلا بالتمسك به»، فكثيرا ما كان يؤلمه انبهار بعض أبناء المسلمين بقشور الغرب وبعض المظاهر الزائفة التي ضاق بها عقلاء الغرب أنفسهم، وكان رأيه أن هذا الانبهار مرده جهل هؤلاء المسلمين بجوهر الإسلام وتعاليمه وقيمه. إذ علق — رحمه الله — على هذه الظاهرة بقوله: «يقول كثير من المسلمين يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وأن تأخرنا ناشئ عن عدم سيرنا في هذا الطريق، وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيد ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقيدتنا وشيمتنا، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام، وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره».

وقد لفتت رؤى الملك عبد العزيز والثوابت التي أقام عليها دولته انتباه كثير من الكتاب المؤرخين، فعبر جلهم عن الإعجاب الشديد بتجربته التي اتسمت بالتفرد والتميز موازنة بالتجارب الأخرى في هذا القرن، فقد عبر الأستاذ محمد جلال كشك — رحمه الله — عن تفرد تجربة الملك عبد العزيز — رحمه الله — بقوله: «وعبد العزيز بدا ظاهرة مخالفة لقوانين التاريخ، وحده كان يطرح الحل الإسلامي وينتصر، وحده كان يرفع شعارات اعتقد البعض أنها أصبحت في ذمة التاريخ وفقدت مفعولها، فإذا بها في معسكر عبد العزيز تفعل الأعاجيب، وتثبت أنها وحدها التي استطاعت أن تحقق إنجازًا هو الذي بقي، بينما تلاشت أوهام وأحلام الذين تخلو عن الإسلام في مطلع القرن العشرين بأمل النجاة من الاسترقاق الأوربي، أو تحقيق التقدم المادي».

ولقد بنى عبد العزيز بهذه الجهود الموفقة «أول دولة عربية في العصر الحديث، تعلن دولة إسلامية.. قرآن وحديث»، كما يقول الشاعر الأمير خالد الفيصل في رائعته «أوبريت التوحيد».

ولاتزال الثوابت التي أرسى قواعدها الملك الباني عبد العزيز — رحمه الله — هي الثوابت نفسها التي تحرص عليها المملكة العربية السعودية على مر الأيام والأجيال، والتي ترمي إلى إعلاء كلمة الدين وتثبيت قيم العقيدة الإسلامية الصحيحة في النفوس. ولعل ذكرى اليوم الوطني فرصة طيبة لتمثل التضحيات الجسيمة التي قدمها الآباء والأجداد في سبيل أن ننعم بوطن وحدته عقيدة التوحيد وقيمها.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين


فرخ البطريق يختبئ في أحد الصخور

البطريق: الطائر الذي لا يطير!!

محمد أدهم السيد

بعيـدًا .. بعيدًا. هناك في جنوب الكرة الأرضية في مكان قد تَقِلُّ درجة حرارته عن ٥٠ درجة مئوية تحت الصفـر، وتعصف به الرياح البـاردة في كل أوقـات اليوم، حيث الجليد الأبيض القاسي الذي يرتفع كالجبال آلاف الأقدام عن سطح البحر، يعيش البطريق، أحد أطرف الطيور التي يمكن أن نصادفها في حياتنا أو نقرأ عنها، وحيدًا شريدًا بعيدًا من السِّباع المتوحشة، والتماسيح المرعبة، والفيلة الضخمة، والجوارح الضارية، وكل الوحوش والكائنات البرية والبحرية التي تزخر بها الأرض، والتي يتزعمها دون منافس الإنسان، بعلمه، وذكائه.

غير أن البطريق لم يعد غريبًا أو غامضًا، ولم تعد مراقبته المثيرة تتطلب السفر طويلاً، أو التعرض لكتل الجليد العائمة، ودرجات الحرارة المنخفضة، والظروف الطبيعية الصعبة التي يعيش وسطها هذا الكائن الطريف ذو الصفات العجيبة. فالبطريق موجود الآن في أكثر حدائق الحيوان المعروفة في العالم، ويزوره كل يوم الآلاف كبارًا وصغارًا، ليستمتعوا برؤيته، وهو يتمايل يمينًا ويسارًا في مشيته التقليدية الباعثة على الضحك، وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

فما الذي نعرفه حقًا عن هذا الطائر القطبي الذي كتب عليه أن يمضي حياته في ذلك المنفى البارد البعيد؟

المخلوق العجيب

تؤلف طيور البطريق رتبة مميزة في عالم الطيور تدعى بالبطريقيات السيفينيات، تضم أنواعها السبعة عشر المعروفة اليوم، والتي يختلف بعضها عن بعض من حيث الحجم والشكل، لكنها تشترك جميعا في عدم قدرتها على الطيران.

وقد كانت هذه الطيور، حتى فترة قريبة من الزمان، مجهولة تمامًا بالنسبة للإنسان، ولم تحظ بالاهتمام الذي تستحقه..

يعتقد الثقات من العلماء أن عمر هذه الطيور يعود إلى حوالي خمسين أو ستين مليون عام، وأنها ظهرت في وقت كانت فيه


بطريق يتودد إلى أحد والديه طلبا للطعام، وتبدو في الصورة إحدى بواخر السياح في ميناء (لوكروي)

الأرض تعاني من بقايا البلاء العظيم الذي يُعتقد أنه أودى ببعض أشكال الحياة على سطحها، وتسبَّب في انقراض الديناصورات، وكثير من الكائنات الحية الأخرى التي كانت تعمر وجه الأرض آنذاك.

ويرجح العلماء أن هذه الطيور كانت في البداية تقوى على الطيران والسباحة معًا، بدليل أنها لاتزال حتى اليوم تمتلك الأجنحة اللازمة لذلك، ولكن على شكل شبيه بالزعانف، لكنها بعد ذلك سرعان ما فقدت القدرة على الطيران شيئا فشيئًا، في الوقت الذي ازدادت فيه قدراتها الجسدية والفنية على السباحة في الماء، خاصة عندما حلَّت أنواعها المختلفة في المناطق المتجمدة الجنوبية واستقرت فيها، فاستراحت من أعدائها على اليابسة، وانحصرت الخطورة على حياتها في الماء فقط.

اليابسة تُفْقده قدراته

للبطريق جناحان غريبان مزودان بصفين طويلين من الريش القصيرالذي لايمكنه من الطيران، بينما يساعده على العوم، ويقوم بعمل الزعانف عند الأسماك. أما قدماه فيستخدمهما في السباحة للقيام بعملية التوجيه فقط. وتصل سرعة البطريق في الماء أحيانًا أكثر من ٣٥ كيلو مترًا في الساعة، وهي سرعة كبيرة بالموازنة مع طوله الذي يتراوح بين ٤٠ و ١٢٠سم، ووزنه الذي يزيد أحيانًا على ٤٠ كيلو جرامًا، كما في بعض أنواع البطريق (الإمبراطور).

ويحتاج البطريق إلى مثل هذه السرعة في الماء لاقتناص غذائه الرئيس الذي يقوم أساسًا على الأسماك الصغيرة والمتوسطة الحجم وحبار الاسكويد



مستعمرة من طيور البطريق «الإمبراطور» خلال فترة الإباضة والحضانة

وبراغيث البحر القشرية، وللنجاة من أعدائه الكثر تحت سطح البحر الّذين يتزعمهم دون منازع عجل البحر النمر، وأسماك القرش المفترسة، والحيتان القاتلة. وعلى أية حال، فإن حظ البطريق في الماء أوفر من حظه على اليابسة، فعندما يصل البطريق إلى اليابسة يفقد كل قدراته القتالية تقريبًا، ويتحول إلى كائن ضعيف لا يقوى على الدفاع عن نفسه وبيضه وصغاره، إلا ضد الكائنات التي تصغره حجمًا، وتقل عنه شأنًا.

يتراوح عمر البطريق ـ بإذن الله ـ إذا توافرت له أسباب الراحة بين ٢٥ و ٣٥ عامًا، ولكنه في الواقع لايبلغ هذه السنّ إلا نادرًا، وتلقى أكثر أفراده حتفها وهي في مقتبل العمر، بين أسنان أسماك القرش المفترسة، أو الحيتان القاتلة.

كائنات فضولية

رغم قواها الدفاعية الضعيفة، وقدراتها القتالية المحدودة على اليابسة أو في الماء، فإن طيور البطريق تملك من الشجاعة والإرادة ما يحفظ مجتمعها من الانقراض، حتى إنها في هذا المجال تعد من الكائنات الفضولية والمشاكسة جدًا، فكثيرًا ما تتعرض معسكرات المُستكشفين، وغزاة الجليد القطبي الجنوبي إلى زيارات متكررة تقوم بها هذه الطيور الفضولية التي يثيرها ـ دون شك ـ هياكل الخيام العجيبة، وألوانها الجذابة المتداخلة، والأصوات البشرية القادمة من داخل الخيام، والتي قلما تستمع إلى مثيلها خلال مسيرة حياتها التي تعيشها في ذلك المنفى المتجمد، ولذلك تداوم على سماعها وتحرص على زيارتها بين الحين والآخر، وبأعداد كبيرة أحيانًا.

وتعد طيور البطريق من الكائنات الاجتماعية التي ترفض الحياة وحيدة منعزلة، بعيدة من أبناء جنسها في البحر، أو على اليابسة. فهي تعيش في مجتمعات ومعسكرات يُعَدُّ أفرادها بالمئات بل الآلاف، وتحكمها قوانين جماعية صارمة، وتربط بينها علاقات اجتماعية فريدة، توفر لها سبل الراحة ورغد الحياة، وسط ذلك الجوّ المشحون بالأعاصير، والثلوج، والبرد القارس، والرياح المزمجرة، وكل ظروف الحياة الصعبة الأخرى التي تواجهها، وتدفعها إلى حافة الفناء.

في القطب الجنوبي، حيث اللون الأبيض البارد يغطي الأرض، صيفًا، وشتاء، لايكاد شيء يفوق مشاهدة هذه الطيور الوديعة، طرافةً ومتعة، وذلك في الفترة التي تمتد بين أواخر أيار (مايو) وأواخر حزيران (يونيو)، سواء بأعدادها الكبيرة، وأشكالها المضحكة خلال موسم التزاوج، أو وهي تصطف كالجنود إلى جوار بعضها بعضا بشكل متلاصق، لتجنب البرودة الشديدة، والرياح العاصفة التي تهب على القارة القطبية الجنوبية في مثل ذلك الوقت من كل عام، وهو ما يُعرف بالليل القطبي الطويل. ونتيجة لهذا التجمهر الحاشد يمكن سماع أصوات مُسْتَعْمَرَة من مُسْتَعْمَرَات البطريق من مسافة بعيدة، لأنها كائنات مشاغبة لاتتوقف عن الصياح والصراخ، وبخاصة في موسم التزاوج. ولعل ذلك يُؤَمِّن لها شيئًا من الراحة النفسية والشعور بالقوة، بالإضافة إلى أنَّ ذلك يُعد الوسيلة الوحيدة لإطلاق صفارة الخطر، والتخاطب فيما بينها.

شهر العسل

ما إن يحل شهر حزيران (يونيو) من كل عام، حتى يكون الصقيع القاتل على أشده، والظلام الحالك يسيطر تمامًا على الأراضي القطبية الجرداء، المغطاة بطبقة كثيفة من الجليد الأبيض، والسماء الرمادية تزدحم بكتل متلاصقة من الغيوم الثلجية، وتهبط درجة الحرارة إلى أقل من ٧٠ أو ٨٠ درجة مئوية تحت الصفر. في هذا الشهر تخرج طيور البطريق الفتية من المياه الدافئة نسبيًا، وتمشي بضعة أميال على امتداد الشاطئ المتجمد، قبل أن تتوقف في منطقة اعتادت الوقوف فيها كل عام، وتحط رحالها بأعدادها الكبيرة جدًا، معلنة بداية موسم التزاوج أو شهر العسل، وما إن تَمُرُّ أيام قليلة فقط، حتى تضع الإناث ـ على اختلاف أنواعها ـ بيضة، أو بيضتين أو ثلاثًا، ذات لون أبيض طباشيري ، أو بني كاشف، في حفرة مبطنة بالأحجار الملساء، أو وسط كومة من الحشائش اليابسة عند الأنواع التي تعيش بعيدًا من قلب القارةالقطبية الجنوبية، وتعزلها عن الوسط البارد المحيط بها لفترة تتراوح بين ستة وثمانية أسابيع، قبل أن تفقس، وتطل منها الفراخ البيضاء الصغيرة، التي تكون أول الأمر مغطاة بطبقة سميكة من الزغب الكثيف يقيها ـ إلى حد ما ـ البرد القارس، والرياح المزمجرة، في الوقت الذي يحمل فيه الوالدان على عاتقهما مهمة تأمين الغذاء اليومي

للصغار بالتناوب، وقوامه كميات معقولة من الأسماك الصغيرة والبراغيث القشرية، تُقَدَّم ضمن وجبات مهضومة جزئيًا.

ويتناوب الوالدان بعد ذلك حراسة أطفالهما معًا قبل أن يسقط الزغب الكثيف، ويحل محله الريش الأبيض والأسود، حيث تبدأ عندئذ الفراخ الناشئة بتعلم السباحة والصيد في الماء، قبل أن تنطلق إلى الحياة المثيرة التي ظلت تحلم بها. عند هذا الحد، ينتهي دور الأبوين.

يختلف عدد البيضات التي تضعها أنثى البطريق، ولونها، وفترة الحضانة المقررة لها من نوع إلى آخر. فبينما تضع أنثى البطريق المسمى «أبو ذقن» بيضتين أو ثلاثًا، نجد أن أنثى البطريق «الإمبراطور» تضع بيضة واحدة فقط، ذات لون أبيض طباشيري، وتحملها دون كل أنواع البطريق الأخرى على قدميها المزودتين بثنيتين من الجلد السميك، تؤمنان للبيضة الاستقراروالثبات والأمان، بينما يعمل الريش الدافئ على تغطية البيضة كليًا، ليشكل مع الجلد ستارة طبيعية رائعة تقاوم كل الظواهر الجوية القاسية: بردها، وجليدها، ورياحها الشديدة التي تزيد سرعتها أحيانًا في مثل ذلك الوقت من العام، على ١٦٠ كيلو مترًا في الساعة.

وتداوم أنثى «الإمبراطور» على هذا العمل المضني فترة تزيد أحيانًا على شهرين كاملين، تفقد خلالهما عشرة كيلوجرامات من وزنها قبل أن تفقس البيضة الغالية التي بحوزتها، ويطل منها أمل المستقبل الذي طال انتظاره، ليبدأ الصغير مسيرة حياته كغيره من أبناء جنسه، برفقة أبويه أولاً، ثم بالاعتماد على نفسه لاحقًا.

أنواع البطريق

قديمًا، لم يكن معروفًا بدقة عدد أنواع البطريق، وأماكن تواجدها. ولكننا اليوم نعرف أن هناك أكثر من سبعة عشر نوعًا من البطريق، تتفق مع بعضها بعضا في أمور كثيرة، وتختلف في اللون والحجم.

ولعل البطريق «الإمبراطور» من أكثرأنواع البطريق انتشارًا وشهرة في القارة القطبية المتجمدة. ويعيش هذا النوع عادة في المناطق الداخلية، في جماعات كبيرة تعد بالآلاف، ويصل طول البطريق «الامبراطور» إلى أكثر من ١٢٠ سنتيمترًا، ويصل وزنه



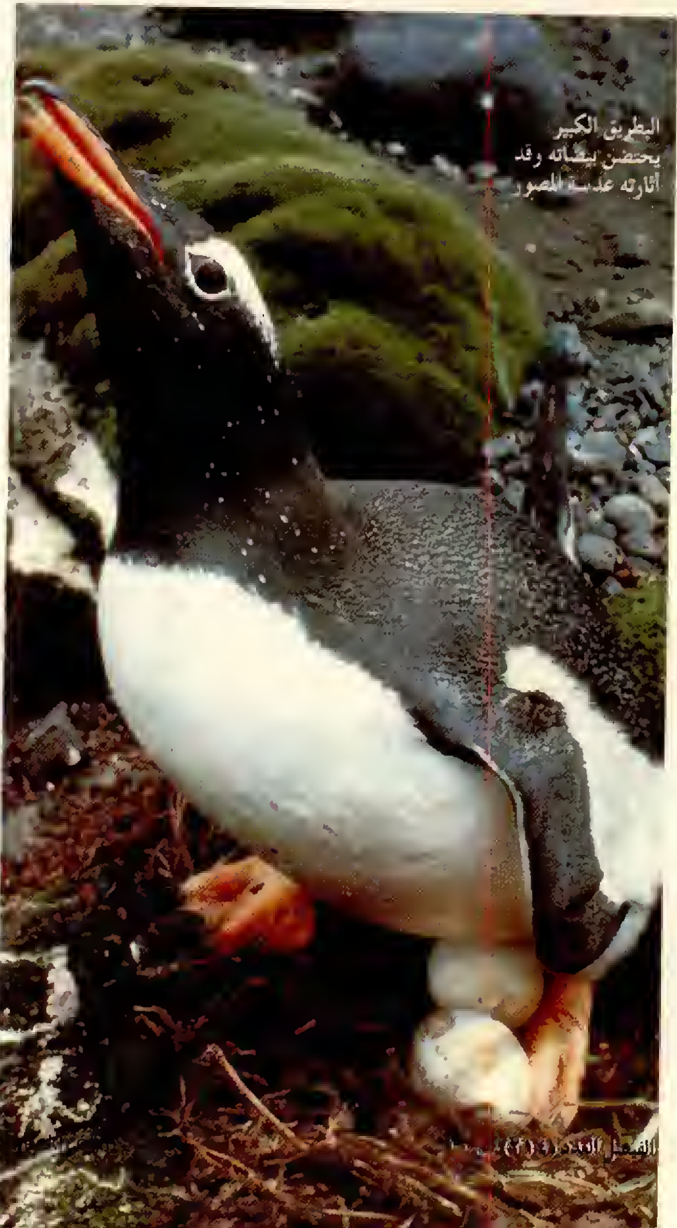
بطريق يستمتع بالماء عند الشاطئ



بطريق «روك هوبر» يتميز بوجود ريش في أعلى الرأس، ولايتجاوز طوله ٦١سم، موطنه شمال القارة المتجمدة.



مجموعة من طيور البطريق تقف على الجليد الآخذ في الذوبان



البطريق الكبير يحتضن بيضاته وقد أثارته عدسة المصور

أحيانًا إلى ٤٥ كيلو جرامًا.

ويمكن أن نعدّ هذا الطائر الوديع بِبُقَعِه الذهبية والبرتقالية وألوانه البيضاء والسوداء من أجمل أنواع طيور البطريق على الإطلاق. ويشبه إلى حد كبير طائر البطريق «الملك» الذي يتسم بالصفات نفسها تقريبًا. وكلاهما يحمل بيضاته على قدميه أينما ذهب، ولا يلجأ إلى بناء عُشٍّ يضع فيه بيضته الوحيدة إلا نادرًا.

أما البطريق «جاكاس»، فهو أكثر أنواع البطريق قربًا واتصالاً بالإنسان ، إذ يشاهد بوفرة في حدائق الحيوان المنتشرة في كل أنحاء العالم تقريبا، نظرًا لقدرته المثيرة على التكيف مع درجات الحرارة العالية والمتوسطة التي تشبه إلى حد كبير الأجواء الحقيقية التي يعيش وسطها هذا الكائن. وهو في الواقع لايقطن المناطق المتجمدة الجنوبية، بل ينتشر بوفرة على السواحل الجنوبية للقارة الأفريقية، والقارة الأمريكية الجنوبية، وفي بعض الأحيان قد يصل شمالاً حتى ناتال في البرازيل.

ويتراوح طول هذا النوع من البطريق بين ٧٠ و ٩٠ سنتيمترًا ووزنه بين (٣٠ ـ ٤٠) كيلو جرامًا.

وأهم مايميز أفراد البطريق «جاكاس» البقع السوداء الصغيرة التي تزين مساحات واسعة من جسمه الأبيض، وبيضاته البرتقالية الجميلة التي تُستخدم كوجبات غذائية دسمة في الدول التي يعيش على أراضيها هذا الطائر الجميل.

ومن أنواع البطريق الأخرى المشهورة البطريق المسمى «أبو ذقن» نسبة للخط الرفيع الأسود الذي يطوق رأسه الصغير، ويبدو كشريط القبعة. ولايزيد طول هذا النوع من البطريق على المتر الواحد ، بينما يتراوح وزنه بين (٣٠ ـ ٤٠) كيلو جراما. وينتشر في المناطق المتجمدة الجنوبية فقط، وبخاصة في الأراضي التي تمتد حتى جنوبي جيورجيا، حيث تعيش أفراده جنبًا إلى جنب مع طيور البطريق الأخرى المسماة بآديليا، التي تنتمي إلى النوع نفسه. ومن أنواع البطريق أيضًا الطائر المسمى «البطريق الكبير»، الذي ينتشر بكثرة جنوبي نيوزيلندا. وهو خلافًا لما يمكن أن نتصوره عند سماع اسمه المثير، يعد من أنواع البطريق الصغيرة، حيث لايزيد طوله على ٥٠ سنتيمترًا، ولايزيد وزنه على ١٥ كيلوجرامًا.

المراجع

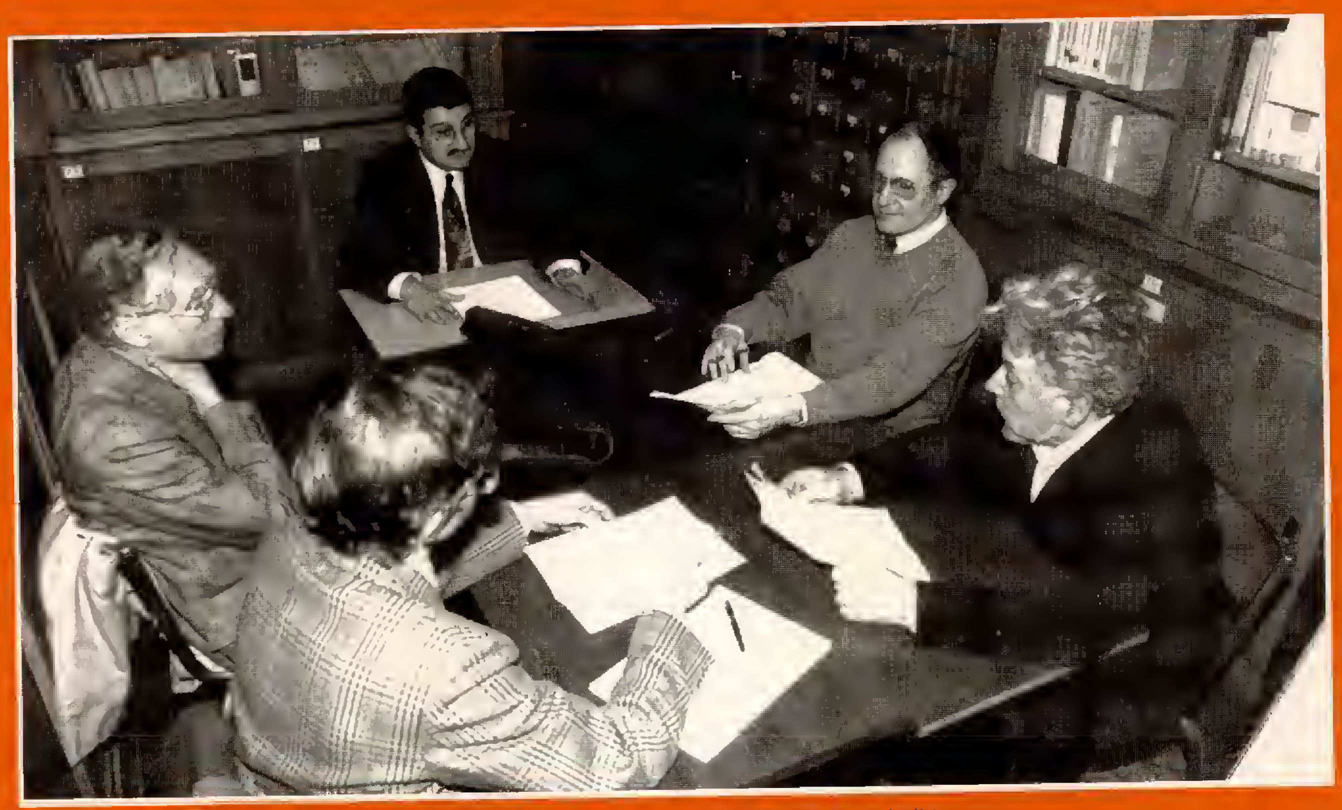
- NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE, MAY, 1984.

- THE ANIMAL KINGDOM, BY: A WORLD OF KNOWLEDGE
- LE FIGARO .

ندوة الفيصل الفكرية في فرنسا

الدراسات العربية ـ الإسلامية
الواقع والتطلعات

إعداد : ج. ساسين



ندوة الدراسات العربية ـ الإسلامية في باريس كانون الثاني / يناير ١٩٩٤م

تحتل الدراسات العربية ـ الإسلامية مساحة واسعة من الاهتمام في العالم، وبخاصة في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، ويتبدى هذا الاهتمام في وجود عدد كبير من المعاهد والمراكز المتخصصة، سواءٌ أكانت أقسامًا أم فروعًا في الجامعات، أم مستقلة عنها.

وإذا كان هناك ارتباط وثيق بين الاستشراق ـ الذي تلازم مع الأطماع الاستعمارية ـ وبدء الدراسة المنظمة لكل ما يتعلق بالعرب والمسلمين من أمور وأحوال، وعلوم ومعارف، فإن الاتجاه الحالي للدراسات العربية والإسلامية يتفق ـ

ندوة الفيصل الفكرية فى فرنسا

الدراسات العربية ـ الإسلامية : الواقع والتطلعات

بالطبع ـ ومتغيرات الواقع التاريخية والسياسية والاقتصادية والتقنية أيضًا. وحيث لا مناص من التعامل مع هذا الواقع بكل تداخلاته وعلاقاته المتشابكة، فإن علينا التعمق في فهم العوامل التي تُسَيِّره وتتحكم فيه، حتى يكون المردود إيجابيًا، وتكون علاقاتنا مع الآخر قائمة على فهم وإدراك عميقين، بعيدًا عن الإفراط والتفريط.

وتُعَدُّ فرنسا مركزًا مهما لتلك الدراسات، وقد دارت وتدور تساؤلات كثيرة عن مرامي هذا الاهتمام الفرنسي، فهناك من يربطه بالعلاقات التاريخية مع الشرق الإسلامي، التي تعود إلى عصر إمبراطوريتها الاستعمارية، وهناك من يرى أن هناك تباينًا واختلافًا في المنطلقات والأهداف عما كان في ذلك العصر، ولكن ثمة اتفاقًا على أن الدراسات العربية ـ الإسلامية في فرنسا لها أهميتها التي لاتغفل، ولا سيما في عالم تعلو فيه الأصوات الداعية إلى حوار حضاري بين الشرق والغرب، يزيل أسباب سوء الفهم، ويقارب الشقة بينهما.

واستشعارًا من «الفيصل» لهذه الأهمية، فقد عقدت ندوة فكرية حول هذا الموضوع، شارك فيها عدد من أساتذة الجامعات الفرنسيين، ممن لهم باع طويل في هذا المجال، وهم :الأستاذ **جان ـ بول شارنيه** مدير وحدة الأبحاث في مركز البحوث الوطنية الفرنسية والأستاذ في جامعة السوربون الرابعة، والأستاذ **جيلبير دولانو** مدير القسم العربي في معهد اللغات الشرقية في باريس، والأستاذ **ريمي براغ** أستاذ الفلسفة في جامعة السوربون الأولى، والأستاذ **لوك دوفالس** أستاذ التاريخ واللغة العربية في جامعة السوربون الرابعة.

وتركزت محاور هذه الندوة حول إطار الدراسات العربية والإسلامية حاليا في فرنسا، ومدى اختلافها في الرؤى عن الاستشراق التقليدي، ودورالباحثين في التصدي للآراء غير الموضوعية المتعلقة بالعرب والمسلمين، وحدود تأثير وسائل الإعلام في هذا الصدد، كما تناولت الندوة مستقبل الدراسات العربية ـ الإسلامية في المراكز الجامعية، وكذلك في المدارس الثانوية، إضافة إلى ما هو مطلوب لإنصاف العرب، وإبراز ما قدموه من إسهام في مسيرة الحضارة الإنسانية، حتى تتبدل الصورة الذهنية السيئة المطبوعة عنهم في أذهان الغربيين.

في البداية نفى الأستاذ جيلبير دولانو وجود اتجاه فرنسي في الدراسات العربية ـ الإسلامية يختلف عن المدارس والاتجاهات الألمانية أو الإنجليزية أو الأمريكية في هذا المضمار، واستبعد وجود تصور بيروقراطي أو مشروع رسمي يؤطر تلك الدراسات ويوجهها، فالأمر في رأيه لايزيد على وجود مجموعة من الباحثين من مختلف المشارب والاختصاصات لها اهتمام بدراسة العالم العربي والإسلامي، وما يمكن قوله في هذا المقام هو أن لكل اختصاص مَدَارِسَهُ واتجاهاته.

ويتفق معه الأستاذ جان ـ بول شارنيه في هذا الرأي، مؤكدًا أن البواعث الذاتية لها دور في تحديد وجهة الباحثين للتخصص في الدراسات العربية ـ الإسلامية، فهو ـ شخصيا ـ لو لم يعش عشرين عامًا من حياته في الجزائر، ما كان ليهتم بالعرب والمسلمين، فتجربته الحياتية كانت سببًا مباشرًا أدى به إلى البحث والتخصص في هذا المجال.

إن كلمة «مشروع» ـ من وجهة نظره ـ، ذات صبغة بيروقراطية، وهي غير موجودة في الوقت الحالي، ولا شك أن الباحثين يرفضون أن تُملي السلطة عليهم أي مشروع بيروقراطي مستقبلاً.

ويخشى شارنيه أن يضع العرب مفهومي «مشروع» و«هدف» الدراسات العربية ـ الإسلامية في إطار ما يُسمَّى بالاستشراق بمعانيه التقليدية التي تخطاها الزمن. وفي ختام تعليقه على هذه النقطة يتساءل عما إذا كان المقصود بكلمة «مشروع» إعادة محاكمة مدارس الاستشراق القديمة، وإخضاع الدراسات الحالية لـلمحاكمة ذاتها؟ وفي اعتقاده أنه إذا كان ذلك ما يدور في خُلد بعضهم ، فإنهم يخطئون خطأ جسيما.

ويجاري الأستاذ لوك دوفالس زملاءه في نفيهم لوجود مدرسة واحدة أو مشروع أوحد للدراسات العربية - الإسلامية في فرنسا، واقترح استعمال كلمة «مشروعات» بدلا من «مشروع»، لأن هذه الدراسات تندرج في إطار اختصاصات متنوعة، تتعدد إشكالياتها وطرائق بحثها ووسائله.

ويدعم الأستاذ ريمي براغ ما طرحه زملاؤه بالاستشهاد من واقع تجربته الذاتية، إذ يقول: أنا أعد نفسي من خارج مدرسة «الدراسات العربية - الإسلامية»، لأنني لم أتلق دروسي - كما هي العادة - في المعاهد والجامعات المختصة بالدراسات الشرقية، وإنما جاء اهتمامي بالدراسات العربية - الإسلامية نتيجة لاهتمامي بالفلسفة اليونانية.

وفي رأيي أن الباحثين يقود خطاهم في هذا المجال أحد العوامل الآتية: الاهتمام العام بالتاريخ، أو التعلق بالآداب الحديثة، أو التطلع للتعرف على الآخر. أما مفهوم «مشروع» أو «مشروعات» فيتناسب مع الأحزاب وجماعات الضغط.

وعن الارتباط بين الاستشراق والدراسات الحديثة، ومدى التغير في الرؤى بينهما، يقول الأستاذ دولانو:

إن الاستشراق - كما هو معروف - نشأ في الدولتين الاستعماريتين السابقتين (فرنسا وبريطانيا) على قاعدة علم «الفيلولوجيا»، أي دراسة النصوص الدينية والتاريخية والأدبية، وكان عدد المستشرقين قليلاً، ولم يكن هناك تخصص دقيق. أما الآن، وفي ظل التطور الإنساني الذي انتظم مجالات الحياة كافة، لا يوجد من يستطيع الادعاء بمعرفة كل شيء عن العالم العربي بتعقيداته وتداخلاته، لذا نجد اليوم تعدد التخصصات، فهناك المؤرخ وعالم الاجتماع والاقتصاد وعالم اللغة والفلسفة وغيرهم، فالدراسات العربية - الإسلامية الآن أكثر تخصصًا وتحديدًا من ذي قبل.

ويوافق الأستاذ شارنيه على هذا الرأي، ويضيف موضحًا: بإمكاننا أن نقول إن ترجمة فلان لمخطوطة قديمة كانت سيئة، لأنه جاء من يصححها، لكن هذا لا يعني إنكار الإسهام الذي أضافه هذا المجدّ للمعرفة الإنسانية، سواء أكان هذا الإسهام قليلاً أم كثيرًا.

وهذا المثال ينطبق تمامًا على الاستشراق، فالواجب يقتضي ألا ننكر الجانب الإيجابي منه. وفي اعتقادي أن تطور المناهج البحثية أسهم في إغناء الدراسات والبحوث حول الثقافات والحضارات والمجتمعات، ومن بينها المجتمع العربي والإسلامي، ومن ثم فإن هناك اختلافًا بين منطلقات الماضي والحاضر.


البروفسور جيلبير دولانو


البروفسور جان بول شارنيه

الاستشراق الصحافي

ويشير شارنيه إلى أن الحاضر يتسم بظاهرة أطلق عليها «الاستشراق الصحافي»، فيقول مفسرًا تلك الظاهرة:

إن وسائل الإعلام الفرنسية، في إطار بحثها عن الإثارة التي تجذب المتلقي، تقوم بإبراز أشخاص تتسم أبحاثهم بالطابع التجاري المتحرر من الجدية والصرامة العلمية والمنهجية، الذي يرمي إلى الانتشار السريع، ويميل إلى السطحية والغلوّ في الأحكام، وفي الوقت نفسه تتجاهل تلك الوسائل الأبحاث الجادة والموضوعية التي تستغرق من باحثيها سنوات طويلة من الدراسة والتنقيب.

وهذا «الاستشراق الصحافي» يتوهج مع الأيام، بينما تُطمس معالم الاتجاهات الجديدة في العلوم العربية - الإسلامية التي بدأت في التشكل منذ أواخر الستينيات.

ويؤكد الأستاذ دوفالس أنه لا وجود لمدرسة فرنسية ذات اتجاه محدد في الدراسات العربية - الإسلامية، كما أنه لا وجود الآن للمستشرقين، بل هناك مجالات اختصاص متعددة لها مناهجها ووسائلها المختلفة. وهو يشاطر شارنيه الرأي في أن هناك كتبًا تجد الدعاية والرواج الإعلامي برغم ما تحويه من أخطاء منهجية وعلمية فادحة، وهذه الكتب ترتفع أرقام مبيعاتها بشكل مذهل.

ويتساءل الأستاذ دوفالس قائلاً: هل هذه ظاهرة تميز عصرنا اليوم؟ ويتولى هو بنفسه الإجابة، فيقول:

ندوة الفيصل الفكرية في فرنسا

الدراسات العربية ـ الإسلامية : الواقع والتطلعات

إن الإثارة صارت سمة لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وتبدو هذه السمة واضحة في طريقة عرضها للأخبار، إذ يتركز العرض على العناصر التي تحقق لها الإثارة ، وانجذاب الجمهور إليها، دون أن تهتم بتقديم معلومات تشرح القضايا الجوهرية للمشاهد والمستمع، وتعينه على التعمق في فهم أبعاد الخبر وانعكاساته.

ومن الظواهر اللافتة للانتباه أن وسائل الإعلام تستعين بعدد محدود من الاختصاصيين للإدلاء برأيهم في كل شاردة وواردة، وهؤلاء تتاح لهم فرص الإدلاء

على العرب أن يبادروا بتقديم أنفسهم للآخرين

بآرائهم حتى في تلك الميادين التي تبعد عن مجالات تخصصهم، وهذا لاشك يعد اعوجاجا في المسار الإعلامي يتطلب من العلماء والباحثين والدارسين القيام بمبادرة ما لإصلاحه.

وعن الأسباب الكامنة وراء محدودية تأثير الباحثين الفرنسيين المهتمين بتوضيح الحقائق الموضوعية المتعلقة بالعرب والمسلمين، بيّن البروفسور شارنيه أن هؤلاء الباحثين لايُدعون إلى عرض تحليلاتهم وإبداء آرائهم في وسائل الإعلام المؤثرة، وكل ما هنالك أن إذاعة فرنسا الثقافية قد تستضيفهم، لكن أثناء الليل! (قالها بسخرية). ثم تساءل عن جدوى تخصيص مقالة نقدية في مجلة متخصصة لا تدخل في نطاق اهتمامات العامة، فتأثيرها لن يتعدى دائرة الاختصاصيين الذين ـ لاشك ـ لديهم قناعاتهم المسبقة؛ وكذلك فإن الكتب التي تصدر في هذا الشأن تبقى في نطاق هذه الدائرة الضيقة.

وتتملك الحيرة البروفسور شارنيه إزاء هذا الوضع، فيقول: إننا ـ حقيقة ـ لا نعرف كيف يمكن أن نبادر إلى مقاومة هذه الذهنية المريضة ـ المنتشرة إعلاميا ـ التي تدّعي معرفة كل شيء عن الشرق والغرب على حد سواء. كما أننا لا نعرف السبيل الذي يجب أن تسلكه الدراسات والبحوث الجادة حتى تجد التناول الإعلامي المبرز لقيمتها، والموضح لحقائق الأشياء.

ويواصل شارنيه تعليقه حول السطوة الإعلامية لدى بعض أصحاب الاتجاهات غير الجادة في مجال البحث العلمي فيقول:

عودة إلى ما طُرِحَ عن المدرسة والمشروع أرى أنه لو كنا ـ أقصد المهتمين بالدراسات العربية والإسلامية ـ نجحنا في تشكيل مدرسة واحدة ذات مشروع محدد، كان في إمكاننا وضع إستراتيجية معينة لمقاومة هذه الآفة. والحكم النهائي لشارنيه: إن الأمر ـ حقًا ـ شديد التعقيد !

ويذهب بنا الأستاذ براغ بعيداً ـ بعض الشيء ـ عن الإعلام وتأثيره، فيطرح في نقاط قصصية بعض الملاحظات التي يراها مهمة، والتي تتعلق بالاستشراق في الماضي والحاضر، فيقول:

أولاً: ثمة انفجار حدث في ميادين العلوم والمعارف في هذا العصر، فقد تجاوزنا عصر ليوناردو دافنشي، وهذا ما لا يمكن التأسف عليه.

ثانيا: إذا كان الاستشراق يُقصد به الدراسات المتعمقة التي أتاحت لنا المجال لفهم الآخر، والتي قدمت لنا نصوصا ذات أهمية كبيرة ، فأنا ـ بكل صراحة ـ أتأسف على غيابه كثيراً.

ثالثا: اعتقد أن الواجب يقتضي من الشرقيين أن يتعمقوا في دراسة مجتمعاتهم، وتقديمها للآخرين ، ففي ظني أن تقديم الشرقيين لمجتمعاتهم بعقلية بحثية تتعمق في دراسة العوامل السياسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية المحيطة بها يلغي دور المستشرقين، ويجعله عديم الجدوى.

وحول التأثير الإعلامي في اتجاهات المتلقين ـ مرة أخرى ـ يشير البروفسور دولانو إلى أن من الصعب على الباحث الرد على كل شاردة وواردة تنشرها وسائل الإعلام، مما يقتضي من القراء ضرورة التمييز بين الطالح والصالح ، فلا يعمد إلى تصديق كل ما يكتب في الخارج، ولو كان مطبوعًا على ورق فاخر مصقول. وهو يرى أن الثقافة التقليدية قادرة على إنتاج حس نقدي يميز الغث من السمين.

وفي سؤال محدد وُجِّهَ للأستاذ دوفالس عما إذا كانت الدراسات العربية ـ الإسلامية في فرنسا تتمتع بالإمكانات والوسائل نفسها التي تتمتع بها اللغات والحضارات الأخرى في مجال التعليم الجامعي، أجاب بقوله:

لا أظن أن هناك جامعة واحدة يمكنها الادعاء بأنها تُدَرِّس اللغة والحضارة والثقافة العربية من الألف إلى الياء، أو بأن لديها كل

الإمكانات لذلك. كما أُقرُ بأن هناك تفاوتًا في الإمكانات المتاحة، لا نستطيع معه الزعم بأن كل اللغات والحضارات تلقى الاهتمام نفسه في جامعاتنا. وما نملكه نحن هو توضيح أسباب هذا التفاوت، ولتكن الموازنة في ذلك بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية. واقع الموازنة يوضح أن اللغة الإنجليزية تُدَرَّس في كل الجامعات، وأنها تحظى بإمكانات أكبر، بحيث لا يمكن موازنتها بأي لغة أخرى. وتفسير هذا الواقع ببساطة يكمن في أن الكثرة الساحقة من طلاب الجامعات قد درسوا هذه اللغة لسنوات عدة قبل التحاقهم بالجامعة، ومن ثم فالاستعداد لتعلمها أكبر، بينما اللغة العربية لا تُدرس إلا في المستوى الجامعي، ودراستها تنحصر في أولئك الراغبين فيها، وهؤلاء لا نستطيع إلا أن نُدرِّسهم المبادئ الأساسية لقواعد اللغة العربية لمدة أربع سنوات، مما يؤهلهم لمتابعة أبحاثهم في مجال الدراسات العربية ـ الإسلامية مستقبلاً. وقد يحتاج هؤلاء إلى دورات تدريبية في مدن عربية كالقاهرة أو دمشق أو تونس لاستكمال ما تعلموه في فرنسا، وهذه الدورات عوَّضت كثيرا نقص الإمكانات والوسائل التي تعاني منها الجامعة.

وتناول الأستاذ دولانو ظاهرة انتشار المراكز الجامعية المتخصصة في تعليم اللغة العربية وعلومها (كانت تسعة مراكز في العام ١٩٦٨م ووصلت الآن إلى ثلاثة وعشرين مركزًا)، وما لها من إيجابيات وسلبيات من وجهة نظره، فقال:

إن العشوائية في إنشاء هذه المراكز عقب فوز الحزب الاشتراكي في انتخابات عام ١٩٨١م أخافتنا كثيراً، لذا فقد قمت أنا وجمال الدين بن شيخ وبرونو هالف وآخرون بإنشاء اللجنة الجامعية التي تضم مدرسي اللغة العربية.

الأستاذ ريمي براغ

الأستاذ لوك دو فالس

وفي رأيي أننا حين ننشئ مركزًا لتعليم اللغة العربية علينا أن نحدد الهدف منه، أهو لتعليم العامة، أم لتأهيل متخصصين في هذه اللغة والدراسات المتعلقة بها؟ فالفارق كبير بين الغرضين، فالأول ليس بحاجة إلى إمكانات كبيرة، كما أن افتتاح فصول يكفي لتحقيقه، بينما الثاني يحتاج إلى رصد ميزانية كبيرة، وأساتذة متخصصين في مختلف الميادين المتعلقة بالدراسات العربية ـ الإسلامية، ومكتبة ضخمة تضم المؤلفات المتخصصة. أما أن يكون هناك فرع جامعي يقوم بالتدريس فيه أستاذ محاضر أو أستاذ مساعد من أجل تعليم اللغة فقط، فهذا ما أعارضه بشدة. فنحن ينبغي علينا أن ندرك أن عصر العقول الموسوعية الملمة بمختلف الفنون والعلوم قد ولّى، وأن الشائع الآن هو التخصص الدقيق في فرع من فروع العلم، فيجب أن يكون هناك أساتذة متخصصون في العلوم العربية ـ الإسلامية المختلفة للتدريس في الجامعات.

أما الأستاذ دوفالس فَيدقُّ ناقوس الخطر، إذ يوضح أن غياب سياسة واضحة لتطوير تعليم اللغة العربية يهدد مستقبل الفروع العربية الموجودة في المدن المتوسطة.

ويشير إلى أن هناك اختلافًا وتباينًا في مناهج تعليم اللغة العربية ووسائله في فرنسا من مركز لآخر، فعلى سبيل المثال تقوم جامعة باريس الرابعة في المرحلة الأولى بتدريس اللغة العربية الحديثة المتداولة في الصحافة باعتبارها مدخلاً للتعمق في دراسة اللغة العربية الفصحى أو مفتاحًا لفهم اللهجة العربية المحلية، بينما تتبع جامعات أخرى أسلوبًا عكسيًا، أي انهم يبدؤون بتعليم اللهجة المحلية أولاً، ليتخذوها مدخلاً لتعليم اللغة الفصحى. ولكن رغم كل مايوجه من نقد وتحذير، فإن الأستاذ دوفالس يرى أن جميع الأوربيين يحسدون الفرنسيين على مستوى مراكزهم التعليمية التي تقدم ـ على حد قوله ـ خدمات جليلة للباحثين.

وطرحنا سؤالا عن مستقبل تدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية الفرنسية، وبخاصة أنه كان هناك إقبال متزايد على تعلمها في بداية السبعينيات، بينما انحسر هذا الإقبال في الوقت الراهن. وقد تولّى الإجابة الأستاذ لوك دوفالس، حيث أوضح أن اللغة العربية حين تَقَرَّر تدريسها في المدارس الثانوية في

ندوة الفيصل الفكرية في فرنسا

الدراسات العربية - الإسلامية : الواقع والتطلعات

السبعينيات، لم تُؤمّن لها الوسائل والإمكانات اللازمة، كما أن الرؤية المستقبلية لتطوير تدريسها كانت غائبة تماما ، مما أدى إلى فشل أولئك الذين أقبلوا على دراستها، وهذا جعل مديري المدارس الثانوية يوجهون هؤلاء الطلاب الراسبين للتخصص في الفروع التقنية التي لا مكان فيها للغة العربية.

وكذلك أقر دوفالس بأن جميع اللغات - حتى الأوروبية منها - تعاني من منافسة الإنجليزية، بحيث يمكن وصف وضع اللغات الأوروبية الأخرى بأنه صعب للغاية، أما اللغات الأخرى غير الأوربية فإنها في وضع يشبه الكارثة.

وأشار دوفالس إلى اللامركزية التي يتسم بها النظام التعليمي في فرنسا، والتي تتيح لمديري المدارس تحديد المناهج والمقررات وتكييفها مع حجم الميزانية المقررة لهم، مما يفسح لهم الحرية لافتتاح صفوف جديدة واختيار نوعية العلوم واللغات، فكانت اللغة العربية ولغات أخرى كالبرتغالية من ضحايا هذا النظام؛ إذ إن مديري المدارس في ظل محدودية الميزانية المقررة لهم يلغون تدريسها، مفضلين اللغة الانجليزية عليها. وهذا ما وضع المهاجرين العرب والبرتغاليين وغيرَهم من الذين يعيشون أوضاعا اجتماعية واقتصادية صعبة في موقف حرج. إن مسؤولي بعض المراكز التعليمية قد حوّلوا أبناء هؤلاء إلى مدارس أخرى ، حفاظا على سمعة مدارسهم فهؤلاء يريدون توظيف الميزانية المحدودة المقررة لهم في مواد يرونها ضرورية لطلابهم.

ولكن يحذر دوفالس من التعميم، ويشير إلى أن هناك مديرين كثيرين يحرصون على إقرار تدريس هاتين اللغتين (العربية والبرتغالية) برغم ما يواجهونه من مصاعب مادية.

ويبين الأستاذ شارنيه جانبًا آخر يتعلق بإقبال الطلاب على تعلم اللغة العربية أو البرتغالية، فيقول:

إن الطلاب الذين يودون تعلم اللغة العربية أو البرتغالية ينظرون إلى الأمر نظرة اقتصادية ومستقبلية، فهم يتساءلون عما إذا كان تعلمهم لهذه اللغة أو تلك سيعينهم على الحصول على فرصة عمل أو لا، وعلى الإجابة يبني قرارهم.

أثرنا قضية الانعكاس السلبي لهذه الظاهرة على صورة العرب والمسلمين في أذهان الغربيين، بالتجني على الإسهام الحضاري لهم، ومحاولة طمس الجانب الثقافي والعلمي المضيء الذي قدموه. تولى الإجابة حول هذه القضية الأستاذ شارنيه، حيث قال :

لن أتكلم هنا عن رأي المواطنين الفرنسيين العاديين، ولكن أعتقد أن علماء الغرب ، ومنذ قرون مضت، اعترفوا بفضل ثقافة العرب وعلومهم على الحضارة الأوربية، وأخص بالذكر منهم هيردر وميشليه، وهو ما



وفي رأي الأستاذ دولانو أن الحكومة يمكنها التدخل في هذه القضية، لأن المصلحة الوطنية تقتضي ذلك. فليس من المنطق - إطلاقا - تطبيق نظرية العرض والطلب، أو بالأحرى اقتصاد السوق على هذه العلوم.

وعودة إلى ظاهرة «الاستشراق الصحافي» تعلّمه في جامعتنا. ويستطرد شارنيه قائلا:

اسمحوا لي هنا أن أشير إلى رأي سمعته في بعض الأوساط الجامعية العربية، يقول بأن العرب ماداموا قد أسهموا في أوجه الحضارة الغربية في العصر الوسيط، فمن حقهم «استعادة» جميع ما توصلت إليه تلك الحضارة الآن. هذا القول يدفعني إلى إجراء

موازنة سريعة على النحو الآتي: استعدنا، من جهة، مرحلة الاستشراق التقليدي في القرن الماضي وعهود الاستقلال، وما تبعها من تحرير نظرتنا التاريخية من وطأة الاستعمار، ومحاولاتنا الجادة باتجاه تكوين أدوات تحليلية جديدة، ومن جهة أخرى إذا أخذنا بعين الاعتبار هذه المطالبة العربية، نجد أننا مدعوون إلى التصرف باتزان وتعقل لمعرفة الميادين التي أسهمت فيها الحضارة العربية - الإسلامية، والميادين التي لم تسهم فيها، حتى نضع الأمور في نصابها الصحيح، ويكون تقويمنا للإسهام الحضاري العربي الإسلامي موضوعيًا ومنصفًا.

إن محاولة بعض العلماء الغربيين تغييب الدِّين الذي في أعناقنا للعالم العربي حقيقة لا يمكن نفيها، ولكن علينا أن نأخذ في الحسبان أن العصر الوسيط بكامله كان عرضة للنسيان. وأرى أن الأفضل أن تتم دراسة هذا التجاهل وتفحصه في كل دولة أوربية على حدة. وبالتركيز على فرنسا، فإن تغييب ما قدمه العرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وطمسه ناتج من أن العصر الوسيط بكامله قد غاب عن برنامج التعليم الفرنسي. ومن جهة ثانية، فإن المطالبة بتعويض تاريخي للعرب ينبئ عن خطأ في تحديد مفهوم الثقافة، فاعتقادي أن الثقافة ليست شيئا أو سلعة يمكن أخذه عنوة أو استرداده واسترجاعه.

ولقد أصدرت كتابا منذ سنتين حول هذا الموضوع، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن الثقافة يمكن تمثلها وهضمها عبر الجهد الشخصي الذي نبذله من خلال الترجمة أو التأليف. فالثقافة - في رأيي - لا تنحدر من أصل واحد، وفي هذا الخصوص قد يبادر بعضنا إلى القول: إن خمسين في المائة من ماورائيات توما الأكويني تعود إلى ابن سينا، وقد يقول آخرون إن خمسين في المائة من علم الكلام يعود إلى يوحنا الدمشقي أو جان فيللبون، وهما بدورهما أخذا عن السابقين لهما، وهكذا دواليك، مما يعني أن الثقافة عملية تأثير وتأثر لا تنتهي.

وأدعو الجميع إلى التيقظ والحذر في معالجة الماضي الذهبي، لأن إبراز هذا الماضي قد يكون مفيدًا وإيجابيًا ومدعاة للفخر في الخارج، بينما قد ينعكس سلبيًا في الداخل. فأنْ تتذكر أوربا الحالية - على الرغم من عدم نسيان العديد من علمائها السابقين لهذه المسألة - مكانة بغداد في القرن التاسع الميلادي وموازنتها بباريس - التي لم تكن أكثر من مزرعة - في تلك المرحلة، يدفعها إلى التواضع وعدم المكابرة، بينما طرح هذه الموازنة في العالم العربي قد يدعو إلى الحسرة والألم.

في الواقع إننا نجري عملية التمييز هذه بكل تعقل وحكمة وموضوعية في حلقات البحث الجامعية، ولكن علينا أن نبذل جهدًا لكي تكون إسهامات العرب واضحة للرأي العام.

ويرى الأستاذ براغ أن هناك ملاحظات منهجية مهمة لابد من طرحها، فيقول:

ويلقي الأستاذ براغ المسؤولية على العرب، فيقول:

إن العرب - من وجهة نظري - مطالبون بأن يدرسوا ماضيهم العريق، وعليهم تقع مسؤولية توضيح ما استعارته أوربا من الحضارة العربية والإسلامية. وهذا يطرح قضية البحث الجاد، ويبرر تساؤلي حول نسبة المتخصصين فعلا في فلسفة ابن رشد - على سبيل المثال - الذين يمكنهم إجراء موازنات بينه وبين الفلاسفة الأوربيين في العصر الوسيط لمعرفة مدى التأثر والتأثير.

ويوجه براغ حديثه إلى العرب فيقول:

لاتتركونا نجاهد وحدنا لننقل إليكم ماضيكم عبر لعبة انعكاس المرآة.

هذه الدعوة دفعتنا إلى توجيه سؤال محدد عن سبل تقديم صورة أكثر موضوعية للعرب

ندوة الفيصل الفكرية في فرنسا

الدراسات العربية - الإسلامية : الواقع والتطلعات

والمسلمين في ذهن الرأي العام الغربي، في ظل عجز الخطاب الأكاديمي في جعل الصورة أكثر إيجابية. وقد أجاب على هذا السؤال - الذي كان ختامًا للندوة - جميع الأساتذة المشاركين، كان أولهم الأستاذ لوك دوفالس الذي قال :

اسمحوا لي هنا بإجراء مقارنة مع وضعية التنجيم وعلم الفلك. فالمواطن العادي يهوى قراءة حظه ومعرفة طالعه، لكنه في الوقت نفسه لا يهتم أبدًا بالتعمق في معرفة علم المجرات أو الفلك، ذلك لأسباب لا يمكن حصرها. بالقدر نفسه فان ثمة أوهامًا في كل ثقافة يتم تناقلها، من دون أن ينجح رجال العلم والثقافة في محاربتها وتصحيحها، فالمواطن العادي يستهويه التبسيط الشديد للعلوم والمعارف، بينما لا استعداد لديه لتلقي خطاب هؤلاء المثقفين المعقد جدا حسب مفهومه.

أما عن صورة الآخر وانعكاساتها، فأعتقد أن رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للروائي السوداني الطيب صالح تُعبِّر تعبيرًا واضحا عن هذه القضية. إن الانسان - بدافع البحث عن هويته - يحاول رؤية نفسه من خلال الصورة التي يمثله الآخر فيها، بغض النظر عن مدى دقة مطابقة تلك الصورة للواقع.

أما السؤال الحقيقي فهو في رأيي: هل توجد صورة وحيدة أو صور متعددة للعربي والمسلم؟ ويجيب بنفسه على سؤاله ، فيقول: بالطبع ثمة صور متنوعة، لكن ما يجب إدراكه أولاً هو تأثير الكم الهائل من الأخبار المثيرة التي تُبث عن العالم العربي، والتي تُهمِّش - غالبا - أي معلومات موضوعية حول الثقافة والحضارة العربيتين. ثانيا: علينا ألا نسقط من حساباتنا مسألة غاية في الأهمية، وهي تأثيرصورة العربي والمسلم في عملية اندماج المُنْحدرين من أصل عربي في المجتمع الفرنسي، وهنا أقر بوجود بعض المغرضين الذين يحاولون منع هذا الاندماج، بالترويج لصورة غير صادقة عن العرب. ثالثا: أعتقد أن صورة العربي تكونت في وعي المواطن الفرنسي منذ عقود طويلة مضت ، وقد قُدِّمت بطريقة خيالية عبر «ألف ليلة وليلة» ، وقصة «علاء الدين والمصباح السحري»، وأدت إلى تصورات خاطئة، لكنها غير سلبية، وهذا أمر مهم يجب الانتباه إليه.

ويبدي الأستاذ ريمي براغ بعض الملاحظات حول السؤال المطروح، قائلاً :

إذا افترضنا أن صورة العربي والمسلم سلبية، أعتقد أنها لا تأخذ مكانًا محوريا، بل هامشيا في تاريخ الثقافة الأوربية، لأن هذه الثقافة تتميز بوجود مصلحة غير مغرضة وهي نزيهة في علاقتها مع الآخر. إذ ثمة فكرة محورية مفادها أن من يبدو لنا متوحشًا قد يكون الرجل الصالح، ومن نهزمه عسكريا ونستغله اقتصاديًا، قد يكون الرجل العادل (تذكروا فكرة المتوحش الصالح والعادل لمونتاني)، ومن يكون خَصْمُنا قد يكون الرجل النبيل (صورة صلاح الدين الأيوبي)، وأميل إلى أن صورة هذا القائد كانت إيجابية في أوروبا والعالم العربي على حد سواء. ومتابعة لما قاله زميلي لوك دوفالس حول تأثير الخطاب الأكاديمي في التصورات الموجودة في وعي الرأي العام، أوضِّح بأن الخطاب الأكاديمي ليس إيجابيًا، بل هو حيادي، فأكثر ما يمكن أن يؤدي إليه الوعي المعرفي الأكاديمي أو العلمي، هو التعاطف الصادق والمتسامح والمنزه عن الأغراض .

ويرى الأستاذ شارنيه أن المعرفة يقابلها الشك، ومن ثم لا يمكن أن يقوم الباحث بدور المحامي، لأنه إذا قام بهذا الدور على الرغم من الشك، فإنه سيكون قد سار في الطريق الأسهل لتشويه صورته.

ويقول شارنيه موضحًا رأيه:

هنا أرغب في رواية موقف تعرضت له شخصيًا، فحين أصدرت كتابي حول علم الاجتماع الإسلامي، شاركت يومًا في ندوة علمية تمحورت حول علم الاجتماع الديني، وأثناء المناقشة حاولت تصحيح خطأ ارتكبه أحد العلماء الفرنسيين يتعلق بفكرة إسلامية ، ففوجئت ببعض العلماء ممن لهم سمعة علمية طيبة يرمونني بتهمة الصداقة للعرب.

ويعلق الأستاذ دولانو قائلا :

إن صداقة العرب أو عداوتهم ليست هي المسألة، لأن هذه التهمة قد تكون وراءها أسباب عديدة. ولهذا أرغب في العودة إلى ما قاله الأستاذ براغ، حيث إنني أوافقه تمامًا على ما قاله، في أن الوعي المعرفي يتشكل عبر التعرف، والتعرض للمكونات الثقافية للآخر، وهذا يمكن أن يبدأ بالإعجاب بشعر أحد الشعراء، ثم يتدرج إلى معرفة عادات وتقاليد شعبه في الغناء والرقص والأكل ... إلخ. ومن ناحية أخرى فإن هذا الوعي المعرفي لا يعني أن نؤدي دور المدافع الأعمى عن الحماقات التي تُرتكب هنا أو هناك .

ويختم الأستاذ دولانو تعليقه بتوجيه اللوم إلى نفسه فيقول:

أعترف أنني قصرت شخصيًا في مجال التعريف بالعرب والمسلمين وتبسيط علومهم ومعارفهم. وأتمنى أن أعالج هذا «التقصير» إذ ما سنحت لي الظروف، وأتيح لي الوقت اللازم لذلك ، فإنني بسبب مسؤولياتي لم أستطع التوفيق بين التدريس والتأليف كما وفق في ذلك زملاء كثيرون.

الصهيونية
وتدمير اليهود القرّائين

د. حسن ظاظا

يمثل اليهود القرّاؤون مشكلة لاتزال قائمة أمام الصهيونية إلى الآن، وإن كانت قد تم تدميرها تقريبا، وقد يكون ذلك إلى حين. فالصهاينة يهود ربّانيّون، أي يطيعون (الربّي) طاعة عمياء، ويأخذون شرائعهم ونظمهم وأخلاقياتهم من الشروح والتأويلات والاجتهادات التي سجلها لهم شيوخهم على نصوص العهد القديم (توراة موسى، وأسفار الأنبياء، والمأثورات الحكمية)، وكذلك (المشْنا)؛ وهي شرائع في العبادات والمعاملات والجنايات، وصلت إليهم بالرواية الشفهية دون سند متصل السلسلة إلى موسى أو هارون أو مَنْ تعاقب بعدهما من الأنبياء في بني إسرائيل. والنسخة التي يتداولها اليهود الربانيون الآن تعود إلى (ربّي) من أواخر القرن الثاني بعد ميلاد المسيح اسمه (يهوذا). ومن الشائع عند اليهود ممارسة رقابة ـ عنصرية دائما ـ يستبيحون فيها (حذف) ما يشاؤون من النصوص الدينية. ولأمر ما ـ من أمر الله تعالى ـ بقيت معظم هذه النصوص تقاوم الزمن، وتستعصي على الإخفاء! وإلى جانب (العهد القديم) بقيت هذه النصوص التي دمغوها بأنها (غير قانونية)، باسم (الأبوكريفا)، ولقيت (المشنا) المعاملة نفسها، فأخرج الربّي يهوذا من نصوصها ما شاء، وصار هذا الجزء المطرود يسمى عندهم (البرَّايتا) أي الخارجة البرّانية. وتتكون المشنا من ستة كتب أو أجزاء، ولغتها عبرية وسطى، أي تشبه لغة التوراة إلى حد ما وتجنح نحو تطورات عامية في صيغها، إذا قورنت بألفاظ العهد القديم. أما مستواها في البلاغة فلا يداني أساليب العهد القديم من قريب أو بعيد، لدرجة أنه توجد مؤلفات خاصة لقواعد النحو العبري وخصائص الأسلوب في المشنا وحدها. والتلمود ـ ويسمي الجمارا أيضا، أي الإتمام والتكميل ـ هو تفسير للمشنا، وهو مستودع المعلومات الدينية والدنيوية ـ والغيبية أيضا ـ وكل ما يتقنه الخيال المستسلم للهواجس والوساوس والخرافات والخزعبلات المخترعة المسروقة من أمم أخرى. ولغة التلمود ليست عبرية، بل آرامية ـ كانوا يسمونها سريانية ـ وهي وثيقة لاتقبل الشك في أن اللغة العبرية كانت ـ منذ عهد المشنا ـ قد ماتت وراحت في خبر كان وماعاد أحد يستخدمها.

والتلمود ثرثار، وعلى الرغم من ادعائه أنه يشرح المشنا، فإنه من الضخامة بحيث يساويها عشرات الأضعاف، ربما أربعين أو خمسين ضعفًا، لأنه يناقش الشريعة في كل جزئية صغيرة، ويسوق المستحيل من الاحتمالات، وفي كل خطوة يتحف القارئ بطوفان من الحكايات والطرائف والمسامرات والخرافات، بحيث جرى أساتذة التلمود على أن يتكلموا عنه (من الناحية الشرعية) مرة، ثم (من الناحية القصصية) مرة أخرى. وتعوَّد الباحثون على تسمية رواة المشنا (تنّائيم) وأحبار التلمود (أمورائيم). وقد اكتسبت المشنا والتلمود عند اليهود الربانيين منزلة من التقديس تكاد تفوق العهد القديم، على الأقل لأن المشنا والتلمود أضخم منه بعشرات المرات، وليس ذلك من سلوك المتسوق الأبله، الذي يفضل الضخامة والكثرة على النوعية والجودة، بل لأن العهد القديم دخل ضمن المقدسات الشرعية المسيحية، تمامًا مثل روايات الإنجيل ورسائل الحواريين والدعاة. ولأن التلمود نما وترعرع خارج المجتمع المسيحي ـ وبالتحديد عند اليهود المكروهين من المسيح وقومه، في قديم الزمان على الأقل ـ، فإن كهنة اليهود جعلوه مستودعهم السرّي لكل الافتراءات التي يزخرفونها عن المسيح، والحمد لله أن التلمود قد انتهى جمعًا وتأليفا قبل الإسلام، وإن كان حديثه عن العرب المعاصرين له لايخلو من همزات ولمزات عنصرية، خصوصا في خرافاتهم عن يوسف وزُليخا، وعن سليمان وملكة سبأ، وعن سارة وهاجر، وأيضا ـ وعلى الأخص ـ عن الفلسطينيين! وكذلك أخذ الفرس واليونان نصيبهم من السباب والإهانة، حتى كانت نسخ التلمود تُجمع في العصور الوسطى، ويتم إحراقها في حفلات صاخبة في المجتمعات المسيحية. وبعد اختراع الطباعة غيّر شيوخ اليهود الرّبانيين أسماء أمم يخشون بأسها، ووضعوا مكانها أسماءً ما أنزل الله بها من سلطان ، خشية وقوع نسخة مطبوعة في يد واحد من أعدائهم، فيتخذ منها

الصهيونية
وتدمير اليهود القرّائين

دليلا على الحقد الدفين الذي يأكل قلوب اليهود ضد أمم الأرض. في هذه العصور الوسطى - وفي الشرق الإسلامي - ظهر مذهب القرّائين، الذين يرفضون المشنا والتلمود، وينكرون الداعي إلى الرجوع إليهما، ويؤكدون أن شريعة موسى متضمنة في التوراة ، وأن من جاء بعد موسى من الأنبياء والحكماء والكهنة في كتب الأنبياء وكتب الحكمة، قد ألقوا على شرائعها من الأضواء ما يعين على حلّ مشكلاتها. ثم إنها (أي العهد القديم كله) النسخة الوحيدة التي (نقرأها) في العبادة والصلاة، ونسميها بالعبرية (المقراء) أي الكتاب (المقروء) الجدير وحده بالتلاوة، ولهذا أخذوا اسم (القرّائين). وقصة صراعهم الرهيب ضد الربانيين، التي استمرت ما يقرب من ألف سنة، لم تخمد إلا بعد قيام الدولة الصهيونية في فلسطين، التي أنشأها يهود عنصريون متعصبون.. ربّانيون . فكان لابد من تآمر نشيط للإجهاز على القرائين.

ومن المفيد هنا أن نتذكر أن اختلاف اليهود بعضهم مع بعض لم يكن بالأمر الجديد، عند ظهور طائفة القرّائين في ظل الإسلام، ومع قيام الدولة العبّاسية، بل كان ظاهرة ملازمة لهم، ربما منذ أيام موسى نفسه، فأخبار الثورة عليه تطالعنا في نصوص التوراة التي بين أيديهم الآن، وعدّ منها الباحثون ستة واضحة، ظنوا أن الأخيرة منها انتهت باغتيال موسى وهارون، اللذين لايُعرف لهما قبر إلى يومنا هذا، مع أننا نعرف قبور إبراهيم وسارة ويعقوب وراحيل وداود وورثته من ملوك بني إسرائيل والكثير من أنبيائهم. والظاهر أن الخلاف كان يدّب في المجتمع الإسرائيلي مع الأزمات، ولذلك اشتد جدًا بعد وقوع اليهود في فلسطين تحت الحكم اليوناني أولاً، خصوصا في القرنين السابقين لميلاد المسيح، ثم تحت الحكم الروماني مع مولد المسيح. عرفنا من فرقهم الفريزيين، وهم كهنة الدين اليهودي التقليدي، والوحيدون المتحكمون في الهيكل بأورشليم القدس. وقامت ضدهم فرق كثيرة جدا، اشتهر منها الصَدُوقيون(نسبة إلى مؤسسها «صدوق» الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد). والقنّاؤون (أي الغيورون وذوو الحميّة) وكان الاغتيال أهم وسائلهم في التخلص من المخالفين لهم، والإبيونيّون (أي الفقراء) والآسيّون أو الأسينيون (أي الأطباء)، والمعمدانيون (أي أصحاب الغطاس في الماء للتطهر) وهم الأصل في ظهور الصَابئة، وأخير - وليس آخراً - المسيحانيون (الذين يولون عناية خاصة لحساب الزمن الذي يأتي فيه المسيح المخلّص). وكان شغل الفريزيين الشاغل هو النيل من تلك الجماعات، واعتقال رؤسائهم، والحكم بصَلْبهم، وكان المسيح عيسى بن مريم من المتهمين بالمروق والكفر، ولم يكن أولهم ولا آخرهم. وكلّ هذه الفرق والمذاهب كانت لها فلسفات وشرائع وطقوس وعبادات تخرج عن مألوف الفريزيين على نحو يقلّ ويكثر، ولكنها جميعها كانت (كافرة) في شرع الهيئة الدينية الحارسة للدين الرسمي، والهيكل. حتى طائفة اليهود الأسينيين (الأطباء أو الأساة)، على الرغم من مسالمتها واشتغالها بمعالجة أمراض الأجسام، لخروجهم عن ذلك إلى معالجة أمراض الأرواح والمعتقدات. وقد ثبت من حفائر تمت في منطقة أريحا - في موضع اسمه قُمْرَان قديمًا، وعين فشخة حديثًا - أنهم هربوا من وجه الفريزيين في القدس، خوفًا من القتل، وأقاموا في هذا المكان، في انتظار قليل من الأمن، يعودون فيه إلى نشاطهم العادي، وكانوا يكتبون تراثهم الديني في لفائف من الجلد عُثر على أكثرها، واشتهرت في العالم كله باسم (لفائف البحر الميت)، التي بدأ العثور عليها قبيل قيام الدولة الصهيونية في النصف الثاني من العام ١٩٤٠م، واستمر ذلك إلى ما بعد العام ١٩٦٠م من القرن الحالي، ويبدو أن هذه الطائفة لم تكن تؤمن بالمشنا أو بالتلمود، إذ لا أثر لهما في آثارها، بل كانوا يؤمنون بالتوراة وبعدد من أنبياء بني إسرائيل، في مقدمتهم إشعيا، وكانت لهم تفاسير خاصة لبعض أسفار الأنبياء، فمثلا، يستفاد من تفسير لهم على سفر نبي اسمه (حَبَقُوق) أن زعيم هذه الطائفة كان قد قُبض عليه وعُذّب وصُلب. كما عُثر على اللائحة الداخلية لتنظيم الطائفة، فعرفنا أن رئيسهم كان يُسمى (معلّم الحق) وأن اجتماعاتهم كانت تسير على نظام دقيق في الاستماع والمحاورة والمناقشة، وربما ظهر أثر الديانة المجوسية في نصّ صوفي من نصوصهم عنوانه (حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام)، فزعم المعلقون على هذا النص المطوّل أن الثنويه المجوسية - أهورا مازدا إله النور، وأهريمان إله الظلام - تركت بصماتها في عقائدهم.

أردتُ بكل هذا أن أشير إلى حوادث ومذاهب قديمة تبيّن أن ظهور القرّائين في ظل الإسلام لم يكن مفاجأة في التاريخ الديني لليهود، حتى يكون وصولنا إلى المذهب القرّائي منطقيًا. وإن كان الخوض في بدايات القرائين محفوفا بخطر تسرّب افتراءات اليهود الربيين إليها، كدأبهم في محاربة مخالفيهم بالكذب والتشويه وكذلك الخلط بين القرائين وفرقة أخرى ظهرت تحت حكم الخليفة عبدالملك بن مروان الأموي، الذي تولى الخلافة من ٦٨٥ إلى ٧٠٥ ميلادية. في ذاك الوقت قام رجل من يهود العجم اسمه (أبو عسى الأصفهاني) وكان اسمه اليهودي (عُوبَادْيا) فادّعى النبوه، ضمن من ادعوها في ذلك الوقت، وزعم أن الله اختاره لسلخ فلسطين من حيز الإسلام، وإعادة ملك داود وسليمان فيها. ومات هذا الرجل، فخلفه يهودي إيراني آخر اسمه (يُودجان)، وادعى النبوة هو أيضا، ثم زعم أنه المسيح المنتظر، وأن مهمته هي تخليص اليهود من التبعية لحكام آخرين، وأنه بعد النصر سيعود مرة أخرى.. إلى السماء! فعُني به اليهود وتبعوه وأطلقوا عليه لقب (الراعي)، لا (الداعي) كما جاء في كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني. وقد ذكر الشهرستاني أن اسمه العبري «يهوذا» وأنه من همدان، ولقّبه اليهودي الأندلسي إبراهيم بن عزرا باسم «يهوذا الفارسي». ومن

طائفة «اليودجانية» ظهرت شعبة تسمى «الموشكانية» تزعم أن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حق من الله، وللناس كافة، ماعدا اليهود! ثم شعبة أخرى هي «الشادجانية»، كان شيخهم يهودي إيراني اسمه «يافث بن علي». وهي فرق باطنية تنضح تعاليمها ببقايا عبادة النجوم البابلية، وبعض الأسرار المجوسية، ثم شيء من الانحلال وعدم الالتزام بتأثير المزدكية على مذهب الشادجانية. وهكذا تبقى العقلية اليهودية هشة وسريعة التقبل لأية عقيدة كُفر تتسرب إليها، منذ عبادة العجل في أيام موسى إلى أيام الشادجانية وما بعدها، وإلى مالا نهاية. وأصيبت هذه الحركات اليهودية الإيرانية بكارثة ماحقة، إذ كان أبو مُسلم الخراساني يقوّض ما بقي من سلطة بني أمية معتمدا على شعوبية إيرانية هائجة مائجة، تمقت اليهود ولاتريد أن تترك لهم أية فرصة ليرفعوا رؤوسهم في النظام الجديد، الذي قام وتوطدّ في حمامات من الدم، يتزعمها أبو مسلم في إيران، وسيده أمير المؤمنين أبو العباس السفّاح في بغداد، فانطفأت نار اليهود، ولم تنطفئ نارالمجوس! إلى أن تولى الخلافة أبو جعفر المنصور، فأعاد إلى الدولة الإسلامية بعض ما كانت قد فقدته من نظام وانضباط، باستثناء فرق المتكلمين المسلمين من سُنّة وشيعة وخوارج ومعتزلة ومرجئة وجهمية وزنادقة، وما ينضوى تحت كل هذا من شُعب وفروع.

كانت اليهودية التقليدية قد دخلت، في ظل الإسلام، في عصر ازدهار، هو عصر الشيوخ أو العلماء (الجأونيم) والجأون عندهم معناه في اللغة «الموقّر، المعظّم» وصار لقبًا لكل واحد من علمائهم البارزين في الشريعة. وكانت لهم أكاديميتان في العراق منذ عهد التلمود البابلي: إحداهما في (سوره)، بالقرب من بغداد، والثانية في (فُومبديتا) أو عانة، القريبة من الموصل. وكان لكل من هذين المركزين العلميين رئيس يحمل لقب جاءون، ويسمى أيضا (رأس المثيبة) أي شيخ الجامعة. أما الرئيس العام الرسمي لجميع اليهود في العالم الإسلامي فكان يسمى (رأس الجالوت) أي رئيس الجالية. وفي عام ٧٦١ ميلادية توفي «سليمان جَأوُن» رأس الجالوت، فتقدم ابن أخيه ـ عَنَّان بن داود ـ لشغل المنصب. ولكن شيخ أكاديمية (سوره) الضرير «يهودائي جاءون»، وكذلك الجأون دَرْدَائي، شيخ فومبديتا عَارَضَا في توليته بشبهة أنه «متحرر» أكثر مما يجب في اجتهاداته، وفضّلا عليه أخاه الأصغر حَنَانْيا. واندلعت فتنة بين اليهود: فريق يؤيدون عَنَّان وآخرون يؤيدون حَنَانْيا، ووصل أمر هذه القلاقل إلى مسامع أبي جعفر المنصور، فاعتمد إرادة الشيخين رئيسي الأكاديمية، وأمر بوضع عنان بن داود في السجن. ويذكر «ماكس مارجوليس» هو و«الكسندر ماركس» في كتابهما «تاريخ الشعب اليهودي» ص ٢٤٤ من الطبعة الفرنسية، أن عنان وجد في السجن شخصية أحبها جدا، هي الإمام أبو حنيفة النعمان، فقيه المسلمين. وقد نصحه أبو حنيفة ـ عند التحقيق معه ـ أن يقول إن له مذهبًا آخر يختلف عن شيوخ اليهود، ويقترب من الإسلام، فيرى المسؤولون أن اليهودي أيضا يمكن أن يكون له مذهب مخالف، مادام الإسلام مليئًا بالمذاهب المختلفة! هذا ادعاء الربّانيين للتشغيب على القرّائين، وعلى الإسلام في آن واحد، خصوصا بعد أن خرج عنان من سجنه، وبحث عن أشنع طريقة للانتقام من الربّانيين، فألغى المشنا والتلمود، وعدّهما من الكتب الضالّة المضلّلة، وأبدل قداستهما دناسة! على أية حال مازال لقاء عنان بن داود بالإمام أبي حنيفة في السجن موضع شك من الباحثين، وقد يكون من نصحه واحدا من المتكلمين المتطرفين.

اختلاف اليهود فيما بينهم ليس بالأمر الجديد، بل كان ظاهرة ملازمة لهم منذ أيام موسى

لم يطلق عنان على اتباعه اسم القرائين، بل أطلقه عليهم أحد خلفائه بعد موته، وهو (بنيامين النهاوندي). وظل أتباع هذا المذهب قليلي العدد في إيران، ولكنهم، بالعكس، وجدوا أعدادًا كبيرة من اليهود المناصرين لهم في فلسطين وسورية ومصر في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين. وكان على رأس هذه الحركة (دانيال القومسي) الذي كتب إلى كل البلاد التي يسكنها عدد من القرائين أن يرسلوا خمسة مندوبين من كل جالية للإقامة بفلسطين، وأعلن اليهود الربانيون تكفير القرّائين، واختلفوا في حالة توبة واحد منهم، هل تقبل توبته؟ وأجاب المتزمتون بالرفض، وبوجوب قتله، في حين قال المتسامحون بإمكان قبوله على أن يكون «غريبا متهوّدا» لايتولى القضاء ولا الإفتاء ولا القيادة العسكرية، ولايتزوج من يهودية لاويّة (أي من قبيلة موسى وهارون وسائر الكهنة)، كما وسمهم الربانيون بأسماء وأوصاف عدوانية مثل: الصدوقيين (وهي الفرقة القديمة التي كانت لاتؤمن إلا بالعهد القديم فقط) والكفار أو الزنادقة (يينيمْ) بالعبرية، والأبيقوريين (نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور، الذي شاع عنه أنه من أنصار الإباحية). وحرموا الزواج منهم، وأوصوا شيوخ المعابد بلعنهم على المنابر، والتحذير من خطرهم. ولم يقصّر القرّاؤون في الرد على خصومهم، فإنهم درسوا التلمود وتبحروا فيه، لكشف الربانيين، وتفكيرهم المظلم، ومن أشهر كتب القرائين في الموضوع كتاب «الفضائح» لابن سافويه. ومن كبار علمائهم في القرن العاشر الميلادي، أبو سليمان داود بن إبراهيم الفاسي المقيم بالفسطاط في القاهرة، وقد ألف معجما لعبرية العهد القديم مشروحا بالعربية، اسمه «جامع الألفاظ»، وهو كتاب كبير تم نشره في فلادلفيا بالولايات المتحدة، في مجلدين ضخمين، مع مقدمة وتحقيقات من المستشرق الأمريكي اليهودي البروفيسور سالومون سكوس. وفي القرن العاشر الميلادي أيضا تزعم الفكر القرائي يعقوب القِرقِساني،

الصهيونية

وتدمير اليهود القرّائين

وداود بن بُوعَـزْ الذي يلقبـونه بالـرئيس. ومن مشاهير علمـائهم سهل بن مصلح، ويوسف بن إبراهيم الراعي، ويشـوع بن يهوذا، الذي شـجع على نشر المذهب القرائي في بلاد الروم، فأرسل اثنين من تلاميذه هما «طوبيا بن موسى»المترجم، واشـتـهـر بجـدله العـدائي للـربّانيين، و «يهـوذا هاداسي»، مؤلف كـتاب «صُرّة العطْر» بالعبرية الذي جـمع فـيـه أقـوى أقـوال أئـمة المذهب، والربانيـون يصفـونه سـاخـرين بأنه «تلـمـود القرائـين»، ومن أشهر أولئك الأئمة سليمان بن يُرحَامْ، الذي عـرف بتـشـدده في الدفـاع عن المذهب، ويوسف البصير.

ويـتضح أثر المتكلمين والفـقـهـاء المسلمين في مناهج القرائين، حتى بعد أن انتشر مذهبهم في الإمبراطورية البيـزنطية (بلاد الروم) وفي روسيا، وبين يهـود بلاد البلطيق وخـاصة ليـتوانيـا، وفي بولندا ورومـانيا ويوغـسلافيا (سـابقا) وبلغـاريا وبلاد المغرب العربي.

ولم يكن المذهب الـقرائي قـائمـا على رفض المرويات الشفهية (المشنا والتلمود) فحسب، بل كان نظامًا متكاملاً له معتقداته وشرائعه وأوامره ونواهيـه، لخـصهـا شـيـخهم إلـياهو باشـيـاجي (المتوفى عـام ١٤٩٠ ميلادية) في عشـرة أصول هي:

١ـ اعتقـاد أن الكون مخلوق ، ٢ـ أنه لابدّ له من خـالق أزليّ أبديّ ، ٣ـ أن هذا الخالق واحـد أحد، مـجـرّد عن الجـسـد ، ٤ـ الايمان بعظمـة الرسالة الموسـوية، ٥ـ كمـال التوراة واسـتغناؤها بذاتهـا، ٦ـ لغتهـا العـبـرية لابد من تعلّمهـا، ٧ـ الإيمان بنبـوّة الأنبـيـاء بعـد مـوسى، ٨ـ الإيمان بالبعـث والنشـور والآخرة، ٩ـ الإيمان بـالقضـاء والقدر، ١٠ـ الإيمان بمجيء المسيح المخلّص.

وقـد ظن مـؤرخ اليـهـود الربـانيين الأول «هاينريش جريتس» في كتابة الضخم عن تاريخ اليـهـود (عـشـرة مـجلـدات ظهـرت في القـرن الماضي) أن عنان بن داود دخل فـي صـراع ضـد المذهب العام لليهود تقليـدا للصراع الذي شهده بين السنّه والشيعة عند المسلمين. وهو كلام غير دقيق، فالسنة والشـيعة لهم مرويّات شفـهية عن النبي عليه الصـلاة والسلام، وبقليل من التـدقيق كـان هذا المؤرخ اهتدى إلى أن مـذهـب المعتـزلة هو الذي تردد في جـعل المرويات الشـفـهيـة من مصـادر التـشريع الإسلامي، باسـتثناء عـدد من الأحاديـث الشريفـة المتواترة بلفظهـا، لبلاغتهـا وإيجـازها، بحـيث اسـتـفـاضـت في الأمـة الإسلامية، الشيعـة والسنة والمعتزلة وغيرهم، أما السنة العـمليـة: أي منهـج رسول الـله صلى الله عليـه وسلم في العبـادات من الطهارة والوضـوء والصـلاة والصـوم والـزكـاة والحج، وكـذلك القـضـاء بين الخـصوم، وباختـصـار كل السنن العمليـّة أصل من أصول التـشريع عند الجـميع. ثم إن المشنا والتلمود لاتمكن مقارنتهما بالحديث النبوي لأسباب كثيرة، أهمها:

١ـ انقطـاع سـلاسل الرواة اليهود بـفراغ يزيد كـثيـرا على ألف سنة بالنسـبة إلى موسى عليـه السلام.

ويشـترطون الرؤية بالعـين خلافـا للربانيين. وهم لايتهمون عيسى بن مريم ولانبيّ الإسلام بمخالفة التوراة، بل يرون أنهما نبيان صـادقان فيما أبلغاه عن الله تعـالى، في حين يتبـرع الربانيون عليـهم بكل البـذاءات الجارحة، والاتهـامات الفـادحة. وخـالف القـراؤون الربانيـين في شكل الصـلاة، وحـتى المعبد القـرائي لايمكن أن يحـتـوي على مقـاعـد، وخلع النعلين عنـد الدخـول واجب، ولايربطون أربطة الصلاة (التفلّين) على جباههم وأيديهـم، وهي سُـيُـور تحــتـوي على بعض النصوص الدينية. وفي صـلاتهم ركـوع وسجود كـالمسلمين. وفي الفقـه القـرائي أحكام خاصـة بالزواج والطلاق والمحارم تقـترب جدا من الفـقه الإسـلامي، ولذلك يحـرّمـون الزواج بينهم وبين الربانيـين، ويعللون ذلك بأن اخـتـلاف شـرائع القـران بين الطائفـتين تجـعل الربانيين فـي نظر القرّائين (أولاد زنا ـ مَحْزِريم بالعبرية). وفقـهاء الربانيين يقـولـون مـثل ذلَكَ عن زواج القـرائين. وأقرب طوائف الربانيين إلى المجتمع القرّائي وإلى شـريعـة هذا المذهب هم الـيـهـود السَّـفَـرد (الشرقيون المتأثرون بالحضارة الإسلاميَة) وهم

اليهود القراؤون، واليهود الربانيون، اختلفوا فيما بينهم، لدرجة أن كل فريق يعتبر الآخر «غير يهودي»!

٢ـ المتغيرات السيـاسية الخطيـرة التي واكبت الدين اليهـودي، من أَسْر ونفي وتشـريد ومذابح ومـصـادرة للأملاك والحـريّات، مما لم يتعـرض المسلمون لشيء يشبهه والحمد لله.

٣ـ اعتـماد مبادئ العدل، ومـصلحة العبـاد، وأمن الأمة، وسـيادة الشريعـة قبل سيـادة الأفراد في الإسلام، في حين أن التلمود أعطى للحاخام حق الحياة والموت على رعيته.

٤ـ التناقض معدوم في الإسلام بين الأحاديث الصـحيـحـة عن الرسـول صلى الله عليـه وسلم ونص القرآن، في حين أن المتناقضات بين التوراة والتلمود، وبين أحبار التـلمود بعضهم وبعض لا تكاد تحـصى. وأسـفـر صـراع القـرائين والربانيين عن اخـتلافات كـثيـرة بين المذهبين. فالـقراؤون لايعتمـدون بدايات الشـهور القـمرية بالحساب،

لايتـشـددون في الـزواج القـرّائي ـ الـربّاني، بل يجيزونه في ظروف معينة.

ومع نهـاية القـرن الثامن عـشـر، أي مع بداية الحـضــارة الغـربيـــة الصناعـيـــة الحـديثـــة، بدأ الاضـمحـلال يدب إلى القـرّائين، لأن الظروف التـاريخيـة لم تهيّـئهم ـ مثل اليـهـود الغـربيين الربانيين ـ للخـوض في هذا الـسبـاق. وبسـرعـة ظهـر الثراء الاقـتـصادي ـ التـجـاري والصنـاعي والاسـتعـماري ـ لدى الربانيين، وبقي القـراؤون ضـمـن كـتلة (العـالـم الثـالـث). وهكـذا بدأت الأحلام الصهيـونية القديمة تداعب الربانيين، قبل (هرتسل). وكـان من أولئك الربانيين من وصلوا بمهـارة إلى أعلى المناصب السـيـاسـيـة في الدول المتقدمة: فرنسا، وألمانيا وروسيا وانجلترا وأمريكا، لدرجة أنهم ماعـادوا يفكرون في أولئك القرائين الفقـراء، إلى أن تحـركـت الصـهيونيـة من دونهم،

وقامت دولتهم في فلسطين من دونهم أيضا، ونشبت الحروب بين العرب وإسرائيل، وكان جانب كبير من القرّائين مستوطنين في مصر وسورية ولبنان والعراق وتركيا وإيران وليبيا وتونس والجزائر والمغرب. فأوعز سماسرة الصهيونية إلى المسؤولين في ذاك الوقت في تلك البلاد بأن (القرائين) خطر، لأنهم يهود. ونظراً لجهل الناس عندنا بالفوارق العميقة بين الطائفتين، لقى القرّاؤون المعاملة العدائية نفسها كالربانيين. بل كان الربانيون أسعد حظا، لأنهم بثرواتهم واتصالاتهم الداخلية والخارجية وجدوا شروطا مريحة لمعاملتهم كأعداء، أما القراؤون فكان الطرد والتشريد والإزعاج مضاعفا لهم لأنهم أولاً فقراء، وثانياً بلا حماية من الربانيين بكل جاههم ونفوذهم.

أذكر مثلا، أنني كنت في فترة العدوان الثلاثي على مصر، عام ١٩٥٦م، موجودا في باريس أواصل دراساتي للدكتوراه، وتعرفت في السربون إلى إنسان مهذب اسمه شيشمان، ظننت أنه يهودي ربّاني، إلى أن قابلته ذات يوم، فوجدته قلقا مهموما. فسألته عن السبب فقال: هذه الصهيونية. فقاطعته مندهشًا: ألست يهوديا؟ فأجابني وهو يتميز غيظًا: ولكني قرّائي! وتذكرت أن القرائين في القاهرة كانوا يتحاشون (اليهود الأفرنج) ويفرّون منهم فرار السليم من الأجرب، وكنت أعرف اثنين منهم، كان الأول أديبا ينشر القصص القصيرة في الصحف والمجلات، ويدرّس اللغة الفرنسية في مدارس الحكومة، واسمه (هارون حداد)، والثاني كان من زعماء القرائين في مصر، ومن المتقنين لعبرية التوراة، وله في تعليمها مؤلفات، واسمه (مراد فرج) وكان قانونيا يشتغل بالمحاماة، وشعرت بكثير من التخلف لأنه لم يخطر ببالي أن أسألهما، أو أسأل شيشمان عن القرائين. ولكن هذا الأخير أمامي، فسألته: هل هناك فرق بين يهودي قرّائي ويهودي ربّاني؟ فأجاب ببرود: كل منهما يعتبر الآخر غير يهودي. قلت: عندما تحضر معي دروس الحاخام «جوجنهايم» في التلمود، ألا يشعر أنك أخوه في الدين؟ فأجاب ضاحكًا: أهون عليه أن يشعر بأننا نحن الاثنين (أخوان) في الدين، لأننا عنده كَفَرَة بكل بساطة، أنت مسلم، وأنا قرّائي! ثم لازمته بعد ذلك، وزرته في بيته، فأعارني كل ماعنده من الكتب الخاصة بالمذهب، وكنت ألتهمها بنهم، وأترحم على الإمام أبي حنيفة، إن صح أنه نصح عنان بن داود بأن يجاهر بأنه يتبع مذهبا آخر غير مذهب الربّانيين. كيف اهتدى أبو حنيفة إلى تلك الفتوى، وعنان لم يكن بعد قد (بَلْوَرَ) له مذهبا؟ بل إنه مات والمذهب لم يكتمل بعد، على الرَغم من خطورة الرجل على الربانيين، لدرجة أن عالما من أشهر أئمتهم، هو سَعْديًا جاأون - سعيد بن يوسف الفيّومي - رئيس أكَاديمية (سُورَه) ألّف كتابا عنوانه «الرد على عنان» مما يثبت أن هذا القرّائي الأول كان من العباقرة.

وعدت أكثر من مرة إلى رفيقي شيشمان أستوضحه بعض خفايا المذهب القرائي، فكان يجيبني بتواضع وأناة ووضوح، مؤيدا براهينه بنصوص من العهد القديم، ثم ينتف من تلمود الربانيين يتلوها من الذاكرة! وذات يوم قلت له مندهشًا: من أنت؟ فقال: أنا يهودي قرائي، حاخام لطائفتي، وكنت اجتمع بمندوبين منهم في تركيا حتى نحاول حلّ مشكلات الطائفة، قاطعته سائلا: أنت تركي؟ قال: تقريبا: أنا قوقازي، من أقصى الجنوب في روسيا. قلت: ولماذا أزعجك العدوان الثلاثي، والذين ارتكبوه هم الانجليز والفرنسيون وإسرائيل؟ قال: ضع إسرائيل في المقدمة لو سمحت، فهي في كل مؤامرة تأخذ مكان الصدارة. إنها استقبلت فريقا رياضيا تركيا لمباراة مع فريقهم، هذا لايهم، لكن الأهم أنها - في مشاورات سرّيّة - أشارت إلى الخطر القرائي على تركيا، وصدّقت هذه المسكينة، وراحت تضيق الخناق على الجالية القرائية الكبيرة النشطة عندها، وبسرعة دخل سماسرة إسرائيل في الصفقة، وقدموا (تسهيلات) للقرائين في الهجرة إلى إسرائيل، وقد وصل منهم بضعة آلاف، هم عندها رهائن حتى يضمنوا صمتنا عنهم، لأننا تقريبا الوحيدون الذين نعرف ألاعيبهم، إنهم يريدون الآن تدمير القرائين، والإجهاز على المذهب. قلت: هوّن عليك! فسيزيد بهم عدد أعداء إسرائيل في داخل أرض فلسطين. فالمسلمون والمسيحيون والدروز، والأرمن، والبدو، والقراؤون.. كلهم يكرهون الصهيونية، لأنهم يكتوون بنارها كل يوم، وأطال الله في عمرنا حتى يفرغ صبرهم! قال بعدم اكتراث: وماذا فيها؟ إن عند الصهيونية لكل داء دواء. قلت: أتعتقد أنهم أقوياء، إلى هذا الحد؟ قال: هم أقوياء بلا حدود. ولو بحثت في العمق قليلاً لتبين لك أن قدرة هذه الدولة على الخداع والتحايل أمر مذهل، إن دينهم خرب، وهم يتظاهرون بالتمسك به، وليست في قلوبهم ذرة من الإيمان. قلت: هل أطمع في أمثلة. قال: نهت التوراة عن طبخ لحم الذبيح في لبن أمّه ليكون الناس رحماء ولو قليلاً. وجاء شيوخ التلمود وقالوا: اللحم واللبن حرام، واللحم والزبد حرام، واللحم والجبن في وجبة واحدة حرام، ووضع اللحم في قدر أو صحن سبق أن وضع فيه لبن أو جبن حرام، وكل من يتزوج عليه أن يوفر لمطبخه ما يلزم من القدور والصحون والكؤوس والملاعق والسكاكين والشوك في مجموعتين، للحم واحدة وللبن الأخرى، ولكلٍ صندوق خاص حتى لايختلط هذا بذاك. فقاطعته قائلا: وإن اختلطا؟ فأجاب: يجدّد المجموعتين ويتخلص من الأولين ببيعهما لبعض الكفار، فسألته: ومادام هذا أمر من التوراة فكيف يتصرف القرّاؤون؟ قال: أمر التوراة أن نكون رُحماء، فلانقتل الحمل ونطبخه في لبن الشاة التي ولدته، أما طبخ لحم العجل في لبن الشاة، أو لحم الخروف في لبن العنز، أو نستعمل زبدة الغنم في لحم البقر، فكل هذا جائز عندنا. وأوعية المطبخ تطهر بغسلها، وما بقي بعد هذا فتنطُع وحرص على الإغراب والإدهاش ! قلت: لقد ذكرتني بشيء طريف، أتعرف زميلنا «ليبسْتاين»؟ قال: أعرفه، أشكنازي نمساوي متوحش، قلت: جاء وكنت أطبخ طعاما شهيا جدا، فحاولت بكل ما أوتيت أن أستبقيه للغداء معي، فاعتذر. فقلت له سأحترم أحكام الطعام في التوراة، قال: يستحيل، هل عندك آنية خاصة للحم وللبن؟ فتلعثمت، وأسرع هو إلى باب الخروج. ثم جاء وقت كنا نسير في أحد شوارع باريس، فعرض عليّ أن نأكل في مطعم شرعي (كاشير) مضمون من الحاخام فدخلت، وفاجأتني روائح (غير شرعية) ومناظر لطعام يثير الغثيان. قال شيشمان: واستعمارهم لفلسطين من النوع نفسه ، للقرّائين عندهم حاخام - هو الآن حاييم هَاليفي الأشدودي - وهو ليس أكثر من رهينة كما قال شيشمان.



د. عبدالحليم عويس

المشروع الحضاري ومنهج التفاعل مع الآخرين

إن الحركة الإسلامية، وهي تحاول الإصلاح، وتقدم التصويبات، يجب عليها أن تعي أنها تعبّر عن دين له مشروعه الحضاري، لكن صلته بالله والآخرة هي الهدف والغاية، وحتى صلاح الدنيا في أركانها المختلفة، هو - أيضًا - من أجل صلاح الدين.. فهما متكاملان تكامل الوسيلة والغاية والجسد والروح. وهي لاتمتدّ في فراغ في هذا العالم أو تواجه مشروعات جزئية. بل تواجه مشروعات حضارية مادية ذات طلاء فكري وروحي، تتنافس على حكم العالم والهيمنة على الإنسانية، وتحشد من أجل أهدافها كل العلوم الإنسانية، وكل التقدم الإعلامي والتربوي، وكل صور الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية. وبالتالي، فلا عاصم ولا مواجهة إلا بمشروع يردّ الجزئيات إلى الحقائق الثوابت، الإيمانية والحضارية.

إننا متأكدون تمامًا أن هناك نظامًا يتحكم في عالمنا المعاصر. إنه نظام عالمي له (قلب) يتحكم في مسيرته، ويتكون من عدد محدود من الدول الغربية، ويفرض سياسته على الأطراف، وهي بلدان العالم الثالث حيث العالم الإسلامي. ولدى دول «القلب» وسائل تحكّم عديدة بدول الأطراف، منها القوة العسكرية من حيث استخدامها في العدوان المباشر، أو التهديد به، أو من حيث ربط جيوش دول الأطراف بتصدير السلاح إليها أو منعه عنها. وهناك عوامل القوة الاقتصادية (الصناعة والتقنية «التكنولوجيا» والمال)، كوسائل للتحكم في مسارات التنمية في العالم الثالث والضغط عليها، وهناك أخيرًا سيطرة دول «القلب» على وسائل الإعلام والاتصال واحتكار خمس وكالات (عالمية) لمصادر الأخبار التي تنشرها صحفنا المحلية، إلى السينما ومواد التلفاز والإعلانات، مما يعيد تشكيل الأذواق والآراء والقيم في عالمنا الإسلامي وفق المشروع الغربي للتنمية والتطور(١).

ولايقتصر الأمر عند الخطر الخارجي المنظم الذي تمارسه الصهيونية والصليبية، بل إننا في داخل عالمنا العربي والإسلامي نواجه زخمًا آخر من الأفكار المبتذلة والطفيلية، علمانية أو مادية أو لاهوتية، ونواجه مدارس متربصة ساقطة في أوحال الفتنة خائنة لحضارة الأمة وثوابتها، وهي لاتلجأ إلى منطق أو عقل في هدمها، ولاترى في هذه الأمة وفي واقعها أي خير إلا أن تذوب في المشروع الغربي، وتصبح كلها من نماذج مصطفى كمال (أتاتورك) حتى وإن أثبتت تجربتُه، وسائر التجارب التغريبية والقومية، فشلها الذريع. ومع أن أصحاب المشاريع التغريبية هم قادة الفكر المنتكس وأبطال الريادة في خلال نصف القرن الماضي، وهم المتصدِّرون في الإعلام والثقافة، والمقرّبون من السلطة، ومن الخارج، إلا أنهم - دون أدنى ضمير خلقي أو حياء علمي - يَنْبَرُونَ لنقد الواقع الذي صنعوه، ويتحولون - وهم أسباب الداء - إلى أطباء وعلماء نطاسيين، يتحدثون - مع كل نكبة - عن أمراض المجتمع العربي الذي يعاني تخلفًا مطلقًا، وتجسيدًا لفقدان الوعي التاريخي، والرجعية والظلامية والعصور الوسطى والجمود والخرافة والعقد النفسية والكسل والتواكل والتسلط والعصبية والطائفية، وإذا لم يشتموا الزمن الرديء

شتموا الفكر الرديء والعقل المتحجر والقيم التقليدية، والجماعة المتخلفة، والتراث الاستبدادي. بحيث يصبح كل شيء تخلفًا: العقل والاقتصادُ والأدب والفن والسياسة. وهكذا ينتهي الأمر بفكرة محورية شيطانية تلوكها كل الأطراف، فكأنها مسؤولية تاريخية كونية تلغي كل مسؤولية جزئية ومحددة لهذا الطرف أو ذاك(٢).

ومن ثم يستمرون هم بشخوصهم وأفكارهم في مواقع الصدارة الفكرية آمنين، تمهيدًا لكارثة جديدة يلوكون فيها المصطلحات والأفكار المعلّبة نفسها!

لقد عاشت تركيا «أتاتورك والاتحاد والترقي» هذه اللحظات التعسة في سنوات سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٤م، وقد جلس القتلةُ والجزارون على مكاتب الأطباء والمصلحين، ولم يسمحوا لأي طبيب أو مصلح أن يجلس إلى جوارهم، بل سرعان ماقذفوا كل طبيب حقيقي بالحجارة والشتائم!!

وقد كان ضروريًا أن تفشل كل جهود المقاومة المباشرة، فقد كان بناء دولة آل عثمان قد تداعى وآل إلى السقوط، ولهذا لم يجد (بديع الزمان سعيد النورسي) أمامه إلا الجبال والقرى النائية يلجأ إليها منفيًا أو مطاردًا، ولم يجد أمامه إلا عالم القرآن يسبّح بين آياته، ويجاهد به هذه الغارة الوحشية المدمرة. وقد نجح الرجل العظيم في استخلاص عدد من الملايين من براثن العلمانية والإلحاد والانحلال والخيانة بوسائل إعلامية وطباعية بدائية!!

وفي عصرنا الذي يمكن أن نسميه عصر الغارة الصهيونية والصليبية التي لاتُخفي أهدافها في القضاء على الهوية العربية والإسلامية، وتجاهر بضرورة انخراط الدول العربية في المشروع الصهيوني (الشرق الأوسط)، في هذا العصر ليس أمامنا إلا (القرآن) ومايتبثق عنه من فكر وتربية وإعلام ودعوة، وتأصيل للمعارف الإنسانية، وعرض معاصر للحقائق القرآنية، ودراسة لتاريخنا الإسلامي بحلقاته الإيجابية والسلبية، والتعلم منه، واتخاذ القرارات والمشروعات من خلال المفاهيم القرآنية ذات الجذور الربانية، وليس من خلال مفاهيم مكتوبة بلغة عربية، وقد تُدَبّج ببعض أدلة تراثية، بل ربما ـ للأسف الشديد ـ بآيات قرآنية، لكنها في حقيقتها المفهومية والمعرفية تنتمي إلى الفكر المادي اللاديني الدنيوي المنبثق من الخصوصية الكاملة للتجربة اللادينية الأوروبية.

وفي هذه الحفرة، أو لِنَقُلْ إلى هذا الخندق غير القرآني، انتمت تلك المدارس الإصلاحية التلفيقية أو (الليبرالية)، التي حاولت التطبيب لأزمتنا الحضارية المعاصرة، فمدرسة العلمانية التوفيقية التي مثلها «طه حسين وأحمد لطفي السيد»، ومدرسة التغريب الرافضة لروح التوفيق وللإسلام عقيدة وحضارة التي مثّلها جيل النصارى العرب «سلامة موسى، وشبلي شميل، وفرح أنطون، ولويس عوض، وغالي شكري»، ومدرسة القومية اللادينية التي مثلها «ساطع الحصري، وقسطنطين زريق، وحزب البعث بأشخاصه وروافده..» كل هذه المدارس التقت على رفض الانطلاق من المعرفية القرآنية، وعجزت، أو تجاهلت رؤية الخلفية الفكرية (الأيديولوجية) للمنهج العلمي الذي أرسته الليبرالية، ولذلك لم تستطع رموزها إدراك حقيقة أنه حينما ننقل منهجا ما إلى واقع مغاير للواقع الذي نما فيه، فإننا نتجاهل كل الخلفيات الثقافية والاجتماعية التي تحكمت بوجوده، وهو الأمر الذي من شأنه أن يدفع إلى أخطاء فادحة في أيّ حكم يتم إطلاقه على الواقع المعيش ويخلق بلبلة منهجية لايمكن أن تقود إلا إلى الكثير من الإبهام(٣).

كما أن انتقال المعارف من نظام ثقافي آخر دون استيعاب الظرفية التاريخية والأبستمولوجية التي أنتجت هذه المعارف، يفضي إلى انفصام هائل بين الفكر وسياقه الواقعي، فليس لأي مفهوم دلالة مطلقة فوق الثقافات المتغايرة والمتغيرة، بالإضافة إلى أن ماتقتبسه لايظل محافظا على مدلول أصلي أو مجرد. فلكل ثقافة حقلها المعرفي الخاص الذي يتعلق بمدلول المفاهيم مهما كانت أنسابها(٤)

ومن هنا فإن المفكر الإصلاحي ـ العلماني الليبرالي أو الإسلامي التلفيقي ـ لايكاد يلم بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للغرب الحديث، بل لانكاد نجده ملمًا بتاريخ النظم السياسية الأوربية نفسها. إنه فقط يتداول أفكارًا انتزعت من سياقها ومن نظامها لتستعمل في الدعوة، وفي البحث عما عسى أن يكون قد سُبق إليه من مثيلاتها في المأثور أو التراث. ومع أن المفاهيم الأجنبية التي لجأ إليها مفكرو الإصلاح الإسلامي الحديث، والمتعلقة بالتنظيم المدني للمجتمع والسياسة، قد انتهت في مجالها الأصلي إلى الانفصال عن دلالتها الدينية، وصاغت فلسفة مستقلة تتعلق بمجتمع مدني. مع هذا، فقد قبلها مفكرو الإصلاح الإسلامي وسعوا إلى إدراكها بواسطة مفاهيم مازالت مرتبطة بدلالة دينية... وكان على مفكري الإصلاح أن يجدوا لها المرادف الإسلامي وأن يعدلوها(٥)، في عملية تلفيق كبيرة وغريبة.

وبوضوح، يتحدث «برهان غليون» عن المأزق الحضاري الذي تعيشه النخبة العربية (اللاإسلامية) التي واجهت إشكالية التخلف والنهضة. فيتساءل: ماهو مأزق فكر النهضة في تلك الفترة؟ إن هذا المأزق هو الاعتقاد بأننا لو أخذنا مبادئ الأوروبيين لتقدمنا. فمعنى ذلك أننا ـ بهذا الاعتقاد ـ ألغينا التاريخ، وألغينا العلاقة التاريخية بيننا وبين الغرب، وألغينا أيضًا كل سيرورة المسلسل التاريخي والاجتماعي الذي أدّى في أوروبا إلى ظهور الثورة الصناعية والثورة السياسية(٦).

لقد كانت النهضة وخطابها الفكري والثقافي تعبيراً عن فهم أو رؤية معينة لكيفية الخروج من وضع أو حالة سلبية وتجاوزها. ولكن المشكلة، كما يقول (برهان غليون) في كتابه: «اغتيال العقل»، أنه «عندما تتعرض ثقافة ما إلى دفق متواصل من مفاهيم وأفكار جديدة لاتستطيع أن تقاومها ولا أن تستوعبها في أطرها النظرية، يحصل أحد أمرين: إما أن تتفكك وتنحل كثقافة مستقلة متكاملة وذات انسجام ذاتي، أو أن تعدل من آليتها وتكيّف نفسها مع المفاهيم والأفكار الجديدة حتى لو جاء ذلك على حساب التحامها بالواقع والتصاقها به»(٧).

وهكذا تظهر الاستحالة في عملية الاقتباس الذي يفرض لقيطا جزئيا على جسم الحضارة... وليس هناك من طريق ـ حتى لاتتفكك الثقافة ويختل انسجامها وتصطدم بالواقع ـ إلا أن يقوم التفاعل على أساس حوار متكافئ تنطلق فيه كل

المشروع الحضاري ومنهج التفاعل مع الآخرين

حضارة من ثوابتها وسياقها التاريخي والحضاري، وتتصدع وسائلها من ذاتها مستفيدة - بطرق صارمة - من الآخرين، في حدود التناظر والتماثل وانعدام الدونيّة. لأن الحوار بين غالب ومغلوب وقاهر ومقهور ليس حوارا في الحقيقة. إنه كما يقول (سهيل القش) - مصوراً مأزقنا الراهن أمام الحضارة الأوروبية -: «تكرارٌ ممل يستعيد مُسَلَّمات يقدمها الغرب الغالب»، «فالمثقف العربي المغلوب والمنطلق من هزيمته سلفا أمام الآخر والمعترف بعبوديته للآخر وقبوله بتسميات وتصنيفات هذا الآخر لمسار وعيه، هو الذي يبدأ تاريخه من خلال العلاقة بين ذاته الضائعة والغرب»(٨).

والإشكالية إذن - خلال قرننا المنصرم - هي مسألة الغلبة الشاملة على المستويات العليا الحضارية السياسية، هذه الغلبة بمآلها من تنظير فكري (أيديولوجي) هي التي تشكل مرجعًا للقراءات التي أسست لوعي زائف للذات، لايتطابق دائمًا مع الواقع التاريخي المجتمعي(٩).

وفي رأينا أن الانفصال عن المرجع العقدي والحضاري الأول للمسلمين والعرب (المغلوبين)، وهو القرآن الكريم، كان السبب وراء هذه الرحلة الضائعة. فانحدرت الأمة من كارثة إلى كارثة، وتعمّق الانحطاط والتخلف والتمزق. وفَقَدَ مايسمّى بالاستقلال السياسي مضمونَه، وازدادت الأمة تبعيةً في الفكر والثقافة والأخلاق والاقتصاد والاجتماع. وأصبحت الأمة العربية في نهاية القرن العشرين للميلاد قصْعة، كالقصعة الأندلسية التي تداعى عليها الأكلة في النصف الأول من القرن السابع الهجري حتى حصروا الإسلام في غرناطة ووادي آش، ثم في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي حين التهموا غرناطة، آخر ماكان قد بقي في القصعة.

وعن هذا الانفصال بين الأمة وروحها ودينها ودستورها نجمت أخطاء كثيرة، ظهرت كما تظهر الثمار المرّة من شجرة الحنظل.. وهي ثمار طبيعية يعرفها كل الناس لأنهم يرونها ويتلظون كل يوم بلهيبها، ولذلك فهم يتحدثون عنها، ويعتبرونها هي الأمراض وهي الأسباب.. لكنها في الحقيقة نتائج وثمار، بينما الأسباب كامنة عند الجذور. وفي مستوى المياه غير النقية الملوثة بالشوائب والجراثيم، ومستوى التربية التي لم تعد نقيّة خصبة، بل دخلت مركبها كيماويات أجنبيةٌ ضارة... ومن هذه المظاهر التي يراها الناس، وقد يعتبرها بعضهم هي الأمراض، المظاهر التالية:

١- سيادة الاستبداد السياسي وغياب مؤسسات الشورى، أو نظام الشورى، بأي صورة من الصور في بعض البلدان، إذْ أصبحت الأمة (عقلاً واحداً) يتحرك، وعلى كل العقول أن تتكيف معه، وإلا فلا مكان لها في التأثير والفاعلية السياسية والفوقية.

٢- غياب المساواة والأخوة والعدل، فقد انتشرت صور مقننة من العنصرية والظلم والصراع بين أجزاء الأمة الإسلامية، بحيث انكفأ كل قطر على نفسه، وكأنه جزيرة مستقلة، يقف بعضهم على أرضها في القمة، والآخرون في القاع أو فوق القاع بقليل (!!) حسب كفايتهم ومواهبهم.

٣- ضلال العقل بين (إفراط) في مستوى الفكر الفلسفي غير الإنساني وغير الكوني (الميتافيزيقا)، مع أنه لم يُمنح القدرة على إدراك تفصيلات هذه المنطقة إلا من خلال الوحي، (وتفْريط) في مستوى فقه الكون والإنسان، وتسخير الكون من خلال العلوم المعاشية والتطبيقية.

٤- التمزق السياسي الذي حوَّل العالم الإسلامي من دولة أو دول كبرى (خلافة أو خلافات) إلى عدد هائل من الدول يقترب من خمسين دولة، بينها دويلات مدن تعتبر عبئًا على الواقع الإسلامي وإزراءً بصورة المسلمين.

٥- سيادة الهزيمة الداخلية والشعور بالدونية في التعامل مع الحضارات المعاصرة، وإيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة وتفشي الأمراض الاجتماعية والمالية.

٦- الاتجاه للجوانب النظرية على حساب الجوانب العملية والتقنيّة، وضمور مراكز الأبحاث العلمية، وتدني وزارات البحث العلمي وميزانيات البحث العلمي والوسائل التعليمية في الجامعات، مما كان سببًا في وأد الإبداع والابتكار، فضلاً عن الفساد في التربية - بعامة - وفي شيوع الأمية الثقافية بين المتعلمين، وازدهار الأمية الأخرى بين أوساط الناس.

٧- فقدان الولاء للأوطان العربية والإسلامية أمام المصلحة الخاصة والانتماء الفكري، وقد هاجر كثير من العرب والمسلمين من أوطان الإسلام، بينما يعمل في الساحة الإسلامية عدد كبير من الدول غير الإسلامية التي ينتمون إليها، وعلى سبيل المثال فقد ظل الشيوعيون لأكثر من نصف قرن عبيداً للاتحاد السوفييتي السابق، وخدما لمصلحته ونظريته الفكرية (أيديولوجيته)، وأضروا بالقضايا الأساسية لأوطانهم، وتبجحوا علنًا بخيانتها، وسوّغوا كل موقف معادٍ لأوطانهم من الكتلة الشيوعية.

والأمر نفسه يتكرر الآن بالنسبة للعرب الموالين للصهيونية والعلمانية الغربية، والغريب أن هؤلاء يُفرضون على مواقع التأثير الإعلامي والفكري في ظل موجة الانهزامية المعاصرة.

٨- اختلال منظومة القيم الإسلامية نتيجة فقدان الارتباط بالثوابت الإسلامية ومصادرها الشرعية والفكرية، ففقدت قيمة الصدق، وإتقان العمل، والعلم لله ولخدمة الأمة، كما انتشر الفساد الخلقي وسادت قيم الأنانية والرشوة والغش وبيع الضمائر والعقول في سوق الخيانة المستعلية.

٩- ومن أظهر الأمراض، الترف الذي يسود بعض المجتمعات الإسلامية الغنية، بل المجتمعات الفقيرة، دون شعور بالمسؤولية الإسلامية العامة، ولا بالحساب والعقاب.

الهوامش

(١) د. عبدالله النفيسي: الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية، ص ١٧، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٠هـ - المقدمة.

(٢) فادي إسماعيل: الخطاب العربي المعاصر، ص ٢٩، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠١هـ.

(٣) فادي إسماعيل: الخطاب العربي المعاصر، ص ٥٥.

(٤) فادي إسماعيل: المرجع السابق، ٥٥، ٥٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٧، ٥٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٥٩، ٦٠، وانظر برهان غليون: اغتيال العقل ص ٥٨، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥م.

(٧) المرجع السابق، ص ٥٨.

(٨) المرجع السابق، ص ٦٨.

(٩) المرجع السابق، ص ٦٩.

المناهج النقدية الوافدة واستلاب الذات

الدراسات الأدبية الحديثة وتشويه النص العربي



محمود رداوي

إن دراسة الأدب وتحليله وتذوقه، وتصعيد أهدافه، وكشف خفاياه الروحية والفكرية والوجدانية تتطلب تذوقًا وفهمًا وانصهارًا كليًا بعالم الأ دب، وعالم مبدعه، بحيث يذوب الدارس فيه بكل روحه وفكره ووجدانه كي يرقى إلى ذلك العالم ، ويقدم لنا أطايبه، ويكشف ما يعتريه من مسارات لاتستقيم مع حسنه.

أما أن نستخدم وسائل الدراسات الأدبية الحديثة التي تقوم على أساليب جديدة يُراعى فيها قوانين العلم التي تستخدم في الكيمياء والإحصاء والعلوم الأخرى، فهذا خارج عن التذوق الأدبي، ودراسة الأدب واكتناه عالمه، وسبر أغواره وكشف قيمه الجمالية والموضوعية، كما أنه في الوقت نفسه ينأى بنا عما أراده المُبدِع، ويشوه معالم أدبه ومظاهره الجمالية، ويفقدنا أجمل جواهره الثمينة الرائعة.

كل ذلك بتطبيق الدراسات الحديثة، وقوانينها العلمية التي مجالها المادة، والمحسوس في دنيا العلم والتقنية، وهي دراسات غزتنا من الآداب الغربية، رغم أن أدباء الغرب ونقاده ودارسي آدابهم يحاولون قدر الإمكان أن ينأوا عن تلك المادية الأدبية في خطاب قرائهم، وتقريب المفيد من أذواقهم.

وإن تحتم علينا، نحن العرب، أن ندرس بعض تلك القواعد العلمية التي أخذت تطبق على عالم الأدب ودراسته، أو أن نتخصص فيها ونؤلف عنها الكتب، فذلك ليكون تطبيقه في مجاله الضيق الممكن في عالم الأدب، لا أن يكون هو المحور والأساس في دراسته. وعلينا أن نأخذ به بمقدار ما يساعدنا على اكتشاف بعض الدلالات الأسلوبية، أو الإشارات اللغوية، لا أن نأخذ به في كل مجالاته. وأن يكون ذلك بمنأى عن هذه المقولة: «إن الأدب فن، ولكن دراسته يجب أن تكون علمًا منضبطًا»، التي أصبح بعض الدارسين العرب أسرى لها، كما أصبحت تؤثر فيهم وفي نظرتهم للأدب وتذوقه، وبخاصة أولئك الذين تخصصوا في «اللسانيات والصوتيات» وغيرها من العلوم اللغوية؛ مما يُدرس في الجامعات الغربية وبمَعْزِلٍ عن اللسان العربي وصوت حروفه.

ويبدو أن الدكتور «سعد مصلوح» من المتخصصين في دراسة الأدب دراسة لغوية لسانية وقد تأثر بتلك الطريقة التي تقوم على تفتيت النص الأدبي إلى أجزاء لغوية أو صوتية، ويُبحث عن الأدب أو جماله الفني من خلال التجزيء والتفتيت، والوصول إلى الكم العددي الذي يعالجه علم الإحصاء. لأن النص يصبح أرقامًا تنطق مثلما نراها في الظواهر الاقتصادية والاجتماعية.

ولقد وجدنا هذا التطبيق الإحصائي في كتابه [في النص الأدبي - دراسة أسلوبية إحصائية(١)]، حيث قامت دراسة كتابه الإحصائية للنص الأدبي على ثلاثة موضوعات: قياس تنوع المفردات في الأسلوب(٢)، وتحقيق نسبة النص إلى المؤلف(٣)، والتشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة(٤). وكنا في تلك الموضوعات أمام جداول وإحصائيات ونسب عددية وخطوط بيانية جامدة، وهي إن كانت ناطقة في علوم أخرى، إلا أنها ميتة لا نبض للأدب ولا حرارته فيها. لأن المؤلف طبّق علمه الإحصائي العددي على مادة أدبية، وهي المادة البعيدة عن المادة بمفهومها الحسي، وإن كان طبقها في مجالها العددي

المناهج النقدية الوافدة واستلاب الذات

الدراسات الأدبية الحديثة وتشويه النص العربي

البحث، كمعرفة العدد النسبي لوجود ظاهرة الاستعارة لدى ثلاثة من رواد الشعر العربي، ولكنها لاتفيدنا في تذوق الأدب وفهمه، لأنه لم يتعامل مع تلك الاستعارة تعاملاً تصويريًا مثيرًا موحيًا، وإنما تعامل معها من خلال أرقام عددية في بعض قصائد أولئك الشعراء الثلاثة.. وكذلك مع تلك الأرقام في مفردات أولئك الكتاب الثلاثة، وحتى حين قدم عمله الإحصائي في قضية أدبية أخرى، هي معرفة صاحب نص مجهول القائل، كان يتصور أنها ستكون مجدية في البحث العلمي التوثيقي. ومع ذلك فقد منح التذوق الأدبي، لدى بعض الباحثين والشعراء (٥) في التعرف على الشوقيات المجهولة، قيمة كبرى، إذ تعرفوا على خصائص شوقي الفنية والموضوعية بمعزل عن اللسانيات والصوتيات، حين نجد «إبراهيم أنيس»، صاحب التخصص في الصوتيات واللغويات، يتنكّر لتخصصه في فهم الأدب وتذوقه والحكم عليه، خلافًا للآخرين من النقاد والشعراء ممن لديهم المقدرة الفنية والذوقية لمعايشتهم النص أكثر منه. ولهذا يستغرب المصلوح ويعجب من قول إبراهيم أنيس: «ومع أني لست من رجال النقد الأدبي، إذ تكاد دراستي تقتصر على الصوتيات واللغويات، رأيت بعد تردد أن أدلو بدلوي في الدلاء، على قدر ما تسمح به دراستي وتخصصي المحدود .... إن لنقاد الأدب مقاييس اهتدوا إليها، و استقرت عليها دراساتهم، وهم يؤكدون لنا أنه في استطاعة الناقد الماهر أن يستشف عن طريقها موقف النماذج الأدبية غير المنسوبة، فينسبها لصاحبها».(٦)

قواعد لاتخدم النص الأدبي

والغريب أن تلك القواعد النظرية في الأدب، التي تخصص فيها بعض الدارسين العرب واستدرجهم إليها الآخرون، أصبحت هاجسهم الأول في دراسة الأدب، رغم أنها لاتخدم النص الأدبي المتضافر العناصر، وهي العناصر التي اتفق نقاد العرب ومتذوقو الأدب على ضرورة وحدتها المتكاملة في فهم الأدب وتذوقه. ومن غير هذا المفهوم، لايمكن للدراسات الحديثة أن تقدم الأهداف الأدبية التي من أجلها أنشأها المبدع، وصبّ فيها خلاصة فكره وذوب روحه.. لتلقى صدًى طيبًا في النفوس وفاعلية مثمرة في القلوب. وإن كنا لا نذم مثل تلك الدراسات الأدبية الحديثة، ولكن في مجالها الخاص الضيق، ومظانها الممكنة كما ذكرنا. وتفقد قيمتها إن كنا نتكلم عن أدبنا العربي الحديث ودراسة النصوص وقيمها، ولانجد أثرًا حميدًا يضاف إلى معرفتنا في تفهم النص الأدبي، وتذوقه، وكشف أبعاده الجمالية المؤثرة مضمونًا وشكلاً.

ولهذا أصبحت الدراسات الأدبية تغوص في عالم الجزئيات للعنصر الأدبي الواحد، بمعزل عن عناصر الأدب الأخرى، وبترداد لأسماء أعلام الغرب والاستشهاد بنصوصهم، ولاسيما في دراسة الأدب دراسة صوتية موسيقية عروضية، وعدم الالتفات للشكل الأدبي، أو الأسلوب إلا من جانب عروضه ووزنه، وبمنأى أيضا عن المضامين الأدبية، وعناصر الأسلوب الأخرى من تصوير فني وبلاغي وعاطفي ووجداني. وإن مثل تلك الدراسات الصوتية الحديثة المجزّأة كانت صدًى لما بثه ودرسه المستشرقون والغربيون في أدبنا العربي قديمه وحديثه. ولكم انطبعت على دراسة الباحثين العرب في مطلع الخمسينيات، ووجدناها في الدوريات، وبخاصة مجلة «الآداب» البيروتية منذ تأسيسها عام ١٩٥٣م.

ولقد درس الغربيون، وتلامذتهم العرب، أدبنا العربي، وبخاصة موسيقاه الشعرية دون احتفاء بفاعليتها وإيقاعاتها الصوتية في النفس والوجدان والآذان. وعلى رأس هؤلاء (س.موريه).

لقد جنّد هذا الباحث اليهودي (الإسرائيلي) كل براعته في البحث والاستقصاء ليجد دلائل وإشارات موسيقية في شعرنا العربي القديم والحديث، فلم يجد من هذا التراث الشعري الكبير - ديوان العرب - غير الجزء المنفصل عن الأجزاء الأخرى. فبذل قصارى مجهوداته وطاقاته ومهاراته للتعرف على موسيقى الشعر العربي وأوزانه وعروضه، وجعلها قضيته الكبرى، واستطاع أن يدخلها في أذهان بعض مثقفينا


محمد فريد أبو حديد

العرب، لهدف آخر، وإن تغلّف بالموضوعية والحرص على تأكيد قيمة هذه الخصيصة الموسيقية الفنية في تجديد بناء القصيدة العربية الحديثة. وذلك حين ظهر له بحث عام ١٩٦٦م بعنوان «الشعر المرسل في الأدب العربي الحديث»، ثم ألحقه ببحث آخر عام ١٩٦٨م عنوانه «الشعر الحر في الأدب العربي الحديث - أبو شادي ومدرسته ١٩٢٦ - ١٩٤٦م»، وقد نُشرَ البحثان في مجلة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن. وترجمهما الدكتور سعد مصلوح ونشرهما عام

١٩٦٩م (٧)، رغم أنه يعلم هوية (س.مـوريه) اليهودية، وأنه محاضر بالجامعة العبرية، ويكتب عن شعراء عرب باللغة العبرية، وبخاصة مجلة «هاميزراه هيهاداش»، وهي مجلة «جمعية المستشرقين الإسرائيليين».

أصالة الأدب

إن هذا لايمنع أن نطلع على مايكتبه أعداؤنا عن أدبنا، ونترجمه للقارئ العربي، شريطة أن نشير إلى خفايا كتاباتهم ونواياها وأهدافها، ونعقب عليها كلما وجدنا لذلك سبيلا، وألاّ نجعل كتاباتهم تستدرجنا إلى أرض سبخة، وألاّ نجعل منها مثلاً أعلى لمناهجنا الأدبية، أو نستمد منها كل مواقفنا وحماساتنا وأفكارنا ورؤانا ونقدنا وثقافتنا الأدبية، ومن ثم نتبناها وكأننا نحن كاتبوها ومنشؤوها، وبخاصة في قضايا الشعر العروضية وأوزانه الموسيقية، تلك الأوزان التي امتزجت بالروح والفطرة العربية عبر الأجيال، ولازمت الذوق العربي في غنائية دائمة، طبعته بهذه التلقائية على مر العصور، وأصبح العربي بفطرته يغني وجدانه من خلال هذا الشعر، بتلك الأوزان الخليلية، كما أصبح يدرك بأذن مرهفة أي خلل في تلك الأوزان بمجرد سماعها أو إنشادها، وهو الذي يعرف أسرارها الموسيقية أكثر من غيره من الآخرين الأجانب، كما أنه لا يمكن لأي أجنبي بعيد من اللسان العربي المبين أن يدرك ذاك الجمال الإيقاعي الموسيقي العروضي في شعرنا العربي. كما أنه بالمثل لا يمكن للساننا العربي أن يترجم ويفصح عن أسرار اللغة اللاتينية الصوتية مثل أهلها وأصحابها من اللاتين الأصلاء، كما أننا لانستطيع تغيير طبيعة الشعر اللاتيني أو الأوروبي الحديث، ونضع له قواعد وأوزانًا جديدة، فهذا ليس بمقدورنا، لأننا دخلاء عليه.

ولهذا نعجب من مثقفينا العرب الذين يأخذون بآراء الغربيين - وبخاصة الأعداء - عن مشكلات شعرنا الحديث، وموسيقاه الفطرية الغنائية، ويؤلفون الكتب، ويستوحون من رؤى الغرب وأفكاره. الأهداف والنتائج عينها التي صوروها لهم بأساليب مغرية شائقة، تتسم بالموضوعية والحياد والحرص على تأكيد دعوتهم الصادقة لمصلحة الأدب العربي. وقد أفلح الغربيون في استدراج باحثينا العرب، بكل إغراء وإتقان وفن، إلى أرض سبخة - كما قلنا - ينزلقون عليها، ولايقوى الواحد منهم على الوقوف بثبات ويمسك بزمام المبادرة، والتصرف بما يمليه الموقف الأصيل، وربما كان الغربيون يضحكون في سرهم، لما أحدثوه بهؤلاء، وما سببوه من صراع واحتدام مع غيرهم؛ حول مشاكل فرعية، أنستهم قضايا الأدب الكبرى، التي أُنشئت الدواوين والكتابات من أجلها.

تشويه الأغراض الشعرية


د. عبدالله الغذامي

وإذا كان دارسو الأدب العربي من المستشرقين والغربيين، قبل «موريه»، قد التفتوا إلى الجانب الموضوعي ودلالاته الاجتماعية والوجدانية؛ فإنهم قد شوّهوا الكثير من الأغراض الشعرية، وأساؤوا فهمها.. وأدخلوها في أذهان مثقفينا أيضًا. وإنها لمقدرة استشراقية تغريبية تخريبية، فقد زرعوا في نفوس بعض الدارسين العرب فكرة إعلان الحرب على فن المديح في ديوان العرب الشعري الكبير، واعتبروا هذا الفن لا يُخاطِب إلا طبقة متميزة من الممدوحين في المجتمع العربي ، فهو فن أرستقراطي، يبعده عن عامة الناس والشعب.

ولهذا ثبتت هذه الفكرة في النفوس، وأصبح يُنظر للشاعر «المدّاح» نظرة سخرية وازدراء. ونسوا أنه - في مدائحه - يجسد الصفات العربية الأصيلة في الممدوح، ويبرز رجالاً أفذاذًا تاريخيين، صنعوا أمجاد الأمة العربية والإسلامية، كما يشحذ همم الآخرين ليكونوا صورة عن أولئك التاريخيين الأفذاذ الذين امتلأت صفحات التاريخ العربي والإسلامي المشرق بمآثر بطولاتهم ومواقفهم الرائعة. من أعداء العروبة والإسلام. وأعداؤنا الغربيون المستشرقون لايريدون بعث هذه الصفات التاريخية الخالدة. (٨)

ولابد أن يكون في أذهان المستشرقين والغربيين فكرة صرف العرب، بمفكريهم ومبدعيهم، عن أصالة العروبة والإسلام، والبحث عن كل مشرق في دنيا العرب والمسلمين وإخماده، وتصيّد كل مظلم وإيقاده.

ولقد احتفى المفكرون العبرانيون الإسرائيليون في الآونة الأخيرة، ومن قبل أيضًا، بكل أعمال أدبية تشين العرب، أو تبرز عقليتهم الساذجة، مثل احتفائهم بكتاب توفيق الحكيم «يوميات نائب في الأرياف»، في حين أغفلوا كتابه المتوثب العربي الأصيل «عودة الروح». والأمثلة المعاصرة في هذا الصدد كثيرة.

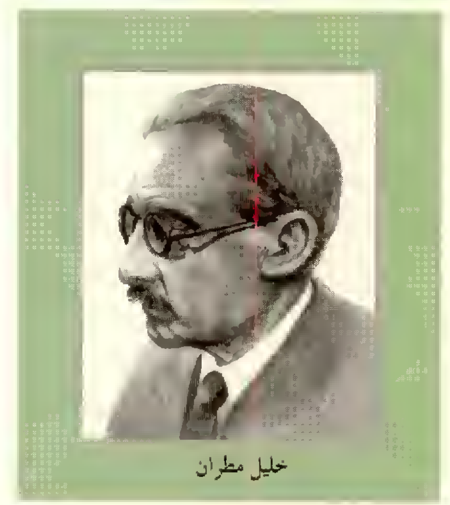
السم في الدسم

ولهذا تعب «س. موريه» في بحثيه السابقين، وحقّ له أن يتعب، كي يقف مستقصيًا باحثًا عن هذا الشعر العربي الحديث، وروداه ودارسيه .. أمثال: رزق الله حسون، وتوفيق البكري، ومحمد فريد أبو حديد، وعلي أحمد باكثير، والزهاوي، وعبد الرحمن شكري، وأبو شادي، ومطران، والعقاد، وخليل شيبوب، والكثير من شعراء المهجر، وغيرهم.. مستشهداً بآرائهم أو نصوصهم الشعرية التي تخدم هدفه وفكره ورؤاه. ومنحنا تعريفات عديدة عن «الشعر المرسل» و«الشعر الحر»، منْ خلال المفهوم الإنجليزي أو الأمريكي أو

المناهج النقدية الوافدة واستلاب الذات

الدراسات الأدبية الحديثة وتشويه النص العربي

الفرنسي.. وكلامًا طويلاً ومسترسلاً عن رواد هذين النوعين؛ وغيرهما من تسميات لأنواع الشعر العربي الحديث. وشغل القارئ بتلك الريادة أو الأولية والسبق في ذلك المضمار. ثم وصل بنا عند رواد آخرين لمرحلة أخرى أمثال نازك الملائكة والسياب، وعبد الصبور وغيرهم. ووضعنا أمام شعر عربي مرسل وحر، وراح يقطعه تقطيعًا عروضيًا، مشيرًا إلى مافي بعضه من علل أو زحافات أو نشاز من «الإقواء، والإكفاء، والإصراف، والسناد»، وغيرها.. ليثبت أن الشعر العربي فيه الكثير من الخروج عن الأوزان الأصيلة، كما أنه يستشهد بشعر آخر لما طرأ على هذا الشعر



خليل مطران

الحديث من تنويع في القوافي في القصيدة الواحدة كما في الموشحات أو في «الشعر المرسل» الحديث العربي والأجنبي. وقد استشهد على ذلك بستة أبيات للزهاوي كان قد كتبها عام ١٩٠٥م. واستشهد بأمثلة أخرى من النصوص الشعرية من «الشعر الحر» التي تتنوع فيها الأوزان والقوافي في القصيدة الواحدة، منها قصيدة «الفنان» لأبي شادي. وقد كتبها «موريه» هي وغيرها - حين تخضع للشطرين - بطريقة كتابة الشعر الحديث. وكان لا يخفى إعجابه بأبي شادي وريادته ولكن بطرف خفي، وبلمحة خاطفة حين أرجع سبب سوء شعره أو «فشله» إلى عقلانيته وانتمائه للماسونية، كما لمّح بأنه أصدر كتابين في موضوعها .. وبث هذه الأفكار بذكاء، ومن خلال انطباعات الآخرين عن أبي شادي تجاهلاً أو إعجابًا، وكأن الأمر، من ماسونية وغيرها لا تهم. يقول: «.. كما كان ميله إلى العقلانية السبب الأساسي لفشل شعره. ومن المحتمل أن فشل أبي شادي في تجنب هذه العيوب، وماذاع عنه من انتمائه للماسونية، وإصداره كتابين في هذا الموضوع، قد دفعت كثيرًا من النقاد والشعراء إلى تجاهل تجاربه ومجهوداته في تغذية الأدب العربي بالشعر الحر، فيما عدا السحرتي وخفاجي وهما من أصفيائه والمعجبين به».

واستطاع «موريه» في نهاية بحثه أن يدخل لإيقاع الوزن في الشعر العربي إيقاعًا في الأفكار. ومن هنا وجد منفذًا ليعرض في خاتمته تفسيرًا ومفهومًا لإيقاع الأفكار، وكأنها خصائص هذا الشعر الحديث الحر، وكلها سمات جيدة، ولكن كان كمن يضع السم في الدسم، إذ وُفّق في إدراج بعضها مثل «الأسلوب المتأثر بأسلوب الصحافة - والإذاعة - والكلام اليومي الذي يتسم بالبساطة» و «الرمز والأسطورة والصورة المأخوذة من الحياة اليومية». ولقد أوحى للمبدعين، من خلال دعوته ودراسته إلى استخدام العامية في الإبداع الشعري والأسطورة الوثنية التي نجدها في الشعر الغربي. وعن طريق نعتهم بالذكاء والموهبة والعبقرية نجح في إيحائه لهم بأن يستخدموا مثل تلك الأساليب الشعرية ليعبروا عن تجاربهم الوجدانية.

ويبدو أن تركيزه على الشاعر الذكي الموهوب العبقري حركت وداعبت طموحات بعض المغرورين من شعراء الشعر الحر الحديث، كي يسيروا في هذا الدرب الجديد. كل ذلك ليجنّب شعراء الأصالة العربية ويصرفهم عن الخوض في بحور الشعر العربي التاريخي والإسلامي، ويشجعهم على الاسترسال في وطء الأرض السبخة.

ومن هنا فإن الدعوة إلى استخدام العامية، والموضوعات الشعبية واليومية في الشعر - وقد تأثر بها العقاد وجماعته - لم تثبت أمام أصالة اللغة العربية الرصينة، والمناسبات الوطنية والشخصيات التاريخية الفذة. وإذا كان «موريه» قد أشار للأساطير والرموز الأجنبية في الشعر العربي الحديث وأشاد بها، فإنه لم يشر إلى الرموز والأحداث التاريخية العربية والإسلامية والمميزة لكثير من هذا الشعر. ولئن نفى عن الشعر التقليدي المقدرة على الصياغة الدرامية والقصصية والملحمية فإن ثمة شواهد شعرية عربية قديمة وحديثة نجد فيها هذه المقدرة الأسلوبية في صناعة القصص والملاحم.

وإذا كنا بداية، ذكرنا أن «المصلوح» في ترجمته لبحثي «موريه» السابقين لم يتدخل في تنبيه القارئ العربي لبعض النوايا الخفية فإنه - والحقيقة تُقال - نبّه في مكان واحد من الكتاب، وذلك في هامش ص١٣٣ على تغييرات أحدثها في بعض النصوص التراثية لمآربه.

الغذامي والتأثر بموريه

ويبدو أن «س.موريه» قد نال درجة الدكتوراه عن موضوعيه السابقين: الشعر المرسل والشعر الحر في الأدب العربي الحديث. وربما أضاف لهما موضوعات أخرى لدراسته العليا التي أشار إليها الدكتور «عبد الله الغذامي» في كتابه الجديد: «الصوت القديم الجديد - دراسات في الجذور العربية لموسيقى الشعر الحديث». وفيه نتلمس إعجابه الخفي بموريه (٩)، وتأثره به تأثرًا كبيرًا، فكان مرجعه في الكثير من آرائه وأحكامه، رغم إشارته الذكية في مطلع مقدمته التي يحاول بها أن يخفي ذلك الإعجاب. لأننا نجد أفكار «موريه»

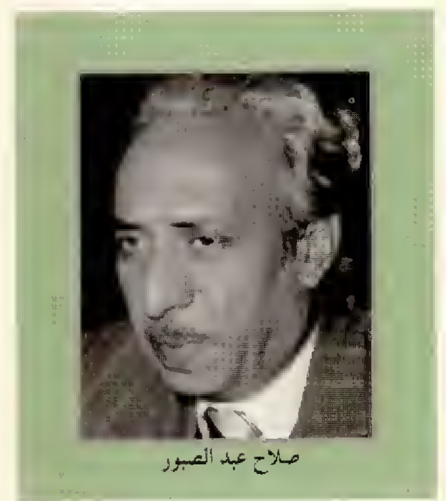
والقضايا التي طرحها ووقف عندها تكاد تكون هي عينها عند «الغذامي»، في الشعر المرسل، والشعر الحر، والأمثلة الشعرية نفسها.. وحتى في طريقة كتابتها. وفي كثير من الأسماء الشعرية العربية وريادتها وأوليتها، وإشغال القارئ بها، وفي تسمية ذلك الشعر، واختلاف العرب المعاصرين في تلك التسمية . وكذلك في وقفاته الإيجابية من عدم استساغة الأذن العربية لذلك التغير المفاجئ والسريع في أوزان الشعر وقوافيه في النص الواحد. ثم وجد تلك الزحافات والعلل العروضية في شعرنا القديم، وغيرها كثير.

على أن الغذامي وقف طويلاً عند تلك الجذور العربية لموسيقى الشعر، أو العروض من خلال تلك الزحافات والعلل، وعلّق على بعض النصوص الشعرية القديمة ذات العلل، وجعلها ظاهرة صحية في شعرنا، ليثبت أن للتجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث جذوراً عربية قديمة، وليست بتأثير الموسيقى الشعرية الأجنبية، مع أن العرب يرونها «عللاً» تصيب هيكل الشعر، وتستقر في نخاعه، فتسيء إلى أصالة الوزن وعمود الشعر وغنائيته. وقد استدرجه «موريه» إلى هذه الأرض السبخة. وقد فطن «المصلوح» إلى تلاعب «موريه» الخفي ونبّه عليه كما ذكرنا.

المختل لايُقاس عليه

لم توضع قوانين العروض إلا لوزن الشعر وضبطه، وبيان خلله وعلله وزحافاته وشذوذه ونشازه.. والمختلّ لا يقاس عليه، بل يُضبط ويصلح كأي خلل يصيب الكائنات أو الأشياء، ولهذا حين أراد العرب أن يبينوا خلل بعض الأبيات الشعرية لدى النابغة أسمعوه إياها بصوت مغنية. بينما يرى الغذامي في الخروج على أوزان الخليل تحرراً في الشعر القديم، وقد أوجد بعض هذا الشعر الذي تتنوع فيه الأوزان في القصيدة كما هو موجود في الشعر الحديث. وكأن هذا التحرر صفة عامة أخذ بها الشعراء العرب والعروضيون، مع أنها صفة مشينة عابها النقاد العرب القدامى..

والغذامي نفسه يستشهد بمواقفهم وأقوالهم التي تستهجن ذلك الخروج أو ما يسميه بالتحرر. وحتى من استشهد بهم من الشعراء القدامى ـ الذين تحرروا من الوزن ـ فهو تحرر ضئيل في أبيات أو قصائد يتيمة مشلولة، ويجيء ليبني من اليتامى والمشلولين نموذجًا متكاملاً قويًا للشعر ووزنه ويدعو له ويعتز به. ولنسمع «الباقلاني» يقول في الخروج عن الوزن الواحد للقصيدة وهو مما استشهد به الغذامي: « إن ما اختلف وزنه ليس بشعر». وكذلك «قدامة بن جعفر» عن قصيدة «عبيد بن الأبرص»: «أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب»، حيث يقول: «إن في هذه القصيدة أبياتًا قد خرجت عن العروض البتة». كما يقول: «أبو عبدالله المرزباني»عنها، نقلاً عن


صلاح عبد الصبور

الأخفش الذي وصفها بأنها «شعر غير مؤتلف البناء» ويُسمى عند العرب «الرمل»، ويقول «إن العرب لا يجدون منه شيئًا إلا أنه عيب في الشعر». وكأن الغذامي يريد أن يبرر موقفه حيال الآراء السابقة، ويوضح ما فيها من مآخذ، فهم جعلوا«الزحاف والإكثار منه هو العلة في هذا الوزن الغريب للقصيدة». وظل الغذامي يسعى إلى تتبع تلك الجذور أسيراً لشواهده ونصوصه الشعرية القديمة اليتيمة المشلولة، ذات النشازات الموسيقية، والعلل العروضية، مستمتعًا. ولا ندري كيف يستطيب الشاذ ليأخذ به أو يقيس عليه؟! وينسى الجذور الأصلية، والبحور الطويلة الكاملة الوافرة بالموسيقى العذبة التي يحتويها ديوان العرب الكبير والتي تنسجم مع الأذن العربية. وكيف يستطيب ذاك التداخل في الأوزان والإيقاعات والقوافي في النص الواحد. وقد سبقه «موريه» فقرأ ذلك التداخل والتغير، فيقول: «إن تغير البحور يمكن أن يكون أكثر مدعاة للرضا، لأنه يساعد على التعبير عن الفكرة بطريقة محكمة». ألم يستطع المتنبي، وأمثاله في العصر الحديث، أن يعبر عن الفكرة بطريقة محكمة؟!.

صراخ المجانين

ولقد نعت «موريه» الدكتور محمد النويهي بالمبالغة لأنه قال: «إن القصيدة التي تتغير فيها البحور ماهي إلا أصوات تشبه صراخ المجانين في مستشفى الأمراض العقلية، كل منهم يصرخ بنفحة مخالفة، تبعًا لمرضه العقلي». ومن ينظر إلى الشعر العربي الزاخر ببحور الألحان والغناء، ولايسمع إلا الأصوات الناشزة الشاذة، كمثل من لايرى في الصحراء إلا سطو الصعاليك، وليس لمروءة الفرسان أثر في حسّه.

على أن دراسة الموسيقى الشعرية من خلال «إرسال الروي في الشعر العربي القديم»، وإثبات تنوع القافية، أو الروي في القصيدة الواحدة والتي تجري على وزن واحد كما جاء في الشعر المرسل الحديث، لهي دراسة موفقة، ولاغبار عليها.. لأن لها جذوراً أصيلة في تراثنا الشعري العربي القديم في الأراجيز أو المزدوج، والمسمطات، والموشحات. ولم تخرج عن الذوق العربي.

ومع ذلك كله، فإن قضايا الوزن، والموسيقى الشعرية يدرسها الطالب من خلال علم العروض، وإن كنا لانعزل هذا العلم عن الدراسة الأدبية للنصوص الشعرية.. ولكن ليس على حساب رؤيتنا للشعر وتذوقه. فإن ساد العروض الشكلي أفسد علينا متعتنا الفنية والجمالية والموضوعية. وكلما استبدت هذه الشكليات على حساب

المناهج النقدية الوافدة واستلاب الذات

الدراسات الأدبية الحديثة وتشويه النص العربي

الأساسيات الأدبية، تحوّلت المشاعر والأعماق الوجدانية والذهنية لدى الدارس حيال النص إلى رصف مادي من المفردات والجمل، بلا حس أو نبض وجداني وشعوري.

الموسيقى الشعرية لاتنعزل عن جوهر الشعر

وإذا كانت الموسيقى الشعرية إيقاعًا محببًا في الأذن العربية من متذوقي الشعر، فإنها لاتدرس بمعزل عن جوهر الشعر ومضمونه وعناصر صياغاته وأسلوبه. ولهذا لم نجد لموريه الوقفات التي تستثيره فيها إيحاءات الشعر العربي المحلقة بالمرء إلى دنيا الفن والوهج الروحي والمعنوي والوجداني.. لأن نصوص شواهده أصبحت مادة جامدة، يُنظر إليها من خلال الوزن والقافية والبحر، بمسمياتها الجافة الخالية من معانيها وقيمها الجمالية والتصويرية والموضوعية. وحذا الغذامي حذو «موريه» في نصوصه الشعرية المجردة من أية دلالة، مع أنها كانت في معظمها، متألقة بإيحاءاتها وشحناتها الروحية والوجدانية والعربية، ولهذا كنا لانرى في النص إلا قطعًا خشبية متناثرة هنا وهناك، وهي منعزلة عن الأجواء الشعورية التي من أجلها أُنشئ النص. ولو اخترنا أي نص استشهد به؛ طال أو قصر، لوجدنا موضوع الاستشهاد يُخنق فيه كل نبض حي، لأنه لم يُختر للحياة وإنما لوضع مادي جامد شكلي، مثل هذا البيت لنسيب عريضة: [كفنوه، ادفنوه اسكنوه هوة اللحد العميق]. ولانعبأ به. لأننا لانعرف أين البقية؟ ولمن قيلت القصيدة؟ ولماذا؟ وماذا أثارت ساعتها حين أطلقها عريضة في المهجر؟! ولنقرأها كاملة، بعد أن ندرك أنه قالها ساخرًا من المتخاذلين عن نصرة الوطن، وبمعزل عن التقطيع العروضي كي نحس بتلك الهزة:

كفنوه، ادفنوه اسكنوه هوة اللحد العميق
واذهبوا لاتندبوه فهو شعب ميت ليس يفيق
ولنتاجر في المهاجر ولنفاخر بمزايانا الحسانْ
ما علينا إن قضى الشعب جميعًا أوَ لسنا في أمان
ربَّ ثأر ربَّ عار ربَّ نار حرَّكَتْ قلب الجبان
كلها فينا ولكنْ لم تحرِّك ساكنًا إلا اللسان

وكأن المستشرقين والغربيين يريدون أن يصرفونا عن وحدة المشاعر والانفعال، والتذوق الشعري والفهم اللغوي والوعي العربي، التي يبلورها جميعًا ديوان العرب الشعري الكبير. والدراسات الأدبية الحديثة، مما وقفنا عند بعض نماذجها، تُعيق عملية التفاعل مع النص الشعري. لأن دارس الشكليات المادية الإحصائية أصبح كمن ينظر إلى بستان حافل بالأشجار المثمرة والأغراس المزهرة، ولا يعبأ بما في البستان إلا بعدد أشجار كل نوع من الفاكهة والأغراس، وإحصاء أوراق وزهور كل شجرة وغرسة، ونسي المتعة والفائدة التي بجنيها من أشجار وأغراس ذلك البستان في ظلال الأوراق وعبير الأزهار ونكهة الفاكهة. وحتى المهندس الزراعي، في ذلك البستان سوف لاينسى التنعم والمذاق وهو يمارس هندسته.

إن الدراسة الأدبية الحديثة لشعرنا العربي، بنصيه القديم والجديد، يجب ألا تهمل مادة هذا الشعر اللغوية. فشعرنا يسكن في لغة عربية لها خصائصها الفنية والتعبيرية والصوتية والإيحائية.. في التركيب والتوليد والاشتقاق والنحت والترادف.. وغيرها من صفات لانجدها في اللغات الأخرى. ولكل لغة سماتها وفقهها، وقواعدها وأصولها.. وما يوجد في لغة أو يطبق فيها، قد لانجده في أخرى أو نطبقه عليها.

إن أصحاب الدراسات الأدبية الحديثة الإحصائية العروضية تجعلهم ينظرون إلى العمل الإبداعي نظرة آلية.. فتطبع كتاباتهم النقدية بطابع مادي آلي، ويسيطر هذا الطابع الآلي على فكرهم وسلوكهم التعبيري، لأنهم ألفوه واعتادوه، فشغلهم عن أي توجه آخر.

وتصبح حالتهم مثل الحالة التي صورها الممثل الساخر «شارلي شابلن» في بعض أفلامه التي يسخر فيها من تحكّم الآلة في أسلوب البشر، ولاسيما عمال المصانع، كذلك العامل الذي طبعته الآلة التي بيده (مفتاح براغي) بحركة روتينية واحدة متكررة، فأصبح عبدًا لآلته التي أمامه، ويدًا متحركة لكل برغي يمر أمامه ويحتاج للشدِّ.. فرافقه هذا السلوك خارج عمله، لدرجة وجدناه في الشارع يجري وراء امرأة ليشد زرَّ معطفها.

وربما هي الحالة التي انتابت أحد النقاد حيال لفظة خارج النص، وراح بعض الكتاب يتندر بها وليس ذلك إلا للقوة السحرية الخفية عند باحثي الغرب ومبدعيه التي تستدرج بعض مثقفي العرب إلى أرض سبخة حكمت عليهم بالأسر. ونخرج أخيرًا من هذه الدراسة لنقول: «إن ثمة محطات استشراقية تغريبية للتشويش على ذبذبات العقل العربي الإسلامي وإرسالاته النيرة» (٩).

الهوامش:

(١) إصدار النادي الأدبي، جدة، ١٤١١هـ.

(٢) وذلك بأخذ عينات تقدر بثلاثة آلاف كلمة - لكل كتاب من الكتب الثلاثة: وحي القلم للرافعي، وعبقرية محمد للعقاد، والفتنة الكبرى «عثمان وعلي» لطه حسين.

(٣) وذلك من خلال دراسة أسلوبية في الثابت والمنسوب من شعر شوقي.

(٤) وذلك بدراسة عينات من الأبيات الشعرية المختارة من دواوين كل من شوقي «٩٩٨ بيتًا» مختارًا من أصل «٦٤٩٢ بيتًا»، والشابي «٤٠٤ أبيات»، من أصل «٢٣٧٤ بيتًا»، والبارودي «٥٧٥ بيتًا» من أصل «٣٥٨٤ بيتًا».

(٥) أمثال: «إبراهيم أنيس، وأحمد الحوفي، ومحمد الشايب، وبدوي طبانة، وعلي الجندي، ومحمد زكريا البرديسي، وشوقي ضيف، وعزيز أباظة، وأحمد عبد المجيد فريد، و العوضي الوكيل، ومحمد طاهر الجبلاوي، ومحمد مصطفى الماحي».

(٦) حاول المصلوح أن يبرر مثل هذه الآراء التي لاتقف بصفه.

(٧) «حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث»، إصدار عالم الكتب، القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٨) وقد وقفنا عند هذه الفكرة في كتابنا: «عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية».

(٩) مثلما نرى إعجابه السافر بليفي شتراوس ورولان بارت من خلال كتابه: «الخطيئة والتكفير».

(١٠) ربما كانت الصورة الأخرى للهيمنة على فكرنا واستعمار عقولنا متمثلة في البث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية في أيامنا القادمة. كما عبر عنها الدكتور ساعد العرابي الحارثي. انظر مقاله في هذا الموضوع في المجلة العربية، عدد ١٧٥.

أمــة المجــد

شعر: عدنان عبد الرحمن أبو العطا

كم عَطَّرَ الكونَ من طيب الغناء فمي
وعطَّر الدَّهر من طيب الفداء دمي

وكم سرجتُ جياد البرق مقتحمًا
بها الريّاحَ، وجوّابًا على القمم

وكم مشيتُ على درب الجراح فما
تعثَّر الخَطْوُ من جرحٍ ومن ألَم

ولي على شُرفات المجد ملحمةٌ
سَل الملاحم ما خطَّت يدُ القلمِ

هو الجبينُ إلى الأعلى يُعانقها
تلك الشموسَ، وفي ساح العُلا قدمي

وفوق جبهة هذا النَّجم لي عَلَمٌ
يا طيبَ ما نسج التاريخ في العلم

تكاد تَلْطُمُ خدَّ الريح قبضتُهُ
وتحت جُنحيه يطوي خافقَ النِّسَم

وأمة المجد فوق الحادثات مشت
زهوًا على المجد، أم زهوًا على الأمَمِ

تكاد حين تشقُّ الدَّربَ خُطوتها
نحو الصباح تهاوى حالكُ الظُّلَم

ضَجَّ الصهيل فما للخيل واقفة
عرضَ الطريقِ، وضجَّ السَّاحُ من سأمِ

ياقارئًا لكتاب الصبح نحن به
نبض الملايين يشدو رائع النَّغم

من سالف الدهر والأجيال عابرةً
دربَ الجهاد إلى غدها، ومن قِدَمِ

تمشي تجاهَ دروب العزِّ شامخةً
بالعزم يذخر كفّاها ... وبالهمم

وما يزال صدى فمها بذاكرتي
إذا عبرت بوجه الخَطْب فابتسمِ

فنحن من شَغَل الدنيا بسيرته
ونحن من مَلأَ الآفاقَ بالقيَمِ

يا نسمة العمر من أرض مُعطرةٍ
بالكبرياءِ فلا هامت، ولم أهمِ

تسرين مثل غمام الفجر رائعة
وتعبرين بنا في زورق الحُلُمِ

وتسكبين لذيذ الشَّهد من شفة
تضجُّ من عَبَقٍ فيها رُؤى الدِّيَم

وتشعلين دمي وجدًا كأنَّ به
تفجَّرَ الوجد بُركانًا من الحِمَمِ

هي الصَّبابة من نار نؤججها
وما الصَّبابة في الأعماق من عَدَمِ

أنامُ حين يُباكرني نُعاسُ هوًى
وأنتَ يا أرقًا في البال لم تَنَمِ

عشْقُ الفؤاد صبابات مُؤرقة
فإن عشقتَ فلا تغضب، ولا تَلُمِ

فكيف تعدل في حُكْم الهوى شَفَةٌ
إذا استبَّد بها شوقٌ إلى الحَكَمِ

لا يسكب النهر في بحر صبابتَه
إذا الصَّبابة لم تُسكب على كرمِ

وليس يبخل كَفٌّ بالعطاءِ إذا
ما فاضت الكف بالنُّعمى وبالنِّعَم

نَبَتٌ من شيم سمراء طيبة
تبارك الدهر فيما جاء من شيَم

وروعة العشق فينا أنها قَبَسٌ
من نشوة المجد، لا من شهوة الرِّمَمِ

دراسات في أدب الجزيرة العربية (٥)

ظاهرة الحنين في شعر تهامة وعسير





د. عبد الله بن محمد أبو داهش

تعود ظاهرة الحنين في شعر تهامة، وعسير إلى تلك المؤثرات النفسية التي كان يعانيها الشعراء حين كانوا يُعتقلون في السجون خارج أوطانهم، أو يُنفون من بلدانهم، أو حينما يَرحلون في طلب العلم. وكان من أسباب ذلك ما ابْتُليت به منطقتهم من الاضطرابات، والمطامع السياسية، وما ألفوه من التقاليد التعليمية الموروثة التي تقتضي الهجرة، والرحيل عن الوطن. هذا بالإضافة إلى ما كان يقع بين بعض العلماء وأولي الأمر أحيانا من الخلافات السياسية والمذهبية التي كانت تنتهي في الغالب بنفي أولئك العلماء وإجلائهم عن ديارهم. وقد نتج من تلك العوامل جميعها أن صَوَّر هؤلاء الشعراء الغرباء حنينهم إلى أوطانهم وأهليهم، وعَبَّروا عما كانوا يقاسونه من المشقة والآلام، إذ حفل شعرهم ـ عندئذ ـ بشيء من ألوان الشعر الذاتي الذي عَبَّروا فيه عن تجاربهم، وأحاسيسهم.

وتبرز هذه الظاهرة جلية في شعر أحمد بن الحسن البهكلي (١١٥٣ - ١٢٣٣هـ) من شعراء أبي عريش بالمخلاف السليماني، الذي كان من أكثر شعراء هذه المنطقة معاناة لوحشة السجن، وقسوة أيامه، فقد اعتقله إمام صنعاء في مدينة الزيدية بتهامة اليمن وأودعه سجن صنعاء. وكان خلال سجنه يبعث إليه بشعره يستعطفه، ويشكو إليه حزنه، إذ قال متشوقًا إلى وطنه أبي عريش بتهامة:

سرى البرق من أرض الحجاز وأتهما
فهيج شوقا في حشاي وتيما
فما رعده إلاّ زفير تولهي
وما المزن إلا ودق جفني إذا هما
وما لمع ذاك البرق غير تنفس
تَصعّد من قلب الشجي تضرما
تُسعِّره نار الفراق وطالما
يعلل نفسا في عسى ولعلما
إذا ماشَدَتْ ورقاء تطرب إلفها
توهمتها تبكي لما بي ترحما
وإن عبرت في سحرة نسمة الصبا
صبت بفؤاد حنّ شوقا إلى الحما (١)

* * *

سقتك الغوادي يا ديار أحبتي
وجادك هطّال الربيع وديّما
فيا زمن التفريق هل أنت مسعدي
إلى كم تجرّعني من البين علقما
أما للنوى من عدة قد تصرّمت
ووقت التداني قد دنا لي وحتّما (٢)

ولم يكتف البهكلي بهذه القصيدة، وظل يُلحُّ على الإمام بقصائد أخرى علّه يطلق سراحه، ويخلي سبيله. وقد أشار إلى ذلك أخوه عبد الرحمن بن الحسن البهكلي بقوله: «وأنشأ في مدة إقامته قصائد طنانة إلى الخليفة، منها هذه القصيدة الفريدة يتشوق فيها إلى الوطن، ويصف للإمام مالاقاه من الشجى والسجن. وكانت من أسباب إطلاقه» (٣)، ومما قاله فيها متسائلاً، ومتشوقًا إلى بلدته أبي عريش:

وكيف أثيلات الحمى وأراكه
ذوائبه تهفو على عذب الرند

وكيف الكثيب الفرد في ذلك الحمى
سقى سفحه صوب ملث من الرعد
مغاني الغواني والشبيبة والصبا
ومرتع أيام الصبابة والوجد
ذكرت بها عهدا، وما كنت ناسيًا
فسيان عندي حالة القرب والبعد
فبعدًا لأيام النوى ما أمرّها
فكم جرعتني علقم البين والصد
عفا الله عن هذا الزمان فإنه
زمان خداع لا يدوم على عهد (٤)

ومن الواضح أن أبرز العناصر النفسية التي اشتملت عليها هذه الأبيات ، قد تمثلت في: الحنين إلى الوطن، والشعور بالغربة والألم، إذ أشار الشاعر إلى شيء من مظاهر البيئة الطبيعية في وطنه، واستعاد ذكرياته الخالية القديمة، كما صوَّر حاله وقد أضناه النوى، وأضرّ به البعد، ولكنه كان كعادته يُحْكِمُ التوازن بين عواطفه فلا يَنْقم على الوشاة المُغْرِضين ولا يسخط من الأقدار، انظر إليه وهو يقول:

لئن مسني من طارق الدهر حادث
فما نالني غير الذي زاد في وجدي (٥)

وإذا كانت ظاهرة الحنين في شعر أحمد بن الحسن البهكلي قد اصطبغت بنغمة الحزن والتأمل، فإنها قد اتسمت في شعر الشعراء المنفيين إلى مصر بروح الشوق، والحيرة، والعذاب. ومن هؤلاء الشعراء الأمير محمد بن أحمد المتحمي، والأمير مداوي بن أحمد المتحمي، والقاضي عبد القادر ابن علي العواجي (-١٢٣٥هـ). أما محمد بن أحمد المتحمي، وولده مداوي بن محمد المتحمي، فإن موقفهما قد ازداد ثباتا حينما تعاقبت غزوات جيش محمد علي باشا على منطقة عسير، وانتهى الأمر بأسرهما عام ١٢٣٣هـ وإرسالهما إلى مصر، حيث أُودعَا في سجن بالقاهرة. وكانا في هذه الأثناء يبعثان بالقصائد إلى ذويهما وأهليهما في عسير، إذ يقول أولهما:

سقى الله أوطانا تحف بتهلل
وجاد عليها هاطل المتركم
منازل حلتها مفيد وعلكم
ومالك والأحلاف من عهد آدم

* * *

ألا أيها الركب اليمانون وقفوا
لأصْحَبكم مني وصية هائم
إذا جئتم الوادي المنيعَ بتيّة
فعوجوا صدور اليعملات الروازم
إلى طبب حيث الصوارم والقنا
بأيدي رجال من خيار الأكارم
ولي عندكم لو تعلمون وديعة
يقوم بها ذو نسبة في المتاحم
لآلئ عقد شتت الدهر شملها
فأضحت فرادى ما بها كف ناظم (٦)

وإذا كان الأمير محمد بن أحمد المتحمي قد صور حاله وهو في المنفى بمصر، فإن ابنه مداوي ابن محمد المتحمي قد وصف كذلك حنينه وذكرياته وهو سجين مع أبيه هناك، ومن شعره في هذا الشأن قوله:

تحية صب قد برى الشوق جسمه
وأدمعه من حر نار الجوى تجري
فيا حبذا تلك الديار وإن نأت
ولا حبذا مصر وإن كُنْتُ في مصر

* * *

فجسمي بمصر والفؤاد لديهم
ودمع عيوني بَلَّ تسكابه حجري
وإن جَدَّ بي شوقي فبيني وبينهم
قفار ترد الريح منحطم الصدر (٧)

ومن الملاحظ أن هذه الأبيات جميعها قد صوَّرت ما أدرك هذين الشاعرين من الحنين والشوق، وما مسّهما من الآلام والحزن، فلقد أخذ محمد بن أحمد المتحمي يتعلل بالآمال وينظر إلى فسحتها من خلال موروث أجداده، ومكانته في قومه، في حين غلب الوَجْدُ على ابنه وهو يتجرع الألم، وقد غصّ بالشجن فدموعه قد انتثرت سوافحا، وأحاسيسه تفيض بالشوق إلى الوطن، وأماكن الصبا، إنها الغربة والشعور بالحنين وحسب!

أما القاضي عبد القادر العواجي الذي مات في سجنه بمصر سنة ١٢٣٥هـ، بعد أن عانى ضيق الأسْر وقسوته، فقد حاول أن يصف حاله ويصور حنينه، وشوقه إلى وطنه وأطفاله فنظم قصيدة أشار إليها الحسن بن أحمد عاكش بقوله: « فمما وجدته من شعره بقلمه أيام إقامته بمصر، ولعله يتشوق إلى أحبابه، ومواطن سكانه وأترابه هذه القصيدة (٨)، ومنها:

يا زمانًا فيه قضينا اشتياقا
أترى عائدًا زمان الوصال
كاد قلبي يذوب شوقا وحزنا
إن تذكرت ما مضى من ليال
يا فؤادي هوّن عليك قليلاً
كل شيء مصيره للزوال
واسأل الاجتماع منه بمن تهـ
ـواه من حبة(٩) ومن أطفال (١٠)

ورغم ما في هذه الأبيات من ضعف شعري، إلاّ أن الإحساس بالألم والشعور بالغربة قد دفعا هذا القاضي إلى نظم هذه القصيدة للتعبير عما يُكِنّه من الحنين والشوق إلى الوطن والأهل، ففي النداء الذي بدأت به هذ الأبيات شيء من الألم والحزن، ثم في بيته الثالث إدراك للمصير الأبدي، ورمز لغربته وعذابه، وكانت كلمة أطفال في البيت الأخير تشير إلى حنينه الصادق نحو أهله بالمخلاف السليماني بتهامة، وتدل على شعوره بالوحدة واليأس، ولذلك فقد أشار الشاعر إلى ذكرياته، وحاول أن يستجلي من خلالها أيامه الماضية وزمانه الخالي، وما بقي في خياله من ذكرى لأطفاله وأحبته ورغم أن هذه المؤثرات النفسية قد افتقرت إلى النسج الفني، إلا أنها لم تخل من مشاعر الحسرة والحيرة والحنين (١١)، ويضاف إلى ما سبق شعر الشبان طلاب العلم المهاجرين، ولكنه لا يرقى إلى شعر من سبقهم، مما دعا إلى إهماله في هذه الدراسة الموجزة.

الهوامش والتعليقات:

(١) الحمى: قرية شرقي بلدة ضمد.
(٢) الحسن بن أحمد عاكش، «عقود الدرر»، ورقة ٥.
(٣) «نزهة الظريف في حوادث دولة أولاد الشريف»، ص٢٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٦) هاشم سعيد النعمي، «تاريخ عسير في الماضي والحاضر»، ص٦٣
(٧) المصدر نفسه، ص٦٤.
(٨) الحسن بن أحمد عاكش ، كتابه السابق، ورقة٦٤.
(٩) كذا في الأصل من أجل الوزن.
(١٠) الحسن بن أحمد عاكش، كتابه السابق، ورقة٦٤.
(١١) عبد الله أبو داهش، «الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية»، ص٣١٥.

القصة في الأدب العماني

محمد محمود عبد الرازق

توفر يوسف الشاروني، أثناء إقامته في عُمَان، على دراسة الثقافة العُمانية من جميع جوانبها، تشهد على ذلك دراساته ومقالاته عن التاريخ والبيئة والعلم والفن التشكيلي والمسرح والشعر المنثور ـ الذي يسميه النثر الغنائي ـ والشعر والأدب والقصة والرواية. وصنَّف هذه الأعمال في ستة كتب: «سندباد في عُمان»، «قصص من التراث العُمَاني»، «أعلام من عُمان»، «في ربوع عُمان»، «ملامح عُمانية»، «في الأدب العُماني الحديث».

ولما كانت القصة هي مجال تفرده مبدعًا وناقدًا، فقد اهتم بفن القَصِّ اهتماما فاق ماعداه من الفنون. فتحدث عن القصة التراثية، والقصة المعاصرة، والقصة في الشعر. ويؤرخ الشاروني لبداية النهضة العُمانية بتولي السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم عام ١٩٧٠ ـ أي بعد ثلاث سنوات من نجاح إحدى شركات النفط في استخراجه وتصديره ـ. ففي خلال سنوات قلائل عرفت البلاد الصحافة والإذاعة والتلفزة، وسارت بخطى سريعة نحو التحول من مجتمع قَبَلِي إلى مجتمع مدني. وأصبح المناخ مهيأً لظهور أجناس أدبية جديدة، فظهرت القصة والرواية، ولم تكن عُمان ـ قبلا ـ تعرف من فنون القص سوى الحكاية الشعبية والشعر القصصي والمقامة.

ونشرت وزارة الثقافة والتراث القومي بمسقط عام ١٩٨٠م: «مقامات أبي الحارث» للشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني، لكنها لم تُعْنَ بالتعريف بالمؤلف، كما لم تذكر تاريخ مولده أو وفاته. وعدة هذه المقامات خمس، كُتبت بأسلوب المقامة الذي يحتفل بالمحسنات البديعية إظهارًا للمهارة اللغوية، ويعتمد على راوٍ وأديب.

أما الراوي فهو هلال بن إياس، وأما الأديب فهو حارث بن الأرقم المكني بأبي الهيثم(١).

وكتب الشيخ عبد الله بن علي الخليلي(٢) ست مقامات، عني بدراستها الدكتور الطاهر مكي والدكتورة نورية الرومي، وألقيا بحثيهما عنها في حفل تكريم المنتدى الأدبي بالسِّيب للشيخ الخليلي(٣) وراوي هذه المقامات هو أبو الصلت الشاري بن قحطان وبطلها فراهيد بن هود. ويلاحظ الباحثان أن بطل المقامات من الصَّالحين، وليس من «المكدين» كبطلي الهمذاني والحريري. وهو رجل وقور، متزن، شديد التدين، يعظ من يحيطون به، ولا يأخذ أجرًا عن عظاته، ولا يحتال أو يلجأ إلى الهزل والمزاح. كذلك يختلف الراوي في المقامتين «النزوية» و«التساؤلية» عن راوي مقامات سَلَفَيه في التزامه جانب الاستماع. وتضيف الدكتورة نورية الرومي تجنب الخليلي للألغاز والتورية. كما تختلف مطية الراوي عنده عن مطية عيسى بن هشام والحارث بن همام. فهو يركب سيارة فخمة المظهر، أنيقة المنظر، متينة المخبر، إن ركبتها قَرَّت، وإن وطئتها فَرَّت. ويضيف الدكتور مكي أن مقاماته مستوحاة من التاريخ العربي والقصص القرآني، إلا أن موضوعاته مستقاة من حياتنا المعاصرة، كما أن أبيات الشعر التي استعان بها من تأليفه.

ولايستطيع أحد أن ينكر دور الرائد الكبير عبد الله بن محمد الطائي (١٩٢٧ ـ ١٩٧٣م) وزير الإعلام والشؤون الاجتماعية والعمل الأسبق. ففي مجال الصحافة أنشأ جريدة «الوطن»، وكانت له إسهاماته في الشعر والدراسة الأدبية، وفضل الريادة في كتابة القصة والرواية. والمعروف أنه كان دائم الترحال في البلاد العربية، وله صلات وثيقة بكثير من الأدباء. وتعرفت إليه في الرياض عام وفاته، إذ كان في زيارة لجريدة «الجزيرة»، وكنت وقتها أكتب عمودا يوميا بها تحت عنوان: «كلام شرف». فرأيت فيه مسامرا لبقًا يُوَجِّه ناصية الحديث إلى اهتمامات جلسائه، بلباقة وسلاسة، كما كانت له نظرات حضارية ثاقبة. ويتكون تراثه القصصي من روايتين، وأربع قصص قصيرة لم تُجمع بين دفتي كتاب، أولها يدور حول الأوضاع المتخلفة في عُمان قبل النهضة. ومحور الثلاث الأخريات أوضاع الفلسطينيين بين المهجر والأرض المحتلة. وكتب آخرها عام وفاته بعنوان «دُوَّارُ جامع الحسين». وأُتيح ليوسف الشاروني الاطلاع عليها عند أبنائه. وقصتا: «دوار جامع الحسين» و«عبد

البـديع» ـ في نظره ـ أقـرب إلى التقـارير الإخبارية، كما أن شخصياتهما كاريكاتورية.

أما القصة التي أسماها الشاروني: «مأساة صبحية» فهي أكثرها نبضا بالحياة.ويرى أن الطائي كان روائيا قبل أن يكون كاتبا للقصة القصيرة (٤)

وفي مجال الرواية ترك لنا الطائي روايتي: «ملائكة الجبل الأخضر»(٥) و«الشراع الكبير»(٦). واختار ـ في الثانية ـ مرحلة حاسمة في تاريخ عُمان تبدأ بالاحتلال البرتغالي في بداية القرن السادس عشر، وتنتهي بطَرْد المحتل في منتصف القرن السابع عشر مؤكدًا على ضعف التفكك وقوة الاتحاد على المستويين المحلي والقومي.

وتتحرك الرواية بين جيلين: الجيل الذي شهد بداية الاحتلال، والجيل الذي تمكن من طرد المحتل. في البداية نلتقي بالسفينة «شاهين» وهي تبحر من ميناء زنجبار في طريقها إلى مسقط، فتقابل السفينة «الدَّانة» الهاربة من «سوقطرة» بعد أن احتلها «البرتكيس» أو «البرتغاليون». واتفقوا على أن تكون مهمتهم العاجلة إنذار موانئ عُمان بما حَلّ بسوقطرة حتى يتأهبوا لملاقاة العدو. ولم يكن هذا الجزء من الحركة الروائية إلا مجرد مقدمة أو تمهيد، ينتقل المؤلف بعده من السلف إلى الخَلَف الذين تم النصر على أيديهم.

ويرى الشاروني أن الطائي تجاوز إلى حَدٍّ بعيد مرحلة البداية الروائية التي مرت بها البلدان العربية، وتتلخص في تضخم الذات على حساب الموضوعية الفنية، وسيطرة التقليد على الابتكار، والتقرير على التصوير. وإن ظلت هناك شوائب من هذه السِّمات مازالت عالقة بفنه الروائي. وَيُنَوِّه في النهاية بدوره الريادي في تاريخ الرواية العُمانية «بل ربما الرواية الخليجية أيضًا»(٧). ونستثني من ذلك الرواية السعودية التي يبدو أن الشاروني لم يَطَّلع عليها. فقد ظهرت أول رواية بالحجاز عام ١٩٣٠م (١٣٤٩هـ) بعنوان: «التوأمان» للرائد عبد القدوس الأنصاري مؤسس مجلة «المنهل». وتعد هذه الرواية من الأعمال المبكرة التي اهتمت باللقاء بين «الأنا» و «الآخر».

وتعتبر رواية: «الشراع الكبير» ثاني عمل عُماني يهتم بهذا الصدام. أما العمل الأول فينتمي إلى «أدب السيرة الذاتية» وهو: «مذكرات أميرة عربية» للسيدة سالمة (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م) بنت السلطان سعيد بن سلطان،

صراع الحضارات قضية رئيسة في الرواية العمانية

سلطان عُمان وزنجبار من ١٨٠٤م إلى ١٨٥٦م، وكتبتها عام ١٨٧٧م، ونُشرت باللغة الألمانية في برلين عام ١٨٨٦م، والترجمة العربية بسلطنة عمان عام ١٩٨٣م. والعمل الثالث في هذا الإطار هو رواية: «رمال وجليد» لسعود بن سعد المظفر.

ويحرص عبد الله الطائي على تطعيم لغته بألفاظ عُمانية من حين لآخر، ليمنح أسلوبه اللون المحلي مع احتفاظه بالعربية الفصحى.

وكذلك فعل سعود بن سعد المظفر. فروايته: «المعلم عبد الرزاق» أكثر التصاقا بالطبقات الشعبية من الرواية السابقة عليها: «رمال وجليد». من أجل هذا ازدحم أسلوبها بألفاظ البيئة العُمانية الصميمة، وقامت هذه الألفاظ بوظيفتها الفنية محددة سِمَات بيئتها.(٨)

وبعد روايتي الطائي لم تظهر رواية أخرى إلا عام ١٩٨٨م، حين نشر سيف بن سعيد السعدي(٩) روايتيه: «جراح السنين» و «خريف الزمن». وبدأ سعود بن سعد المظفر (١٠) نشر قصصه المبكرة في الصحافة العُمانية في أوائل السبعينيات، ولم يفكر في نشرها في مجموعات إلا بعد ما يزيد على خمسة عشر عاما: «يوم قبل أن تشرق الشمس» (١٩٨٧م) «وأشرقت الشمس» (١٩٨٨م). وفي نهايتها قصتان بعنوان: «وأشرقت الشمس» و«المعلم عبد الرزاق» أو «ليلةالشفق». وكانت هاتان القصتان نواة روايتية: «رمال وجليد» (١٩٨٨م) و«المعلم عبد الرزاق» (١٩٨٩م). وتُعَبِّر قصة: «المعلم عبد الرزاق» عن رؤية الكاتب القصصية لعُمان قبل عام ١٩٧٠م. أما: «وأشرقت الشمس» فَعَنْ رؤيته لما بعد العام المذكور. وهي أطول ماكتبه المؤلف من قصار القصص. ولذلك شعر يوسف الشاروني أنها «كالثوب الذي ضاق على جسم ممتلئ». وهذا ما جعل مؤلفها يلجأ إلى شكل «البانوراما» التي يتخللها خيط قصصي من حين لآخر. فقد كان يريد التقاط كل زوايا التغيير الذي حدث على مدى خمس سنوات، ويمكن أن تكوّن كل شخصية من شخصياتها أو حدث من أحداثها محورًا لموضوع روائي. وقسمها إلى ثمانية فصول وكل فصل إلى مقاطع، والمقاطع بعضها تقريري وصفي، وبعضها تصويري درامي يزدحم بالشخصيات والحوار. وتتلاحم المقاطع معا مكونة البناء المعماري للقصة (١١).

واحتفظ المؤلف بقصة: «المعلم عبد الرزاق»

كما هي في بداية روايته، وجعلها أول أجزائها وأعطاها العنوان الثاني في القصة القصيرة: «ليلة الشفق». أي إن القصة القصيرة لم تكن منذ البداية سوى فصل من رواية. وظلت شخصياتها تلح على مؤلفها وفي مقدمتهم «راشد» الذي أوقعه سوء حظه في يد ساحر أَوْهَمَنا أنه مات على نحو ما انتهت إليه القصة القصيرة، ونحن نواريه التراب مع المعلم عبد الرزاق وخادمه سلوم. لكن راشداً لم يمت، أو كما جاء في نهاية الرواية: «أخذني أناس ذوو بأس.. كانوا أحيانا يضربونني، كنت أعيش في الكهوف والسيوح . كنا دائما نسير.. نسير

رائد الرواية العمانية تجاوز بدايات الرواية العربية

أياما كثيرة.. نطلع جبالا.. ننام تحت الشمس في العراء.. نأكل قليلاً .. نشرب قليلاً.. كنا دائمًا جائعين ظامئين (١٢).

وقضية السِّحْر تلح على المؤلف كما تشي بذلك قصصه القصيرة، فقد ظهرت في: «نهاية جيل» بمجموعته الأولى، و «حكاية من قريتي» بالثانية. وفي القصص الشعبي العماني كثير من هذه القصص شأن الشعوب الأخرى. وتأثرت قصة «المعلم عبد الرزاق» بقصة «فتاة نزوى» المنسوبة إلى شاعر مجهول. ومعظم أحداث الرواية تقع في عتمة الليل الموحش لتحطيم الفواصل بين عالمي الموت والحياة. ويتحقق الجو الضبابي الذي تقع فيه أحداث الرواية بأكثر من وسيلة، منها اختيار مجموعة من الألفاظ كالليل البارد، والسكون المطبق، والمنازل القديمة الشاحبة. واستخدام أفعال المطاوعة والأفعال المبنية للمجهول، وعدم الإفصاح عن أسماء الشخصيات في مقدمات الأحداث والفصول.

وينجح الجيل الجديد في شَقِّ طريق في «السيح الأحمر». ومعنى ذلك تغيير البيئة، وبالتالي تغيير العقلية المتخلفة، بالقضاء على عزلة أماكن كانت تتيح المجال لنشاط «الظّلام» أي السحره: «فَشَقُّ الطريق في الصخور يتبعه بالضرورة شق طريق في العقول والصدور، تماما كما شَقَّ سعود بن سعد المظفر بروايته «المعلم عبد الرزاق» طريقه في عقول قرائه وقلوبهم»(١٣). وثمة اختلافات بين القصة القصيرة: «وأشرقت الشمس» ورواية: «رمال وجليد» المنبثقة منها، لعل أبرزها أن الصراع بين الحضارات كان مجرد خلفية في القصة القصيرة، بينما يبرز ـ في الرواية ـ كمحور روائي. ويدل عنوانها على ذلك. فالقادمة من الغرب «جبل جليدي» تجابه ابن عمان «عاصفة رملية عاتية».

ولقد تعرضت القصة القصيرة العمانية لهذا التلاقي عند أحمد بلال(١٤)، وبدرية الشحي(١٥)، لكنها كانت تفصل في القضية بطريقة مسطحة؛ فالغرب هو الشَّرُّ، والشرق هو الخير. أما في «رمال وجليد» فتبدو العلاقات معقدة ومتشابكة. ويضع سليمان «صديق العائلة» يديه على ثمرة من ثمار التنازع الحضاري حين يقول لشيرين (الزوجة الأجنبية): «زوجك في بلدك غيره الآن، فالبيئة تواري طبائع وتفرز أخرى في الشخص الواحد، وغربة الإنسان في بلد جديد إما أن تجعل بذوره أقل تماسكا كالنبتة التي تشتل حديثا في غير أرضها، وإما أكثر تقوقعا، دفاعا عن هويته، لاسيما إذا كانت إقامته في بدايتها أو عابرة»(١٦)

ويميز العنصر الأسيوي الأدب الخليجي بصفة عامة. وهو وإن كان لايحتل مكانة بارزة، ويقبع في أسفل الهرم الاجتماعي الذي تركزت أحداث الرواية حول قمته، إلا أنه ـ بالرغم من هامشيته ـ بمنزلة القاعدة التي يرتفع فوقها هذا الهرم. فهم الخدم والطهاة والسائقون والسكرتيرون والسعاة والزوجات أيضا. والزواج من الغرب يختلف عن الزواج الآسيوي. فهو في الغرب يتم بالاختيار الحر، أما المرأة الآسيوية فتضطر إلى قبوله لفقرها. وتستنكر «شيرين» جَلْب العُمانيين لأناس من البنغال بكثرة، واعتمادهم عليهم، وائتمانهم على الحرمات: «أسَّدتم الخراف والنعاج.. من أدخل إنسانا بيته، فلا يغضب أن يراه فوق سريره. شرّبوكم لعبة العمل والبعد عن البيوت، وهم في كل زاوية لاهون، جيلكم لا يحب الفخلة ولايعرفها.. أصبحتم لا تأكلون إلا أكلهم.. أذواقكم مُسِخَت، بُدِّلت..الكل بعيد عن الكل الآن»(١٧).

ويذكر الشاروني أن الصوت صوت المؤلف، وليس صوت الزوجة. وهو ـ في نظرنا ـ صوت شجاع يضع يده على الداء في جرأة، وبلا مواربة. وهذا الموقف يذكرنا بموقفه من «العمالة الأجنبية»، فقد سألت شيرين سليمان عن أمنيته فأجاب: «الحكمة أن نكون في كل موقع، ونشتغل في كل شيء حتى نعلم.. أيّ الحضارتين أقوى..». وتنقل شيرين عن آخرين أن الأمر وصل حد شعور الآسيويين بأن العُمانيين لايستطيعون العيش من دونهم: «هم كل شيء وبدونهم لن نستمر، وما حصل بأيديهم وحدهم». فيفرغ سليمان مشاعره

بحدة - كما يقول الشاروني - وربما باستعلاء عرقي، قائلاً: «عندما تشعر أدنى الطبقات فلنُسمِّها المنبوذة، التي هي نتاج حضارات لم تكن شيئا مذكورا، فتصبح.. فالشعور والإحساس افتراض قائم»(١٨).

وإذا كانت الرواية قد بدأت بحرص شيرين على عيسى حتى الطلاق فقد انتهت بحرصها عليه حتى الموت. فالعلاقة بينهما - من وجهة نظر شيرين - لم تنته بالطلاق، فهناك ابنتهما وما بينهما من معاملات، كما أنها مازالت تحبه. أعطت خادمته البنغالية «مادة» تضعها في شرابه لتنقلب معدته وتهيج كبده فيُقلع عن الإدمان. وكانت الجرعة أكبر من احتماله

نجح الجيل الجديد في شق طريق في (السيح الأحمر)

فقضت عليه. ويرى الشاروني - بذكائه النقدي - أن الغرب والشرق الآسيوي تضافرا على العُماني بدعوى إنقاذه فكانت نهايته. ورغم ذلك كله فإن لقاء الرمال والجليد لايزال ممكنا، «ففي أثناء المحاكمة كان دفء جسم سليمان المتسلل إلى يد شيرين المرتجفة يسري إليها كتدفق رمال ملتهبة إلى صحراء جليدية» (١٩).

ونشر محمود الخضيبي أول مجموعة قصص عُمانية عام ١٩٨٣م بعنوان: «قلب للبيع». وَصَاحِبُها من جيل عبد الله الطائي(٢٠). وفيها - كما يذكر الشاروني - كل سلبيات «البدائية الفنية». فهي تجمع بين الحكاية والقصة القصيرة، ونهايات معظمها سعيدة بغض النظر عن المقدمات. ويذكر عبدالله الريامي أن مؤلفها تسرع في إصدارها، وهو «شاعر قبل أن يكون قصاصا».

وفي العام نفسه نشر أحمد بلال مجموعتيه: «سور المنايا» و «أخرجت الأرض». وفي عام ١٩٨٧م نشر مجموعته الثالثة: «لاياغريب». وتُعتبر هذه المجموعات خطوة أخرى على الطريق إلى القصة القصيرة.

والأسلوب القصصي عند علي بن عبد الله الكلباني(٢١) في مجموعته: «صراع مع الأمواج» (١٩٨٧م) يقترب إلى حد كبير من الأسلوب القصصي عند أحمد بلال.

ويمكن أن نعتبر عام ١٩٨٣م عام القصة القصيرة العُمانية. ففيه نشر سيف الرحبي(٢٢) - بدمشق - أربع قصص سَمَّاها «التباسات قصصية» ضمن كتابه: «الجبل الأخضر» الذي ضم نصفه الأول: «قصائد نثرية». وذكر أنه كتبها في الجزائر وبيروت ودمشق. والتباساته خليط من الرمزية والأسطورية و (الفانتازيا). ويعد محمد القرمطي(٢٣) من المدرسة ذاتها، فهو يستدعي التراث، وتفوح الشاعرية من قصص مجموعته الأولى: «ساعة الرحيل الملتهبة» (١٩٨٨م). ونشر صادق بن حسن عبدواني (٢٤) - في عام ١٩٨٣م أيضا - مجموعة قصصية بمجلته: «الأسرة». ثم أعاد طبعها بمجموعة: « الدجالة» (١٩٨٩م)، وتتحرك أحداث قصصه بين عوالم الأحلام والكوابيس والذكريات والعالم الخارجي، ويحقق الوحدة الفنية عن طريق وحدة الشخصية ووحدة الحدث أكثر من تحقيقها عن طريق وحدتي المكان والزمان. كما نشر حمد بن رشيد بن راشد (٢٥) - في عام ١٩٨٣م - أول قصة له. أما مجموعته: «زغاريد الصهيل» فَنُشرت عام ١٩٩٠م. وهو صوت مميز لايميل إلى الغموض الذي يأخذه على الرحبي وصحبه، وقصصه من النوع القصير جدا. وثمة أسماء أخرى تتردد من حين لآخر في الصحافة العُمانية.

الهوامش

(١) يوسف الشاروني، في الأدب العُماني الحديث، ص١٣، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٠.

(٢) ولد عبد الله بن علي الخليلي في سمائل عام ١٩٢٢م، وهو ينتمي إلى قبيلة عبس. له ثلاثة دواوين شعرية، وست مقامات هي: النزوية، الجعلانية، السمائلية، السمدية، التساؤلية، اللغوية.

(٣) أقيم الحفل في شباط (فبراير) ١٩٩٠م.

(٤) في الأدب العُماني الحديث، ص ١٨

(٥) عبد الله بن محمد الطائي، ملائكة الجبل الأخضر، بيروت، مطابع الوفاء، (د . ت)

(٦) عبد الله بن محمد الطائي، الشراع الكبير، سلطنة عمان، روى، ١٩٨١م.

(٧) في الأدب العماني الحديث، ص ٩٦.

(٨) المصدر السابق، ص ١٠٣

(٩) ولد عام ١٩٦٧م.

(١٠) وُلد في صحار عام ١٩٥١م، درس الأدب العربي والشريعة الإسلامية بجامعة الكويت، ويعمل في ديوان البلاط السلطاني.

(١١) في الأدب العماني الحديث، ص ٤٣

(١٢) سعود بن سعيد المظفر، المعلم عبد الرزاق، ص١٦١، سلطنة عمان، مطابع النهضة، ١٩٨٩ - ١٩٩٠م.

(١٣) في الأدب العماني الحديث، ص ١١٥

(١٤) ولد في بركاء عام ١٩٥١. حصل على دبلوم معهد التربية ببخت الرضا بالسودان، ويعمل ضابطا في سلطنة عمان.

(١٥) وُلدتْ عام ١٩٧١م.

(١٦) سعود بن سعد المظفر، رمال وجليد، ص٣٠، مطبعة الألوان، مسقط ١٩٨٨.

(١٧) المصدر نفسه ص ١٣٥.

(١٨) المصدر نفسه ص ١٣٨.

(١٩) المصدر نفسه ص ٢١٤.

(٢٠) ولد في سمائل عام ١٩٢٧م، عاد من الكويت إلى عُمان، والتحق بوزارة التربية والتعليم ثم وزارة المعارف، له ثلاثة دواوين من الشعر.

(٢١) ولد عام ١٩٥٦م بقرية عمق بصحار، يعمل رئيسا لتحرير المجلة العسكرية: جُند عُمان.

(٢٢) وُلد عام ١٩٥٦م بقرية سرور بولاية سمائل. أصدر خمس مجموعات من النثر الغنائي.

(٢٣) وُلد بواحة البريمي عام ١٩٥٤م، تخرج في كلية التجارة وإدارة الأعمال، جامعة حلوان، ويعمل مسؤولا عن البعثات بوزارة التربية بالبريمي.

(٢٤) وُلد في مطرح عام ١٩٤٤م، وتخرج في كلية الآداب (قسم التاريخ) بجامعة الإسكندرية عام ١٩٧٠م، وعمل بالسلك الدبلوماسي. صاحب ورئيس تحرير مجلة «الأسرة» العُمانية.

(٢٥) وُلد في مسقط عام ١٩٦٠م، بكالوريوس علوم سياسية وإدارة عامة من الجامعة الأردنية، يعمل مديراً للإعلام الداخلي



أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

الفِكْرُ شاهِدُ عَدْلٍ

كتب القصيمي مرة يزعم أن الفكر شاهد زور!

وحجته أن كل ذي فكر إذا تكلَّم إنما يحمل الناس على الإيمان باقتناعه الذاتي!.

وأن الفكر الأصيل ماكان كالنبتة تنهض تحت الإعصار والصقيع والهجير!.. وأنه ما أنتج الأفكار الصعبة المقاتلة التي هي أعلى مراحل الإنسان!.

وشجاعة الفكر عنده الشك والتكذيب!.. في رفض لغة المحاريب والصلوات!!.

وهذا الخلي من هموم الآخرة ينهى عن الخوف من الجحيم والموت والمغامرة!.

لأن الشجاعة مطلب !!.

قال أبو عبد الرحمن: من يحاول حمل الآخرين على الإيمان باقتناعه لايعني ذاته دائما مادام يحملهم بالفكر فيعطيهم البرهان ويطلبه منهم.

بل يعني الحقيقة خارج الذات، ويعني التصورات المشتركة، والأحكام اللازمة للعقول المشتركة في الجِبِلَّة والفطرة التي تحيل المحال، وتوجب المتعين، وتحتمل الممكن ، وتنقطع بالإذعان عند انتهاء الفكر إلى بدهية.

والنبتة لاتنهض تحت كل صقيع وهجير وإعصار، بل هناك معادلات بين قدرة النبتة على النهوض، وقدرة الصقيع والهجير والإعصار على إحباط النبتة.. هذه المعادلات قدرات بميزان في تلك الأطراف يمنحها إياهن خالقهن الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والذي كل شيء عنده بمقدار.

والفكر لايخلق القدرة، والقدرة ليست منحة فكرية، بل موهبة يهبها الذي خلق العقل ذاته وَوَهَبَهُ.

وإنما الفكر يُبَصِّر الإنسان بمكامن القدرة، ويجلو له السهول والحزون في مسالكه، فيتعامل مع الأشياء حوله ببصيرة عقلية ولمس حسي، فيقدم ويحجم في نطاق قدرته، ولا يهدر قدرته إلا فيما ينفعه.

قال أبو عبد الرحمن: وهذا الخلي يتفلسف بعبارات مجازية.. وتحديد معاني اللغة المحتملة من أهم هموم الفلسفة والمنطق.

وقد أبهم الأفكار الصعبة المقاتلة التي هي أعلى مراحل الإنسان، وحاولنا فهمها من السياق المطاط، وأن المراد الفكر النقدي الذي يشك ويكذِّب، وبهذا يُوصف بالشجاعة.

قال أبو عبد الرحمن: ليس التهالك على الشك والتكذيب شجاعة فكرية، وليس ذلك أعلى مراحل الإنسان، وإنما الشجاعة والعلو في التعامل مع الأشياء لا بالشك، ولا باليقين، ولا بالتكذيب، ولا بالتصديق.. إنما يتعامل بفكر وعلم ونزاهة.

فيكون مستيقنًا لوجود عِلْمٍ لا يشوبه

شك، أو لا ينفيه رجحان.

ويكون شاكًا متوقفًا لأنه لا علم عنده، أو لأن العلوم عنده متكافئة متضادة.

ويكذب، وينفي لعمل يقيني أو رجحاني بالنفي فيكون عالما بالعدم.. لا مجرد غير عالم.

والتعامل بغير فكر أُمَّعية وتحكم.. وبغير علم كذب. وغمط العلم والفكر ظلم.

واصطناع الشك كما فعل ديكارت يعني أن الشك وسيلة للبحث والتحليل، ولا يعني أن يتخذ الشك عقيدة.

إن للفكر في الاحتمالين المتساويين شكًا يقتضي التوقف فيهما، والذي جلب الشك تَخَلُّف العلم أو تكافؤ المعلومات.

وإن للفكر في الاحتمالين الراجح أحدُهما شكًا في صدق الراجح، ولكنه شك غير معتبر، لأن البديل التوقف وذلك ظلم سببه الغمط للرجحان.

أو الأخذ بالمرجوح وذلك أعظم ظلمًا وسفهًا، لأنه غمط للرجحان واعتداد بالمرجوح.

إذن الشك ليس مطلبًا ولاقيمة، وإنما هو تَوُقُّفٌ عند التكافؤ مع الاستمرار في البحث.

والفكر الشجاع لايدفع يقين الفكر أو رجحانه بحرية إرادية سلوكية، لأن العقل خصيصة الإنسان، وتعطيله بهذه الحرية إلغاء للميزة، كما أن مطمح الإنسان الترقي في درج العلم، ويرتد إلى الجهل بمقدار بعده عن الحقائق.

وإهدار اليقين والرجحان غياب عن الحقائق.

وإذا أريد بالشك مجرد الاحتمال فليس كل شك يقتضي توقفًا، بل يكون الشك غير مُعتَبَر وذلك حينما يدفع الاحتمال باحتمال أرجح منه.

والشك لايعني التكذيب البتة إلا حينما يقتضي التوقف في الراجح، فيكون الشك حينئذ تكذيبًا بالرجحان.

والتكذيب ليس شجاعة ولاميزة، بل التكذيب بالحقائق التي تقتضي سلوكًا رجوليًا جبن.

إنما الميزة في التصديق بالحق، والتكذيب بالباطل.

والتصديق بإطلاق سَفَهٌ وغباء لأنه يقتضي التصديق بالباطل.

والتكذيب بإطلاق سَفَهٌ لأنه يقتضي التكذيب بالحق.

قال أبو عبد الرحمن: إن القصيمي يَدَّعي الدعوى المجردة ثم يُغنِّي لها غناء رومانسيا، ويجعلها حقيقة، ويضادُّ بها حقائق الكون فيعتبر الحقائق أكاذيب بمنطق الدعوى ذات الشجن الرومانسي.

فهو يدعو إلى شجاعة الفكر، وقد أسلفت أن شجاعة الفكر المُعْتَبَرَة أن لاتُصَدِّق إلا ببرهان بيقين أو رجحان.

وأن لاتُكَذِّب إلا ببرهان بيقين أو رجحان.

وأن لاتتوقف إلا عند غياب العلم أو تكافؤ المعلومات، ولكن القصيمي ضلل باستبقاء الوعاء الذهبي وهو عبارة «شجاعة الفكر» وأفرغها من مضونها، وألقمها مضمونًا رديئًا من مَزَابله، فجعل شجاعة الفكر بمعنى الرفض لِلُغَةِ المحاريب والصلوات.

إذن العقل عند القصيمي ما تُمْليه أهواء القصيمي نفسه بحريته الإرادية السلوكية، فعلى كل عقل أن يُذعن لتحفة القصيمي أن العقل الشجاع يرفض المحاريب.

قال أبو عبد الرحمن: العقل البشري لديه علمه الفطري كإحالته بفطرته التناقض.

ولديه معارفه التي اكتسبها من خبرة الفرد، ومن خبرة البشرية، وهو الذي يحكم دون إملاء من القصيمي: أن هذه التعاليم الآتية من المحراب ليست من دين

الفكر لا يخلق القدرة، والقدرة ليست منحة فكرية، بل موهبة يهبها الخالق

الله، وأن لله دينا يُطاع، وأن تلك التعاليم دين رباني!!.

إننا لانجد عند القصيمي إلا الدعوى على العقل بأنه يرفض بإطلاق.

وأن ما يُنسب إلى المحاريب أفكار متوحشة بإطلاق.

قال أبو عبد الرحمن: لقد جعل القصيمي صفة التحدي قيمة في العقل، وليس هذا بإطلاق، وإنما التحدي لفكر ذي برهان يملكه ويواجه به باطلاً مموَّهًا.

أما ما يَعْجَزُ العقل عن تكييفه لغياب

الفكر شاهد عدل

الشاهد الحسي، أو ما يعجز عن الحُكْمِ بوجوده، أو نفيه لغياب البرهان اللزومي فلا حيلة للعقل في تحدِّيه.. وإنما يعلن العجز، وحكمه عدم العِلم لا العِلم بالعدم.

والطبيعة التي وصفها بالتوحش ووصف التعامل معها بالتحدي لم تعلن عن قدرة الإنسان وأن الطبيعة طوع يده.

بل لايزال العلم قائلاً بأن الإنسان بين ضعف الطفولة وأرذل العمر في صعود ونزول في قدراته، ومواهبه، ومعارفه المحدودة.

وأنه عَلِمَ بمواهب لم يخلقها، ومعارف حصَّلها بالتربية، وكان علمه بظواهر من الطبيعة في نِطاق حسِّه. والذي في نطاق حسه نقطة تائهة في الكون الضخم الذي لايحده ولايحصيه غير خالقه.

وكانت تلك الظواهر عصيَّة على علمه قبل أن يعلمها فكانت متوحشة.

ولم يزدد بعلمه قدرة، ولم يكتسب قدرة فوق قدرات أجزاء الطبيعة التي هي فوق قدرته، وإنما حصل له العلم باكتشاف مكامن قدرته المحدودة، واكتشف وسائل من الحيلة يستثمر بها ما صعب عليه من بعض موجودات الطبيعة.

قال أبو عبد الرحمن: والعقل في عُرْف الناس مَلَكَةٌ تُنسب إليها أفكار تتصف بالخطأ والصواب، ولايكون معقولاً إلا ما كان صوابًا.

وتُرَدُّ شطحات الفكر بالحسيات المعاينة، والقول بأن التجربة أصدق برهان إنما هو تبديد للأفكار الخاطئة بالحسِّ المُعَاين.

ولكن القصيمي عكس لغة العلم والعقل فجعل صواب العقل بمقابل إنكار الحسِّيات، وتغيير معاني اللغة، فالشجاعة عنده أن لايخاف من الجحيم، ولهذا لابد من الزندقة والخطيئة.

قال أبو عبد الرحمن: إن كانت الجحيم في الآخرة خرافة - كما يقول كلُّ خليٍّ من هموم الآخرة - فلاشجاعة في عدم الخوف من معدوم.

ولكن لابُدَّ من برهان ينفي ربًّا مُدَبِّرًا، ويُثْبِتُ كونًا بلا خالق، ويُفنِّد براهين الشرع بالتفصيل، ولا يكابر بالإجمال والمجازفة والأسلوب الإنشائي الذي يستعمل اللفظ بغير معناه، ويطرح المعنى بغير لفظ يدل عليه كما فعل القصيمي عندما أفرغ شجاعة الفكر من مدلولها.

وإن كانت الجحيم حقا فمعنى ذلك أن خبر الشرع بها صادق والله لم يكتب الجحيم على الخلق كما كتب الموت، فلايكون الخوف من الجحيم كالخوف من الموت كما هو قياس القصيمي، لأن الجحيم دار أهل الزندقة، فنشتري النجاة منها بالإيمان.

وإن كان اقتحام جحيم لا يُقضى على من دخل فيها، ولايُخَفَّف عنه من عذابها شجاعة في لغة القصيمي، فليس ذلك قيمة فكرية، لأن الفكر يُزَنْ برجحان المنافع والمصالح، يحاكم بالحس.. والحس البشري لايطيق الجحيم.

والقصيمي يجرد المقولات من مذاهبها، ويجور على قانون الهوية ليضلل الناس، وهذا فعل إبليس.

وبيان ذلك أنه يستعمل الجحيم ويوصي بعدم الخوف منها، وهويتها مختلفة عنده عن هويتها عند المؤمنين.

فهي عند المؤمن حق، وليست حتمًا كالموت، بل جعل الله لنا اتقاءها ولو بِشِقِّ تمرة.

إذن الحكم بِنَاء على هذه الهوية، أن عدم الخوف من النار جنون لاشجاعة.

وهي عند الخلي خرافة، ولو كانت حقًا لكانت حتمية مثل الموت.

والحكم عند الخلي أن عدم الخوف منها شجاعة لأنها معدومة، أو لأنه لابد منها.

وهكذا يخلط بين الهويات ليضلل الناس بالحكم الذي يريده.

وتحمُّلُ غضب الآلهة عنده شجاعة.

والخلي يعلم أن من يخاطبهم يؤمنون بإله واحد، وأن التعرض لغضبه جنون، لأنه حق، ودينه ونعيمه وعقابه حق.

ومن الخلط دعواه أن الفكر لايُوصف بالْحِلِّ والحُرمة.

وهذه الدعوى إنما تتجه من خلي لايؤمن بربٍّ يحلل ويحرم.

أما المؤمن فقد آمن فكره بالبراهين الجلية برب يُعبَد، وشرع مُنَزَّل، فعلم أن العقل والفؤاد والسمع والبصر كل ذلك مسؤول منذ بلوغ الشرع.

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر (١٣)



حلقات يكتبها: حمد الجاسر

كتاب المبعث والمغازي لقوام السنة

(٢)

إنَّ إحياء هذا الأثر العلميِّ لعالم جليل القدر عُرف بمناصرته للسُّنَّة، وبعُلُوِّ منزلته عند علماء السلف، لاَ يحول دونه عدم تحريه الصحة في بعض ما يُورد من أخبار، أو تساهله في بعض الأحاديث التي يسوقها دون أن يذكر سندها أو منزلتها لدى المحدثين، مما سيُمِرُّ على القارئ ببعضها، ومنه حديث أبي ذَرٍّ الذي ساقه في أثناء حديثه عن حوادث السَّنَة العاشرة - دون مناسبة ظاهرة - بهذه الصورة: (قالوا: وفي هذه السَّنة دخل أبو ذرٍّ رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وهو وحده فقال: يا أبا ذَرٍّ إنَّ للمسجد تحيةً قال: وما تحيته يارسول الله؟ قال: ركعتان، فقام فركعهما، ثم قال: يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة، قال: خير موضوع، فمن شاء أَقَلَّ، ومن شاء أكثر، فقال: يا رسول الله أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: إيمان بالله، وجهادٌ في سبيله، قال: فأيُّ المؤمنين أكمل إيمانًا؟، قال: أحسنهم خُلُقًا. قال: فأيُّ المسلمين أفضل؟، قال: مَنْ سَلِمَ الناسُ من لسانه ويده، قال: فأيُّ الهجرةَ أفضل؟، قال: من هجر السُّوْءَ، قال: فأيُّ الليل أفضل؟، قال: جوف الليل الغابر. قال: فأيُّ الصلاة أفضل؟، قال: طول القنوت، قال: فأيُّ الرقاب أفضل؟، قال: أغلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها، قال: فأي الجهاد أفضل؟، قال: من عُقر جَواده، وأُهْرِقَ دَمُهُ، قال: فأيُّ الصدقَة أفضل؟، قال: جهد من مُقلٍّ إلى فقير في أسْر، قال: فما الصوم؟، قال: فرض مجزئٌ وعند الله أضعاف كثيرة، قال: فأي آية أنزلها الله عليك أفضل؟، قال: آية الكُرسي، قال: يا رسول الله كَم النَّبِيُّونَ؟ قال: مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، قال: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مئة وثلاثه عشر جمًّا غفيراً، قال: من كان أول الأنبياء؟ قال: آدم عليه السلام. قال فوكان من الأنبياء مرسلا؟ قال: نعم خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم قال: يا أبا ذر أربعةٌ من الأنبياء سريانيون، آدم وشيث وخنوخ - وهو إدريس وهو أول من خطَّ بالقلم -، ونوح عليهم السلام، وأربعة من العرب: هود وصالح وشُعيب ونبيك محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء، وأول الأنبياء آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه

كتاب «المبعث والمغازي» لِقوام السُّنَّة

وعليهم أجمعين، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وبينهما ألف نبي، قال: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مئة كتاب وأربعة كتب أُنْزِل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزَّبور والفرقان، قال يارسول الله: فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلها، أيها المَلِكُ المُبْتَلَى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لتَرُدَّ عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيما صُنِع إليه، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال، فإن هذه الساعة عَوْنٌ لتلك الساعات، واستجمام للقلوب، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، فإنه من حَسَبَ كلامه من عمله قَلَّ كلامه إلا فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث: مَرَمَّةٌ لمعاش، وتَزَوُّدٌ لمعاد، وتَلَذُّذٌ في غير مُحَرَّم، قال: يارسول الله فما كانت صحف موسى؟، قال: كانت عبرًا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح، وعجبت لمن أيقَن بالنار ثم يضحك ، وعجبت ممن يَرى الدنيا وتَقَلُّبَهَا بأهلها ثم يطمئنُّ إليها، وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم يَنْصَبُ، وعجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل، قال: يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟، قال: يا أبا ذر اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّه فَصَلَّى. بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا والآخرَةُ خَيْرٌ وأَبْقَى. إنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُف الأُوَلَى. صُحُف إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ قال: يا رسول الله أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله فإنها زين الأمر كله، قال: زدني، قال: عليك بطول الصمت فإنه مَطْرَدة للشيطان وَعَوْنٌ لك على أمر دينك، وإياك والضحك فإنه يميت القلب ويذهبُ نور الوجه، قال: زدني، قال: أَحبَّ المساكين ومجالستهم. قال: زدني، قال: قُل الحق وإن كان مُرًّا، قال: زدني، قال: لا تخف في الله لومة لائم، قال: زدني، قال: يَحْجزك عن الناس ما تعلم من نفسك، ولاتجد عليهم فيما تأتي، قال: يا أبا ذر كَفَى بالمرء غيًّا أن يكون فيه ثلاث خصال: يَعْرف من الناس ما يَجْهل من نفسه، ويَتَجَسَّسُ لهم ما هو فيه، ويؤذي جليسه فيما لا يعنيه. يا أبا ذر لاعقل كالتَّدبير، ولا ورع كالكَفّ ولا حسب كَحُسْنِ الخلق.)

ثم ساق بعده خبر وَفْد عبد القيس مُسندا من طريق الإمام أحمد بن حنبل إلى ابن عباس.

ولعله بإيراد حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أراد أن يُرَوِّح على مستمعي إملائه، فقد كان يُمْلي الكتاب على تلاميذه، وغيرهم، ومستمعو الإملاء في الغالب متفاوتو الفهم مختلفو الرغبات، ومثل هاؤلاء بحاجة إلى أن يكون ما يُلْقى عليهم من العلم ملائما لعقولهم ومداركهم.

وقد يورد أيضا من الأخبار ما هو محل نظر لدى غيره من العلماء، ومن ذالك وصفه لقبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبري صاحبيه حيث قال: «أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي بنيسابور، أنبأنا عبد الصمد بن نصر العاصمي، أنبأنا أبو العباس البحيري، أنبأنا أبو حفص البحيري، أنبأنا كثير بن عبيد الحذاء، أنبأنا ابن أبي فديك، عن عمرو بن عثمان بن هانئ، عن القاسم بن محمد قال: دخلت على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلت: يا أُمَّاه اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور، لا مُشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العَرْصة الحمراء، قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقدَّمًا، وأبا بكر عند رأسه، ورجلاه عند كتفي النبي صلى الله عليه وسلم، وعمر رأسه عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم. ووصف ابن أبي فديك ذالك، فالنبي صلى الله عليه وسلم إلى القبلة، وأبو بكر رضي الله عنه رجلاه عند كتفي النبي صلى الله عليه وسلم، والذي عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه. ثم الصورة(١) التي أشار المؤلف أنه نقلها كما هي من كتاب أبي حفص أحد رواة الحديث، وكتاب ابن عمران، وهذا لم يرد له ذكر، ولكنه من مؤرخي المدينة(٢).

وقد أوضح السمهودي في «وفاء الوفا» وضع القبور الثلاثة في كتابه مصورًا، وأورد لذالك عدة صور، وساق حديث القاسم بن محمد بن أبي بكر بروايات منها هذه الرواية الواردة في هذا الكتاب،

وعلَّق عليها قائلاً (٣): «وهذه الرواية مع ضعفها مُعَارضة بما تقدم في الرواية الثانية عن القاسم بن محمد المذكور، وتلك أصح، وما سيأتي في صفة الحجرة الشريفة يَأبَى ذالك أيضا، وقد رأيتها في نسخة من كتاب يحيى رواه ابنه طاهر عنه على هذه الصورة. وقال: إنها عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها، ثم قال ابن فراس أحدُ رواة النسخة المذكورة عن طاهر بن يحيى: سألت طاهر بن يحيى أن يُصوِّر لي بخطه صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فصور لي بيده هذه الصورة) انتهى.

ومهما يكن، فالكتاب جدير بالدراسة والتحقيق، لمنزلة مؤلفه العلمية، ولإضافته مصدرا من مصادر سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، أُلِفَ في عصر متقدم.

ولن يَعدم الباحث أن يجد بين نصوصه عن متقدمي مؤلفي السيرة ما لم يرد ذكره في المؤلفات الأخرى.

مخطوطة الكتاب

لم أعرف لهذا الكتاب سوى مخطوطة واحدة في مكتبة (كوبرلي) في اسطنبول، ورد في طرتها: (كتاب «المبعث والمغازي» للشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ قوَام السُّنَّة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل علي التيمي - رحمه الله - آمين)، وأقدم كتابة عن مالك هذه النسخة ما جاء في آخرها ونصه: (أنهاه مطالعة واستفاد منه أحقر عباد الله تعالى وأفقرهم إلى رحمته وعفوه وغفرانه أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهروردي الكاتب تعريفًا في ذي الحجة المبارك من سنة خمس وعشرين وسبع مئة حامداً لله نعَمه ومُصَلِّيًا على نبي الرحمة وشفيع الأمة محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتخبين ومُسَلِّما تسليمًا كثيراً. رب اختم بالخير برحمتك). وفيها كتابات بعد هذه وختم المكتبة ونصه: (هذا الكتاب أوقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير بن عبد الله عُرِف بكبرلي أقال الله عثاره).

وتقع هذه المخطوطة في (٢٠١) ورقة عنها (٤٠٢) صفحة، سطور الصفحة ستة عشر سطراً، والكتابة بخط التعليق بين الفارسي والنسخ، وكثير من الكلمات مشكلة بالحركات وبعض الحروف المتشابهة مميزة، فالسين المهملة تحتها ثلاث نقط، ومع ذالك ففي الكتابة كثير من الأخطاء الإملائية وغيرها مثل (ختالة تختل) وهي: (ختانة تختن) و (الخطب): (الخبط) و (فأرضيه): (فأرضه) و (استأمر برى): (استأمر ربي) وفي الإملاء: (يأم الصوت): (يوْم الصوت) و (أم ماذى): (أم ماذا) و (أخوا هرقل) : (أخو هرقل).

والكتابة واضحة ومقروءة، وهي كما تقدم من مخطوطات القرن السادس الهجري، وإن لم تؤرخ، وتقدم ذكر اسم ناسخها، لا أرْتَأب في هذا.

وما يضير الراغب في تحقيق هذا الكتاب أن لا يجد سوى هذه النسخة منه، فما يحويه من أخبار مما تكرر ذكره في كثير من المصادر.

صورة القبور المطهرة في كتاب «المبعث والمغازي» - ٣١٤ -

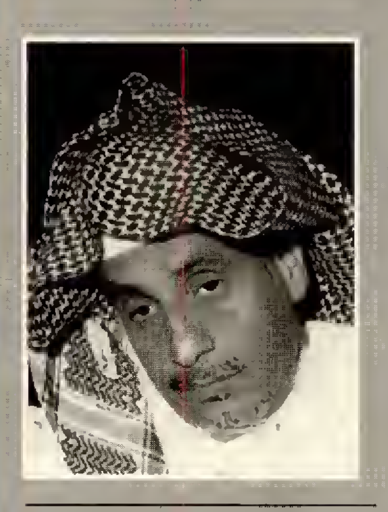
الحواشي

(١) انظر الصورة الملحقة، رقم (٥).
(٢) انظر مجلة «العرب»، س ٤، ص ٩٨ ومابعدها.
(٣) «وفاء الوفا»، ص ٥٥٤.

الفقي والإباء العنيف

قراءة معاصرة

الحلقة الأولى



د. حسن بن فهد الهويمل

لقد تَرددتُ في قبول الدعوة للحديث عن الفقي بين يديه في يوم تكريمه، فالحديث في مناسبة كهذه تستدعي الاحتفاء والتركيز على نقاط التألق. والناقد من طبيعته السعي لشدِّ الانتباه بما يثيره من تساؤلات، وما يُسَلِّطه من أضواء على الجوانب الأخرى من الشاعر، والأناسيّ بكل ما يأتون وما يذرون مظنة الخطأ. واختلاف وجهات النظر وتعدد الذائقات يتيحُ فضاءً للأخذ والردِّ، ومِن قَبْلي تردد الفقي نفسه في قبول التكريم والسماع إلى رأي الآخر فيه، هذا التردد مني ذكرني بندامة المرحوم زكي مبارك حين اعتذر من تقديم الشوقيات لما طَلَبَ منه ذلك أحمد شوقي بحجة رغبته في النقد الحرِّ غير المجامل. فالتقديم يقتضي الثناء ولما لم أشأ تكرار ندامة الكُسَعِيِّ قَبِلْتُ هذا التكليف المُشرِّف، وخُضت عَالَمَه البعيد الأغوار بثقة الشباب وجموح الواثق، وأيقنت أنني سأتحدث عن نفسي من خلال الفقي، وكم مِنْ مُتَحَدِّث شَيَّدَ أمجاده على شوامخ الآخرين، والفقي في عوالمه المتعددة صروح شامخة الذرى، تتسامى بالنقد، ويتسامى بها النقد.

وعندما عَقَدْتُ العزم على المشاركة في هذه المناسبة السعيدة وَضَعْتُ أمامي عدَّة خيارات: هل أقول كلمة مُجَامَلَة تحترق مع أضواء المناسبة. أو أقرأ الفقي قراءة مَنْ يمتلك حَقَّ القراءة، وحرية القول، وأكون واحداً ممن يجوسون خلاله بثقة واقتدار، فأقول رأيي فيه وهو رأي لن يزيد الفقي إن شَهِدتُ بما عَلِمْتُ، ولن ينقصه إنْ بَخسته حقه، إذ هو رأي أشبه ببنت الدهر التي يقول عنها المتنبي:

أبِنْتَ الدَّهر عندي كلُّ بنت
فكيفَ وَصَلْتِ أنتِ مِن الزحام

أو كَسِهَامِ مصائبه التي تتكسر فيها النصال على النصال، فالفقي عالم مترامي الأطراف تضيع في آفاقه كثير من الأصوات المادحة، والقادحة، والمنصفة، ولو أن إنساناً تنفيه الكلمات الجائرة أو تلغيه المقولات المتحاملة لكنت في عداد الضائعين، ولما

أُتيح لي مـوقفٌ كـهـذا الموقـف أُجْري في مضماره خيلي ورجلي وأجربُ فيه أدواتي .

لقـد تعلمت وسط ضجيج التكسير أنَّ الكلمة حين تُقال عنى قدحًا أو مدحًا إنما هي رصيدٌ يَتطوعُ به القائلون ويَقْتَطِعُه المتحاملون من سُمْعَتهم لسُمْعَتي، ومن ثَم كنتُ أحفل بالمقولة الظالمة حفولي بالكلمة المنصفة أو المحايدة، وتكون فائدتي من الكلمات الثلاث متسـاويةً، بل ربما يكون حظي من الظالمة أكبر مما سواها ولهذا كان تطلعي أن أكون حاضر الذهن مقروءًا من الآخرين على أي شكل، والزبدُ يذهبُ جُفاءً وما ينفعُ الناس يمكث في الذهن.

وفي أساطير بني إسرائيل ـ والرسولُ صلى الله عليه وسلم يقول: «حَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»ـ أن موسى عليه السلام سأل رَبَّه أنْ يَكُفَّ عنه ألسنة الخلق.

فقال له الربُّ متعجبًا مستنكرًا : يا موسى وهل كففت الألسنة عني حتى أكفها عنك؟.

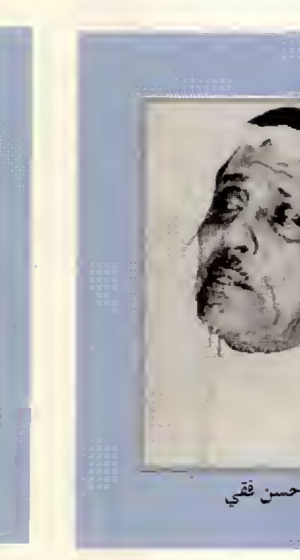
والله جلَّ وعلا يقول في محكم التنزيل: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (الأنعام: ٩١). والذين يتحدثون عن الله الذي خلقهم ورزقهم وسخَّرَ لهم ما في الأرض جميعًا يختلفون حوله حتى قالت طائفة منهم: ﴿يد الله مغلولة﴾ (المائدة: ٦٤)، بعد هذا، أيتطلع مخلوق ضعيف مثلي، أو مثل الفقي، أو مَن هو أكبر مني ومِن الفقي إلى كَفِّ الألسنة أو توظيفها لحسابه، أو حتى لإنصافه وهذا أضعف الإيمان. ﴿لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازةٍ من العذاب﴾ (آل عمران: ١٨٨).

والقادرون الواثقون الصادقون مع أنفسهم ومع الآخرين لا يبالون بما يقال، إلا بقدر ما ينبههم لخطأ يتداركونه، أو يذكرهم بصواب سهوا عنه، ليأخذوا به، وما سوى ذلك، فلغطٌ كالدخان أو القتام.

من حق المتلقي نَقْدُ الإبداع

إن من الخير للإنسان الذي عبر إلى الآخرين بفكره أو بفنه ألا يكترث بما يُقال، وأن يعرف جيدا أن من حق الآخرين أن يقولوا رأيهم فيه، فقد نَفَذَ إلى عالمهم بمقولاته، وقدم لهم مادة مقروءة تُسهم في نسيجهم الفكري والفني.

والذين يقدمون بضاعتهم إلينا عبر الكلمة العلمية أو الفنية، يجب أن يسمعوا رأينا فيما يقدمون، وهو رأيٌ متعددٌ بتعدد الأذواق والمستويات،وليس نهائيا، ولا حاسمًا وقد لا يكون مؤثرا، وإذ يختلف الناسُ في قراءة النَّصِّ وصاحبه، يكونُ النص متفوقا ومثيرا ومؤثرا، فالنصُّ الذي يتيح فضاءات واسعة، هو النص الذي يتباين الرأي حوله، ويتفرق الناس في فضاءاته، والنص المتقلصُ يقعُ في أُحَاديةِ الدلالة. إننا لا نختلف حول جملة (شرب محمد الماء) ولكننا نختلف حول: ﴿وأُشْرِبوا في قُلُوبِهِمُ العجل﴾ (البقرة: ٩٣)، وحول: (بعيدةُ مهوى القرط)، وحول ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، فهذه الجمل تمتلك فضاءات دلالية ومجازية وإيجازية تُجْهِد الفكرَ، وتُغري الذائقة وتُجنِّحُ التصور، فإذا الإنسانُ طائرٌ يخفقُ في تلك الفضاءات بقلمه أو بلسانه، أما الجملة الأحادية الدلالة فليست غنية بعطائها يفهمها المتلقي عند أول سماع أو قراءة، ثم لا يكون بعد ذلك شيءٌ. والشاعر الذي يشغل الساحة وتختلف الآراء حوله يسهم في ثرائها وفي إثراء معارف المختصين حوله، وينشئ مذاهب شتى في النقد، ولو لم يختلف النقادُ حول أبي تمامٍ والبحتري والمتنبي وأبي العلاء المعري لما اتسعت ساحة النقد، ولما خلَّف لنا الأسلافُ تراثًا


محمد حسن فقي


عبد الفتاح أبو مدين



نقديًا نُدلّ به على الآخرين.

والمتنبي الذي شغل الناس يقول في بعض تألقاته:

أنامُ ملء جفوني عن شواردها
ويسهرُ الخلقُ جرَّاها ويختصمُ

لقد تشكلت صروح المجد التي خلَّدت المتنبي من أقلام خصومه، والأديب والشاعرُ والعَالِم لا يشيعه ولا يكرسه إلا تلاطُمُ الآراءِ حول إفضاءاته، فَلْيَنَم العظماءُ عن شواردهم، وليلتذوا بهذا الجدل المشبع لهم.

لقد اختصم الأدباء والنقاد حول فحول الشعراء ولم يأبهوا بالمتشاعرين حتى قال قائلهم: إنْ كان ما يقوله أبو تمام شعْرًا فإنَّ العرب لم تَقُل الشِّعرَ. وحتى قال قائلهم: أبو تمام والمتنبي حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ومضت القرون وهؤلاء الشعراء يعيشون حضورًا مشرفا. ودعك من أولئك، فهذا شوقي سَلَبَتْه مدرسةُ الديوان الشَّاعرية، والتطمت ساحةُ النقد بمقولات متناقضة، ولم يكن شوقي شاعرًا متألقًا إلا بعد أن أوغل النقادُ في نقده. لقد كان شاعر القصرِ يوم كانت الأقلام تمجدُه وحينَ ناوأته أصبح شاعرَ الأمة، بل شاعرَ العروبة وأميرَ الشعراء، وطار ذكره في الآفاق، وأقبل المنصفون يقمعون جماح المناوئين.

لا أريد من هذا المدخل التوطئة لنقد متحامل أو مجامل. ولست أشك أن الجميع يعرفون الكثير عن مثل هذه المعارك الأدبية التي أثْرَتْ الساحة، وكَرسَتْ أقدام الشعراء والأدباء، وغرستهم في ذاكرة القارئ العربي، ونحن حين ننصرف عن أدبائنا وشعرائنا نسهمُ في عزلتهم وانطفائهم. ومن أوجب الواجبات أن نجرد أقلامنا ونقول رأينا بتجرد، ودون أي مجاملة، لكي يستمع الآخرون إلى أصواتنا كما استمعنا إلى أصواتهم، وليعرفوا عمالقة الشِّعر عندنا كما عرفنا أقزام الشِّعر عندهم. والفقي من كبار الشعراء لا في المملكة فحسب ، وإنما على مستوى الوطن العربي، ومن عجب أن حضوره أقل من حضور من هم دونه ، ولن يكون حاضر الذهن إلا بالجدل.

الإبداع المتألق والنقد المتأجج

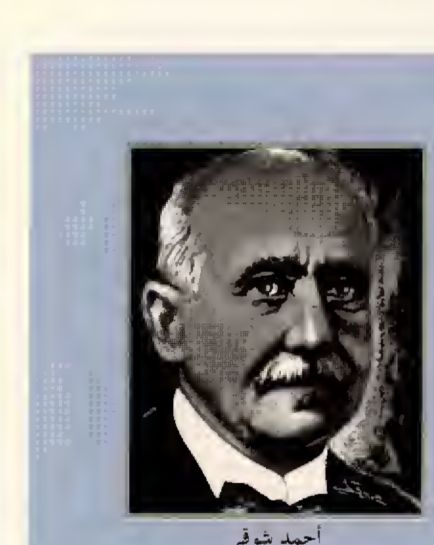
وليس مهما بعد هذا أن نتفق أو نختلف. المهم أن تكون إبداعات مبدعينا تحت أقلامنا وأن نقول رأينا فيها، ونقدمها إلى القارئ العربي، لأن طريق الخلود يعبرُ من بوابة النقد، ومن دونه لن يكون هناك أيُّ حضور. فلنبادر إلى تناول أدبائنا وشعرائنا وقصاصينا، ولنقل فيهم ما نعتقدُ ونرى، دون أي تحفظ أو مجاملة. فالبقاء للأصلح. فقط علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا مقتنعين بمقولاتنا، غير منحازين إلى فئة ولا متحرفين لمذهب، ولا متعصبين لرأي، والساحة الثقافية لكي تكون عامرة متفاعلة لابد أن يكون وقودها الإبداع المتألق ومؤججيها النقاد المقتدرون. وعندما ينطوي عمالقة الإبداع على إبداعهم، وعمالقة النقد على أقلامهم تخلو الساحة للصغار والمبتدئين، وساعتها ينطفئ وعيُ الأمة وتنحسر أمجادها وينفيها التاريخ من رحابه.

عالم الفقي الغريب والمثير

لقد جاءت رغبةُ أخي الكريم الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين، وقبول شاعرنا الكبير محمد حسن فقي بإسهامي في هذه المناسبة، حافزا لي على اقتحام عالم الفقي الشعري، وهو عالمٌ غريبٌ ومثيرٌ ومحفزٌ للقراءة وممتلئ بالمتناقضات! شكٌ وتساؤل، ألم وتشاؤم، رفضٌ وهروبٌ، إيمان وإباء، حيرةٌ وضياعٌ ،عزلةٌ واغترابٌ، ثورةٌ وهدوءٌ، وداعةٌ وشموس، سخريةٌ واسترضاء. هذه الملامح ينظمها خيط واحد هو عالم الفقي المتميز، ومن يمتلك مفاتيح هذا العالم يستطيع أن يختصره بكلمة واحدة هي


د. زكي مبارك

(الإباء العنيف). هكذا تبدَّت لي شخصية الفقي الفنية بمجلداتها الثمانية التي تنيف على أربعة آلاف وستمائة صفحة، وتشتمل على أكثر من ثمانية وسبعين ألف بيت من الشعر، تشتمل على عدد من الموضوعات التي خاضها مِنْ قَبْلِه شعراء ولاتزال يخوضها آخرون، وقد جاءت عناوينه لمجاميعه الشعرية في خمسة وثلاثين عنوانا. فمن الإسلاميات إلى العروبة والإسلام، فالعرب والعروبة، فالقوميات والوطنيات، ومن الشجون والشؤون إلى الآراء السياسية، ومن المناجاة والأماني إلى التأملات والخواطر، ومن الفكر والحكمة والطموح إلى الوجدانيات والغزليات. ومن الشباب والشيخوخة إلى شعر الصبا، ومن الصداقة والأصدقاء إلى الحقد والحاقدين، ومن الهموم والأحزان إلى الإيحاءات والسبحات، ومن التجليات الروحية إلى سيلٍ جارفٍ من الرباعيات المتعددة الأغراض والمعاني.



أحمد شوقي

وشاعرنا الفقي الذي يشكل ظاهرة شعرية غريبة في بُعديه الدلالي والشكلي يحتاج إلى عشرات الأقلام المقتدرة لكي تخترق فضاءه الفسيح، وعالمه الغريب وتمارس تثوير هذا الركام الهائل من الشعر، وتُجري حفريات عازمةً لَفَكِّ شفرته الشعرية، وتحديد أبعاده الفنية والدلالية، وتجعله في متناول القارئ على أي صورة، فالناس يختلفون في انطباعاتهم وتصوراتهم للأشياء، وليس لأحد حق التدخل في رؤية الناقد قبل أن تكون، فإذا كانت فهي كالإبداع مقولة خاضعة للرد أو القبول أو التعديل.

خصوصية الفضاء الشعري

إنه عالم تتناثر أشلاؤه في فضائه الشعري الذي يمتلك شيئًا من الخصوصية والتفرد. فشاعرنا فرغ لنفسه وشؤونه، ولم يفرغ لكيسه، ـ كما يقول طه حسين عن عمر بن أبي ربيعة ـ ، فهو لا يستحضر في لحظة المخاض إلا ذاته، وما تفيضُ به من ردود فعل عنيفة. هذه الذاتية المرتدة إلى الداخل تتماثل مع شريحتها من الأناسي، وتقترب من عالمها الإنساني، محدثة تواصلاً لايندمج مع الآخر، ولكنه يتناغم معه، وقد يرفضه في ساعة غضب فتتداح أشلاؤه، وتتدلق آلامه، وتضج أنّاته ثم لا يلبث أن يعود إنسانًا سويًا يفيضُ وداعةً ورقّةً مع الآخرين.

مرايا تعكس قبح الآخرين

في هذا الجو المشحون بالتوتر والرفض والهروب تبدو مرايا الشاعر عاكسة قُبْحَ

من حق الآخرين أن يقولوا رأيهم في نتاج المبدع ، ومن حقهم أن يختصموا فيه .

الآخرين مضخمة هذا القبح إلى حد الامتلاء وَسَدِّ الأفق، ممارسة الإحباط والتيئيس، مُفَرِّغة الإنسان من محتواه، مبقية على ماديته المتوحشة، هذه المرايا الناصعة المجسِّدة لكل دقائق الإنسان وتجاعيده تنقُلك إلى أجواء الشاعر بكل عذاباتها، ومن ثم، فإن عالم الفقي عالمٌ متميز وغريب، يريك أشلاءه مبعثرة بين السطور، فتنهض في عطف وشفقة للملمة هذا التبعثر المتعمَّد. إنه الإباءُ العنيفُ الذي يقبلُ العذاب في سبيل رفضِ الاستسلام والمصالحةِ مع الآخر.

هذا الرجل الشامخ بإبائه، المتعالي بتعففه، المنعزل برفضه، يقترب من الآخرين حتى التداخل، ويبتعد حتى الغياب التام، وذلك سر الإشكالية في السيطرة على الفقي، وإخضاعه للدرس الموضوعي المنصف.

هذا المدخل يحدونا لدخول عوالم الفقي الدلالية والفنية، وهو دخول القارئ الذي يتوخى الصدق مع نفسه ومع الآخرين، ولا يقطع بصحة ما يقول، ولا صواب ما يقرر. إنه رأيٌ يعرضُ نفسه بقدر ما يعرض الشاعر إبداعه، ويرقبُ رأيَ الآخرِ، بقدر ما يتطلعُ الواثقون إلى رأي الآخرين.





مَرثِيَّةُ جَلالَةِ الْمَلِكِ فَيْصَلَ

ربيع الآخر ١٣٩٥هـ

للشاعر الشيخ:
محمد بن عبد الله بن حمد آل ملحم

الحُبُّ حَيٌّ في القلوب جَدِيدُ ... وَالحُزْنُ بَاقٍ مَا تَمُرُّ عُهُودُ

وَالقَلْبُ مِنْ عِظَمِ المُصَابِ مُفَجَّعٌ ... فَكَأَنَّمَا سُلْوَانُنَا مَفْقُودُ

يَا حَادِثاً هَزَّ القَوَافِيَ وَقْعُهُ ... فَغَدَتْ بِكَامِلِهَا عَلَيْهِ تَجُودُ

أَحْدَثْتَ بِالتَّارِيخِ صَدْعاً بَيِّنًا ... وَالدَّهْرُ هَذَا شَأْنُهُ المَعْهُودُ

فَطَوَيْتَ «فَيْصَلَنَا»، فَيَاعِظَمَ الأَسَى ... فِيمَنْ طَوَيْتَ، وَكُلُّنَا سَنَبِيدُ

يَا «فَيْصلاً» أَحْيَا التَّضَامُنَ عَهْدُهُ ... مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ الخِلافُ يَسُودُ

فَاخْضَرَّتِ الآمَالُ بَعْدَ ذُبُولِهَا ... لَمَّا تَجَلَّى ذَلِكَ المَوْلُودُ

كَادَتْ ثِمَارُ الرَّوْضِ تُؤْتِي أُكْلَهَا ... فِي القُدْسِ ذَلِكَ هَمُّنَا المَقْصُودُ

فَقَضَى المَلِيكُ، وَكَانَ أَكْبَرَ هَمِّهِ ... تَحْرِيرُهَا، قَامَتْ بِذَاكَ شُهُودُ

آلَى وَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَمْ يَثْنِهِ ... أَمْرٌ، وَفِي الأَقْصَى يُقِيمُ يَهُودُ

وَلَكَمْ تَمَنَّى أَنْ يُصَلِّي مَرَّةً ... فِيهِ وَذَلِكَ خُلْقُهُ المَعْهُودُ

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُرَجَّى سَعْيُهُ ... وَالعَبْقَرِيُّ الفَاهِمُ الصِّنْدِيدُ

عَمَّتْ أَيَادِيكَ المَدَائِنَ وَالقُرَى ... فَإِذَا القِفَارُ مَدَائِنٌ وَحُدُودُ

ذَكَّرْتَنَا عَهْدَ الوَلِيدِ بِفِعْلِكُمْ ... هَذَا الضَّمَانُ، وَإِنَّهُ لَمَجِيدُ

وَبِلادُنَا أَغْنَى البِلادِ وَحَسْبُهَا ... زَيْتٌ غَدَا لِلْعَالَمِينَ وَقُودُ

فِيهِ تَحَدَّى «فَيْصَلٌ» كُلَّ الدُّنَا ... وَكَفَاهُ ذَاكَ المَوْقِفُ المَشْهُودُ

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُسَدَّدُ رَأْيُهُ ... بِالحَقِّ أَنْتَ الفَارِسُ المَعْدُودُ

فِي كُلِّ دَرْبٍ مِنْ دُرُوبِ حَيَاتِهِ ... مُسْتَبْصِرٌ وَالرَّأْيُ مِنْهُ رَشِيدُ

يَتَوَقَّعُ الأَحْدَاثَ قَبْلَ حُدُوثِهَا ... بِبَصِيرَةٍ وَالحَادِثَاتُ شُهُودُ

رَبَّاهُ إِنَّ المُسْلِمِينَ تَفَرَّقُوا ... شِيَعاً وَحَلَّ بِصَفِّهِمْ تَبْدِيدُ

يَا رَبِّ فَاجْمَعْهُمْ عَلَى نَهْجِ الهُدَى ... حَتَّى تَزُولَ حَوَاجِزٌ وَسُدُودُ

وَاكْتُبْ لَهُمْ نَصْراً يَدُكُّ عَدُوَّهُمْ ... فَعَدُوُّهُمْ مُتَجَبِّرٌ وَعَنِيدُ

وَاللهُ يَنْصُرُ مَنْ يُنَاصِرُ دِينَهُ ... وَالكَافِرُونَ مَدَاهُمُ مَحْدُودُ

حَفِظَ الإِلَهُ مَلِيكَنَا وَوَلِيَّهُ ... بِالدِّينِ وَالتَّقْوَى فَتِلْكَ جُنُودُ

وَهَدَاهُمَا بِالحَقِّ لِلْحَقِّ الَّذِي ... فِيهِ الهُدَى وَالنَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ

وَتَغَمَّدَ الرَّحْمَنُ «فَيْصَلَ» بِالرِّضَا ... وَسَقَتْهُ سُحْبٌ مَا لَهُنَّ رُعُودُ

ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ ... وَالصَّحْبِ نِعْمَ المَعْشَرُ المَعْدُودُ

وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى ... يَوْمِ القِيَامَةِ مَا أَتَى مَوْلُودُ

حوار مع



الشاعر سعد البواردي

رُؤية حول الشِّعر والحياة

أجراه : بهاء الدين رمضان السيد

الشاعر السعودي الكبير «سعد البواردي» واحد من الجيل التالي لِجيل الروّاد من شعراء المملكة العربية السعودية، تمتاز قصائده بجمال الأسلوب وسلاسته، وحسن التصوير الفلسفي القائم على خبرات حياتية ووجدانية، يَتّصف بالتواضع وكرم الخُلق.

ولد بمدينة شقراء عام ١٣٤٨هـ، عمل ملحقًا ثقافيا بالسفارة السعودية في بيروت اثني عشر عامًا، ثم عمل ملحقًا ثقافيًا في القاهرة ثلاثة عشر عامًا. شارك بكثير من المقالات والقصائد في الصحف والمجلات العربية. صدر لهُ عشرة دواوين شعرية، وخمسة مؤلفات نثرية، وكتيب فيه قصص قصيرة، ولديه الكثير من الكتب والدواوين الشعرية المخطوطة، منها كتاب «رحلات حول العالم»، و «تجربة مع الشعر الشعبي»، و «مجموعة قصص للأطفال»، وكثير من الكتب المخطوطة التي تقارب (٢٨) مُؤَلَّفًا... وقد كان لنا مع الشاعر سَعْد البواردي هذا الحوار.

الشعر والشاعر

ـ يقال: «إن الشعر لغة الورود»، فهل تذكر تلك اللحظة التي بَدَأَتْ تَنْطلِقُ من نبعكم هذه اللغة الجميلة؟ ومتى قلت فعلاً: «أنا الآن شاعر»؟ وما الفترات الخِصْبة إبداعيًا عندكم؟

ـ قد لا أتفق مع مقولة «أن الشعر لغة الورود».. إذا ماكانت تلك الورود في معزل عن الأشواك التي تحيط بها، وتبني جدار شخصيتها.. وإلا استسهلنا الشعر وألغينا من أذهاننا السُّلم الشعري الذي يقول:

الشعر صعبٌ وطويل سُلَّمه
إذا ارتقى فيه الذي لايعلمُهْ
زلّتْ به إلى الحَضيضِ قَدَمُهْ

قد تكوَن أصدقَ صيغة نعطيها للشعر أنه لغة «الوجود» بكل مايعنيه من حب وحرب.. من سعادة وحزن.. من أمل وألم.. من قبول ورفض.. ولن يكون الشعر شعرًا حين يتجرد من مقوّماته تلك.. ولن يكون الشعر شعرًا إذا ما انطلق من قناة ذاتية ضيِّقة لا تصل إلى أبعاد الإنسان.. وقيَمه.. وتباريحه.. وإذا ما جاء ميِّت المضامين.. جامد الصور...

إذ الشعرُ لم يَهْزُزْكَ عند سماعه
فليس خليقًاأن يُقالَ له شِعْرُ

أما عن اللحظة الشعرية التي تسألني عنها وفيها بداية الانطلاق.. فلا أذكرها بالتحديد.. لأنني أجهل متى نظمت شعرًا أعتزّ به، نعم كانت هناك محاولات مبكرّة أسمِّيها شعرًا وليست بشعر.. إنها أشبه باللوغاريتمات التي يصعب فك حروفها.. واستنباط ما يمكن أن نسميه بالصورة الشعرية المجازة.. إن العبرة لأي شاعر ليست في بدايات شعره أو في نهاياتها، إنها تبدأ متى وجدت نفسها حرة دون قيد، واضحة دون غموض، وتلك هي البدايات التي أجهلها حتى هذه

الشاعر سعد البوادري رؤية حول الشعر والحياة

اللحظة.. ومع هذا كله فإنني أحسب نفسي متطفلاً على عالم الشعر مهما كان عدد إصداراتي، أو عدد أبياتي. وحين يقاس شاعر ما بإبداعاته فإنني بالقطع مازلت طالبًا صغيرًا في مرحلته الابتدائية لم يشب عن الطوق بعد، وإلى حين أرضى ويرضى الآخرون عن معطياتي الشعرية فإنني دون مستوى الشعر ودون مستوى الشاعر بمفهومه الحي الواسع.

ـ نلاحظ في قصائدكم علاقة واضحة مع الفلسفة والتربية. فما مدى صحة ذلك؟ وما رأيكم كمثقف وشاعر عربي في فلسفة الأدب أو ارتباط الأدب بالفلسفة؟

ـ إذ كنتم تلاحظون تلك العلاقة فهذا حُسْن ظن بما تقرؤون، وقد يكون كذلك أولا يكون، فتلك رؤية تُحددها أبعاد الصورة الشعرية، وتمازجها مع الصور الفلسفية، وحسب علمي فإن المنطلق الفلسفي هو الذي يحرك دولاب الفكر: شعره و نثره، ويسمو به فوق مستوى الضحالة والضآلة، فالحياة ذات وجهين: ظاهر وخفي، ومايبدو لنا واضحًا لايحتاج إلى ما يُجلّيه، قد يحتاج إلى من يُجَسِّده، أما الخفيُّ من الحياة حيث النفس وما تبطن، حيث الروح وما تخفي، حيث المستقبل وغيبياته فإن العدسة الفلسفية اللاقطة وحدها هي التي تستطيع سبر الأغوار، والإبحار في عالم مستور بضباب المجهول، تلك هي معلوماتي عن الفلسفة وتمازجها باللوحة الشعرية إن وُجدت، وهي نفس إجابتي عن الفقرة الأخيرة من السؤال عن فلسفة الأدب، وارتباطه بالفلسفة.

ـ منذ ديوانكم الأول، وحتى قصائدكم الأخيرة توجّهون خطابكم إلى الأطفال في كثير من القصائد، فهل فكرتم في الكتابة شعرًا للأطفال؟ وماذا يُمَثِّل لكم كتاب «رسائل إلى نازك»؟

ـ من يكون الأطفال بالتحديد؟ ألسنا نحن جميعًا أطفالاً كبارًا؟ ليست المهمة أجسامنا بل أحلامنا.. لقد اخترت أن أجعل من نفسي حقل تجارب لكل أخطاء البشر في بعض مؤلفاتي، وبالذات في «رسائل إلى نازك»، نازك هذه هي ابنتي، أردت أن أقول لها ما أخشى أن تقع فيه، أو يقع فيه غيرها بعد الكبر، إن أحدًا لن يقبل أن أنسب إليه خطأ اجتماعيًا حاولت الكشف عنه، وإلا لكانت المقاضاة والحساب، أردت برضائي أن أكون كبش فداء يتحمل الأوزار، وينقل نصيحته للصغار، أما الكبار!! فإنهم فوق مستوى النصيحة إلا إذا جاءت من الشخصية ذاتها، إنها من الآخرين غير مستجاب لها لأنهم كبار!! أما أطفالنا أمل المستقبل فإن الأمانة تقتضينا أن نواكبهم خطوة خطوة، لأن دروب الحياة شائكة متعرّجة من الصعب عليهم وحدهم اجتيازها دون تجربة تدلهم وتقرّبهم من أهدافهم، وإذا كانت الرسائل النثرية إلى «نازك» هي الأكثر التصاقًا بأدب الرسائل، فإن غيرها شعرًا أو نثرًا يأخذ نفس المنحى، ولكن بصفة غير مباشرة، باستثناء ديوان صغير لم يُطبع بعد مُوَجّه منّي إلى «فدوى» ابنتي الثانية.. يخاطبها من خلال الحكاية (الحدّوته) الشعرية المنتزعة من حياة الحيوان وصراعه من أجل البقاء.

الشاعر والأمة

ـ تحمل أشعاركم العديد من المشكلات العربية الراهنة والمختلفة. كيف ترى ـ بعين الشاعر والإنسان ـ هذه المشكلات؟ وما الحل الذي تقترحونه؟

ـ الشاعر ..أوالكاتب، ضمير أمته، بل إنه أشمل وأوسَع دائرةً.. إنه ضمير إنسانيّته وآدميتّه، من هنا فلا غرابة أن يرصد الشاعر أو الناثر ـ أيًّا كان موقعه ـ أن يرصد التداعيات من حوله، فيصرخ بملء فمه محذّرًا من خطر قد يدهمه، ومن مأساة قد تعصف به..

ـ إنه صوت الجائع الذي يَتَضَوَّرجوعًا ويموت في الصومال وغيرها.

ـ إنه صوت الحرية الذي يدافع عن الأراضي المحتلة، محاولاً أن يدفع عنها قهر المحتل وإذلاله.

ـ إنه صوت العقيدة والعدل الذي يَتَهَدّج ويذوب مع الدماء التي تسيل وتسيل على أرض البوسنة والهرسك.

ـ إنه صوت التوحيد والوحدة الذي يوجعه أن يرى عالمه العربي مفككا تحكمه التناقضات والأطماع الفردية.

ـ إنه صوت الإنسان على البسيطة يفرح مع الفَرِحين، ويحزن للحزانى، هكذا يجب أن يتعامل الفكر مع واقعه دون أن يتقوقع، ويتقزم؛ تلك هي الصورة التي ربما لو تضافرت مع غيرها من الصور لأمكن لها أن تساعد على حل المشكلات أو على الأقل رسم أرضية صالحة مساعدة للحلّ.

أشكال القصيدة الحديثة

ـ تكتبون الشكلين العمودي، والتفعيلي (الحُر) فما رأيكم في الخلاف القائم حتى الآن بين

أصحاب الشكلين؟.

- من ناحية المبدأ يجب أن نُعَرِّف الشعر من خلال خصائصه ومضامينه على أنه مشاعر متدفِّقة تُصَاغ في قوالب من الكلمات، ذات جَرْس موسيقي متناغم وموصول، ضمن إطار من التفعيلة التي تمايز بينه وبين النثر الفني.. فالشعر إيحاء متدفق.. ومجموعة أخيلة وصور تُصَاغ في قوالب فنّية ميسورة الفهم بالنسبة للمتلقي، يخرج منها القارئ.. أو السامع وقد استشرف مراميها وأدرك مقاصدها وتعامل معها حسًا ونفسًا. وإذا كان الشِّعر المقفّى هو الأصعب فهذا لأنه بحر متموِّج متعدِّد المراكب لا يقدر على الإبحار فيه إلا متمكن من أغراضه البلاغية، وقوافيه ومفرداته. والشعر الحر، كما أفهمه، هو ذلك الذي يمتلك كل المقومات الفنّية للشِّعر، إلا أنه يعتمد على عدة أوزان وربما عدة قواف وبحور، شريطة أن تكون الصورة الشعرية فيه بكل مقوماتها متكاملة دون فجوات تفصل بعضها عن بعض، ومن خلال جرس موسيقي لازم، أما ما يتجاوز ذلك فهو مجرد نثر فني للقصيدة، لاتحكمه القواعد الشعرية التي مايزت ما بين الشعر والنثر. إن النثر الفني الذي يسميه البعض شعرًا ليس أكثر من اقتباس أخذناه من تجربة الترجمة للشعر الغربي إلى العربية، وأصبحنا نكتب على منواله مُقَلِّدين ..

المرأة

- ماذا تُمثل لكم المرأة في حياتكم، وفي شعركم أيضا؟ ومارأيكم في المرأة كمُبْدِعة؟

- المرأة نصف المجتمع، من دونها لا وجود لي.. ولا لك، حتى لو كنا أحياء، المرأة هي أمي وأختي وبنتي.. هي سكني وأمني، هي الصدر الذي يريحني من كل هواجسي ومتاعبي، هي ملهمة الشعراء في شعرهم، هي أوجاعهم حين يفشلون في الحُبّ، هي دواؤهم حين يُقَدَّر للحب أن يستجيب.. المرأة هي الحياة بعينها، والحياة ليست نعيمًا أبدًا.. وليست جحيمًا أبدًا.. إنها والرجل توأمان لقَدَرٍ واحد فيه النعمة وفيه النقمة، فيه الشبع وفيه الجوع، فيه الإبداع والابتداع...

النقد والتراث

- كثير من المبدعين يتكلمون عن أزمة النقد، فهل هناك أزمة في النقد من وجهة نظركم؟ ألست معي في وجوب أن يسعى المُبدِع إلى الناقد إذا وجد منه تكاسلاً؟

- اسمح لي أن أحدد مفهوم الناقد كما أتصوره...

الناقد الأدبي أشبه بالطبيب المشخص، والجرَّاح الذي يحدد أسقام الجسد.. ويُحكِم مشرطه بأمانة لينتزع أصل الدَّاء، ثم يُقدِّم الدواء..

هكذا الناقد بنفس المؤهل يجب أن يكون متخصِّصًا ومؤهلاً منهجيًا وعلميًا كي يستطيع أن يميز مواطن الخطأ والصواب.. مواطن الضعف والقوة. ولكي يكون لدينا نقد يجب أن يتوافر لنا ناقد مُتَمكن، لايخضع في نقده للمؤثرات الشخصية ولاينصرف في نقده عن مرحلة الموضوع إلى مرحلة الشخص، النقد هو جلاء للصورة كي يزاح عنها الغبار، أو الصدأ، وهذا الناقد للأسف غير موجود على الساحة الفكرية بالقدر المطلوب لإغنائها.

ولو أننا أمْعَنّا النظر في واقعنا النقدي لأدركنا أن الذين يصولون ويجولون ويُنَظِّرون هم الأبعد عن الفهم والإدراك بقواعد النقد وأبجديّاته، من هنا فإن الساحة الفكرية تشهد لونًا من الفوضى والعراك والمهاترات الكلامية الهلامية، التي تشوِّه مرآة واقعنا الفكري، وتنال من نقائها، وليس من واجب أي مبدع أن يسعى إلى الناقد إن وُجد، فالناقد صاحب رسالة وتبعة تفرضان عليه أداء دوره دون سعي، وإلا فإن تركيبة الكيان سوف تختل متباعدة بعضها عن بعض.. هذا ما أتصوره.

- التراث العربي، ماذا يمثل بالنسبة لكم؟ وما أهم الشخصيات التراثية التي تأثرتم بها؟

- التراث هو حصيلة حياة، وتاريخ .. ومن لا أمس له لا غد له. ولو أننا فهمنا تراثنا ووعيناه كما يجب الفهم والوعي، ولو أننا احتسبناه رصيدًا لنا نحرص على الحفاظ عليه من خلال منجزاته وإعجازاته، ولو أننا بوعي الحاضر والمستقبل عملنا بنفس حماسة الذين أعطوا لنا هذا التراث وأضفنا إلى تراثهم إبداعات جديدة وإثراءات على مستوى العلم والمعرفة، لو أننا - بمسؤوليات الآباء والأجداد - صنعنا فوق ما صنعوا، لأمكن لنا أن نحتل مكانًا رفيعًا مهيبًا تحت الشمس وفوق الأرض، وما ذلك على الله بعزيز، وفي تاريخنا العظماء الذين أناروا للبشرية طريقها وأخرجوها من غياهب الظلمات إلى نور الحقيقة ابتداءً بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، مرورًا بالخليفة عمر، ووصولاً إلى الإمام العادل عمر بن عبد العزيز. ولا أنسى الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون، ولا البحتري والمتنبي ورهين المحبسين (المعري).. نماذج مُشرِّفة لتاريخنا الذي هو تراثنا الموصول بأمنيات الغد. وهناك كثيرون.. كثيرون غيرهم لايمكن حصرهم.

هجرة الأدمغة العربية إلى متى؟

فيصل مصطفى أحمد

موضوع هجرة الأدمغة والكفاءات العلمية الشغل الشاغل للبلدان العربية. فهي قد خسرت قرابة ٨٠٠ ألف من فنييها وكفاءاتها العالية حين ارتحل هذا «الجيش» من الأدمغة والخبراء إلى البلدان المتقدمة، بعد أن تولت بلدانهم تنشئتهم وتعليمهم من مواردها الضئيلة وإمكاناتها القليلة، وعقدت آمالاً عليهم لكسر حلقات الجهل والفقر والجوع والمرض.

لقد أجاب الجنرال «ديجول» في رده على أحد الأسئلة الصحفية قائلاً: «إن خسارة مئة شخصية سياسية في المجتمع الفرنسي يمكن أن تُعَوَّض لأن هؤلاء لن يشكلوا عبئًا كبيرًا في خلافتهم. لكن الخسارة لو فقد المجتمع عالمًا أو مبدعًا واحدًا، فعندها يشعر بأن جزءًا من كيانه قد فُقد».

لقد أدْرَكَتْ الدول المتقدمة، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، بتجاربها وبُعْد نظرها أهمية الدَّورالذي يؤديه العلم والاختراع والتقنية في بناء الأمم وإعلاء شأنها. فبدأت بعد الحرب العالمية الثانية في التفتيش عن رجال العلم والفكر الأجانب الدارسين في جامعاتها، وأخذت تستميلهم بشتى طرق الترغيب والإغراء، واحتل رجال العلم والتقنية العرب نسبة لا بأس بها من مجموع هذه الأدمغة والكفاءات، بحيث وصل مجموع الكفاءات العربية التي هاجرت إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٢م فقط إلى ١٧٧٦ مهنيًا وفنيًا من أصل ٩٧٥٥، أي ما نسبته ١٨.٢٪ من جملة المهاجرين ذلك العام.

وتشير المعطيات أن ثلاث دول غنية متقدمة هي الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا تستقطب ٧٥٪ من الأدمغة العربية، وكسبت بذلك ٤٤.٣٦٦ بليونا من الدولارات خلال عشر سنوات (١٩٦٢ - ١٩٧٢م)، وتدل الإحصائيات على أن مجموع المهاجرين من البلدان العربية ذوي الاختصاصات المهمة بين عامي ١٩٧٠-١٩٨٣م يقدر بما يزيد على ١٥٠ ألف مهاجر، بينهم ٢٤ ألف طبيب و ١٧ ألف مهندس و ٧٠٠ من علماء الطبيعة و ٢٠٠ عالم نووي.

أسباب هجرة الأدمغة

مما لاشك فيه أن قرار المرء بالهجرة هو في الأساس قرار شخصي يتوقف على الظروف الخاصة المحيطة بالشخص نفسه، إضافة إلى عوامل اقتصادية وعلمية وسياسية وتربوية ونفسية تُعَدُّ مسؤولة إجمالاً عن النزوح، ولعل من أبرز هذه العوامل الرواتب العالية والمغرية، وفرص العمل الواسعة والأجواء العلمية الملائمة في الخارج، وإذا أخذنا إحصاءات منظمة اليونسكو الدولية لعام ١٩٧١ تبين لنا أن من بين كل ١٠٠ مبعوث عربي إلى الجامعات في بلدان العالم تبقى في الخارج من هؤلاء نسبة كبيرة، وبالتحديد ما لايقل عن ٩٠٪ من الطلاب اللبنانيين، و ٦٠٪ من الطلاب السوريين، و ٣٥٪ من الطلاب المصريين. وبالإضافة إلى العوامل السابقة هناك الأزمة الاقتصادية، ومشكلة الاستيعاب الاجتماعي في الداخل، وعدم تقدير قيمة العلماء والمفكرين. أضف إلى ذلك قوانين وتشريعات الهجرة الجديدة في الدول المتقدمة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية عُدِّل قانون سابق للهجرة بقانون يوليو (تموز) ١٩٦٨م، وأصبح يُسمح للشخص بالسفر إليها على أساس علمه واختصاصه بغض النظر عن قوميته وبلده، كما منح القانون الطلاب الأجانب - وبخاصة المتفوقون منهم - حق الإقامة والعمل وبالتالي حَوّلهم من زائرين مؤقتين إلى مقيمين دائمين.

كيف نعالج هجرة الأدمغة؟

إن هجرة الأدمغة العربية إلى العالم هي مسؤولية قومية بالدرجة الأولى. إننا نفرغ الوطن العربي من نخبة من الكفاءات والطاقات والعقول والمهارات دون الشعور بالذنب، بل وصل الأمر إلى أن قطاعات عديدة في المجتمع العربي تتباهى وتشعر بأن انتصارًا قد تحقق عندما يُرغمون عَالِمًا أو مفكرًا عربيًا على الهجرة، أو حين ينجحون في منع آخر من العودة إلى وطنه، ذلك أن التخلف الفكري والثقافي والعلمي الذي عاشه الإنسان العربي منذ مطلع القرن العشرين، والدفاع عن المصالح الفردية الضيقة، والتكالب على المنصب والنفوذ، جعل الكثيرين يشعرون بالتهديد من تنافس أصحاب الكفاءات والدرجات العلمية العالية. لكن السؤال: كيف نُحدُّ من هجرة هذه الكفاءات؟

هناك عدة إجراءات اتخذتها بعض الدول العربية المعنية للحد من هجرة علمائها ومفكريها. من هذه الإجراءات:

- تكثيف رعاية المبعوثين للبحث والدراسة والتدريب، بالرعاية المادية والمعنوية، والتوجه الجاد للاستفادة من طاقات البحث والدراسة والتدريب المتاحة في بلدان أخرى.
- تأمين الحوافز المناسبة التي ترتبط بالبحث العلمي والخبرات المتوافرة.
- مساواة الكفاءات العربية بنظائرها من الكفاءات الأجنبية.
- تقليل الشعور لديهم بالغبن بالموازنة مع زملائهم الخبراء الأجانب العاملين في بلدانهم العربية.
- العمل على تغيير قوانين الهجرة الدولية.
- العمل على قيام تخطيط تربوي وعلمي، يوجه سياسة البلد بالنسبة لاحتياجاته من العلماء والمفكرين ورجال الاختصاص.
- فصل العلم عن المناخ السياسي بإعطاء الحرية العلمية الكافية للعلماء والباحثين للعمل بحرية في مشاريعهم العلمية.

خاتمة

إن مشكلة هجرة الأدمغة لا تقل خطورة عن أية مشكلة موجودة في المجتمع العربي، إذ إن كلفة تعليم العقول والكفاءات العربية العاملة في الخارج تبلغ أكثر من ١٠٠ مليار دولار، وإن هذا المبلغ الضخم تحملته البلدان العربية. فالأمة العربية بحاجة ماسة إلى علماء وباحثين وأطباء ومخترعين ومهندسين، لأن هؤلاء عماد التطور والرقي والازدهار الاقتصادي والحضاري في عالم اليوم. فحريّ بالدول العربية أن تدعو الأدمغة والعقول العربية الموجودة في الخارج للعمل في الوطن العربي، لرفع شأنه بين الأمم الراقية بعلومهم وخبراتهم، فكما نفتخر بإرسال رجال مثقفين إلى الخارج علينا أن نفتخر بأننا نستطيع أن نستخدم عقول رجالنا في بناء وطننا العربي وازدهاره ورقيه.

المراجع:

١ - هجرة الأدمغة، إلياس زين.
٢ - مجلة العربي، العدد ١١٦.
٣ - جريدة تشرين السورية، العدد ٢٣٦٨.
٤ - جريدة الأنوار اللبنانية، العدد ٨٠٨٠

الخير لا الخيل

ولد زيد بن مهلهل، وهو شاعر من طَيّئ، في نجد قبل البعثة المحمدية، وقد اشتهر بمهارته في ضرب السيف والفروسية، حتى صار يُدعى زيد الخيل.. له قصيدة حماسية كان قد نظمها - قبل اعتناق الإسلام - في وصف البطل الفارس المغوار يمتدح فيها قبيلته قائلا:

وقومي رؤوس الناس والرأس قائد

إذا الحرب شبتها الأكفُّ المَسَاعرُ!

رحل إلى المدينة في أعقاب الهجرة النبوية، حيث لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه على الإسلام.. غير أن اسمه «زيد الخيل» لايقع عند الرسول صلى الله عليه وسلم موقع الاستحسان، فلا يلبث أن يستبدل به اسمًا آخر هو «زيد الخير».. وقد توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ٩هجرية.

هذه الواقعة تدل على طبيعة الدين الإسلامي؛ فالإسلام لايرمي إلى أن يجعل ممن يُؤمن به «زيد الفروسية»، وإنما هدفه المنشود أن يكون المسلم: «زيد الخير».. ولقد كان العرب في الجاهلية يَعُدُّون السَّبق بالخيول وإظهار البراعة في ضرب السيوف من الأعمال البطولية. فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم غيّر مسار عواطفهم في اتجاه آخر، وغرس في نفوس القوم توجُّها جديدا، إذ رَغّبهم في أن يكونوا حاملي لواء الخير.. وأن يكون التنافس بينهم في ميادين الخير عبر القيام بجلائل الأعمال المؤدية إلى النفع العام، وأن لا يعطوا البشرية تحفة الموت والدمار، بل يحاولوا التقدم إليها بتحف الحياة والنمو والازدهار!

وبالإمكان القول حسب التعبير العصري بأن الإسلام يستهدف إيجاد أناس مبدعين (Creative). فالإيمان بالله يستثير كوامن الخلق والإبداع لدى المرء، ويحيله إنسانا آخر جديدا من كل النواحي والاعتبارات، بحيث يرتفع تفكيره عن مستوى التفكير العادي، ويعود سلوكه أسمى من سلوك الآخرين، ويتحول إلى إنسان سماوي مع كونه لايزال يعيش على الأرض!!

إن المطلوب من المؤمن هو أن يكون «زيد الخير» لا «زيد الخيل»، وفي هذا يكمن بإيجاز سِرُّ الشخصية الإيمانية.

وحيد الدين خان

من اليهودي في إسرائيل؟

قضية قديمة لاتزال تبحث عن حل

د. سعيد عبد السلام العكش

وقعت صراعات كثيرة حول بعض القضايا الدينية منذ قيام إسرائيل (١)، على أن قضايا الزواج والطلاق كانت هي القضايا التي ظل الصراع حولها حاداً ومستمراً، وبقيت بغير حل إلى الآن. فمن حين لآخر تثور مشكلة الأحوال الشخصية، وقوانين الزواج والطلاق، وتتخذ هذه المشكلة بالذات شكلاً سياسيًا حادًا، يهدد الوزارة دائمًا بالسقوط، بل يحمل نُذراً وخيمة العواقب للمجتمع الإسرائيلي كله، لأن قضية الزواج والطلاق تَمُسُّ جوهر نسيج هذا المجتمع ، ومِن ثم تمس أساس الدولة، إذ إنها الدولة الوحيدة التي أُقيمت من أجل أبناء دين واحد محدد، فالمهاجر إلى إسرائيل لا يستطيع اكتساب الجنسية الإسرائيلية إلا إذا كان يهوديا، وذلك وفقا لقانون العودة الصادر في ٥يوليو عام ١٩٥٠م، والذي استُكْملت أحكام قانونه بقانون الجنسية الصادر في ١٤ أبريل عام ١٩٥٢م، والذي ينص في مادته الثانيةَ على أن: « كل مهاجر بالمعنى المقصود بقانون العودة يصبح مواطنًا إسرائيليًا» (٢).

قانون عجيب للجنسية

لقد بذلت محاولات يهودية كثيرة لتحديد الإجابة على هذا السؤال، وهذا التحديد يُعد من المشكلات الرئيسة التي تواجه اليهود والحركة الصهيونية . ولكن السؤال ازداد حدة وإلحاحًا منذ قيام إسرائيل، وهو سؤال وثيق الصلة بتلك الحيرة الفكرية (الأيديولوجية) التي تعاني منها إسرائيل أشد مما تعانيه أية دولة أخرى، فهذا السؤال في أي بلد في العالم ليس فيه مشكلة لأن قوانين أي دولة من دول العالم تعطيها حق منح جنسيتها لمن تشاء، ومن حمل جنسية الدولة صارت له حقوق مواطنيها، إلا أنه توجد مع ذلك شروط موضوعية معينة تطبقها أغلب الدول، وهذه الشروط الموضوعية تتضمن اجتياز فحص طبي، وحسن السيرة والسلوك، والحد الأدنى للسن هو ١٨ سنة، ومدة اجتياز يختلف مداها بين خمس وعشر سنوات ولادخل لعامل الدين في هذه الشروط الموضوعية التي تتطلبها أغلب الدول فيما يختص بالتجنس (٣). أما في إسرائيل فالأمر مختلف تماما، فقانون الجنسية الإسرائيلي يخالف مبادئ القانون الدولي الخاص المتفق عليه بين الدول فيما يتعلق باكتساب الجنسية، ذلك أن العناصر الأساسية لحق الحصول على الجنسية بموجب مبدأ العودة هي عنصران: أن يكون يهوديًا، وأن يعود إلى إسرائيل. وقد تم إدخال تعديل على قانون الجنسية في مايو ١٩٧١م بحيث أصبح يُسْمَحُ لأي يهودي يُعْرِب عن رغبته في الإقامة في إسرائيل بأن يصبح مواطنا إسرائيليا «ولو لم يتحرك قيد أنملة» (٤). وهنا تكمن النقطة المحيرة في قضية تعريف اليهودي في النظرية الصهيونية الأساسية المسماة «الشعب اليهودي»

فالصهيونية ترى أن أتباع الدين اليهودي ـ بصرف النظر عن محل إقامتهم أو جنسيتهم ـ يشكلون كيانًامتميزاً ومستقلاً يُسَمَّى: «الشعب اليهودي».

وتتفق الصهيونية في الرأي مع التعاليم التوراتية على تعريف

اليهودي بأنه: «الشخص المولود من أم يهودية أو اعتنق الدين اليهودي». الأمر الذي يعني أن معيار«اليهودي» قائم على العنصر (انتقال الدم من الأم)، أو على أساس الدين (اعتناق اليهودية)، ولا يكون دخول اليهودية هذا مقبولاً إلا بموافقة حاخام من الأرثوذكس الذي يتخذ إجراءات متشددة مع من يريد اعتناق اليهودية لعله يفلح في صرفه عن الدخول في «شعب الله المختار!».

وعلى ذلك لا يتمتع بقانون العودة ويستفيد من مزاياه في دولة إسرائيل إلا من تحقق فيه الشرطان السالفان.

غرض استيطاني

والغرض الصهيوني من وراء هذا التعريف «لليهودي» هو غرض استيطاني لتبرير العودة إلى أرض فلسطين على أنها وطن أجداد اليهود، ادعاء منهم بأن نسب اليهود المعاصرين يتصل عن طريق الأم بأولئك الذين سكنوا أرض كنعان القديمة (فلسطين) باعتبار أن الأم هي المرجع اليقيني غير المشكوك فيه الذي يمكن اتخاذه أساسًا لعمود النسب، رغم أن علم الأجناس «الأنثروبولوجيا» والتاريخ يؤكدان أن يهود اليوم نتاج التقاء واختلاط شعوب عديدة (٥). بالإضافة إلى أن الصهيونية تريد أن تربط بين الدين والقومية لربط الإسرائيليين بيهود العالم على أساس أنهم ينتمون جميعا إلى «القومية اليهودية».

وقد أثار هذا التعريف «لليهودي» درجة كبيرة من التوتر على مستوى الحياة العادية للمواطنين داخل إسرائيل. فهناك اليهود الذين جاءوا إلى إسرائيل بزوجات غير يهوديات، ليكتشفوا أن معنى ذلك أن أولادهم لن يكونوا يهودًا، أي مواطنين كاملين ، وهناك الذين اعتنقوا اليهودية تحت ظروف مختلفة في الخارج، ثم لم تعترف الجهات الرسمية الدينية بذلك في إسرائيل.

وقد أثيرت هذه القضية بحدَّة لأول مرة عام ١٩٥٠م ـ أي بعد إعلان قيام إسرائيل مباشرة ـ بسبب هجرة بعض اليهود الذين اصطحبوا معهم زوجاتهم «الأجنبيات» أو غير اليهوديات أو المتهودات على يد حاخام إصلاحي. وقد أحضر هؤلاء المهاجرون بطبيعة الحال أولادهم المنحدرين من الأمهات غير اليهوديات، ولكن لتشجيع الهجرة أصدر وزير الداخلية أمرًا بالاستمرار في تسجيل هؤلاء المهاجرين وأولادهم وإعطائهم الجنسية الإسرائيلية. وهنا ظهر اعتراض الجماعات الدينيةاليهودية الأرثوذكسية في إسرائيل والمهيمنة على الحياة فيها. فقد أصرّ أعضاء هذه الجماعات على ضرورة تعريف اليهودي بأنه من وُلِدَ لأم يهودية وتهوّد على يد حاخام أرثوذكسي حسب الشريعة اليهودية، ولذا فلايجوز في نظر الحاخامين اعتبار أبناء المهاجرين الجدد يهودًا (٦).

الأم اليهودية.. مشكلة!

ونورد على سبيل المثال قضايا حيرت الإسرائيليين، وأوضحت مدى المشكلات التي ترتبط بموضوع «تعريف اليهودي»، من ذلك مشكلة يهود الهند، وقضية السيدة ريتا إيتاني، والراهب دانيال، والضابط شاليط (٧)، وهي مشكلات هزّت أركان الكيان القضائي في إسرائيل وحيرت قضاتها ومشرّعيها.

فيهود الهند حينما هاجروا إلى إسرائيل ومعهم زوجاتهم «الأجنبيات» وأبناؤهم، وأمر وزير الداخلية بقيد الأبناء كيهود، ثارت الأحزاب الدينية وانسحبت من الوزارة وهددت بإسقاط حكومة بن جوريون عام ١٩٥٨م، ولكن حفاظًا على الائتلاف القائم تمت تسويات فردية دون المساس بجوهرالمشكلة.

المحاكم الإسرائيلية تكيل في أحكامها بمكاييل متعددة في قضايا الجنسية

أما السيدة ريتا إيتاني ممثلة حزب الماباي في المجلس البلدي للناصرة سنة ١٩٦٠م، فقد أثيرت قضيتها حينما عارضت تقديم المساعدة المالية لإحدى المدارس التابعة للهيئات الدينية في إسرائيل، فثارت ثائرة الأحزاب الدينية، وبحثت في ماضي السيدة إيتاني إلى أن حصلت على معلومات تشير إلى أن أمها ليست يهودية، ومن ثم فقد شككت في يهوديتها، واعتبرت أن زواجها من يهودي لا يجعل منها يهودية لأن الأم غير يهودية.

وبرزت المشكلة بصورة أكثر حدة في قضية دانيال الشهيرة. فقد ولد أزوالد ريفيسون في بولندا من أم يهودية، ولكنه ارتد طواعية إلى المسيحية بعد ذلك، وأصبح يدعى الأب دانيال من الرهبان الكاثوليك، وعندما هاجر إلى إسرائيل في عام ١٩٥٨م، تقدم بطلب ـ على أساس أنه يعدّ نفسه يهوديًا ـ إلى وزير الداخلية يرجو منحه الجنسية الإسرائيلية بمقتضى قانون العودة والشريعة اليهودية ـ أي من وُلِدَ لأم يهودية حتى ولو تحول عن الديانة اليهودية (٨) ـ ولكن طلبه قوبل بالرفض، فرفع قضيته أمام المحكمة العليا،

قضية قديمة لاتزال تبحث عن حل

ولكنها رفضت طلبه وبُنيَ الرفض على أساس ما أسمته المحكمة: «الوعي التاريخي للشعب وتقاليده»، وأصدرت عام ١٩٦٢م حكمها الذي نصّ على أن اليهودي الذي يعتنق ديانة أخرى لا يحق له التمتع بالامتياز الممنوح لليهود في ظلّ قانون العودة. وقد أُقرّ هذا المفهوم بصفة نهائية بموجب تعديل أُدخل على قانون العودة ووافق عليه البرلمان الإسرائيلي في عام ١٩٧٠م، ونصّه كما يلي: «لغرض هذا القانون فإن «اليهودي» يعني الشخص المولود لأم يهودية أو اعتنق الدين اليهودي ولا ينتمي لدين آخر» (٩).

وعندما ظهرت قضية الضابط البحري بنيامين شاليط فجرت مشكلة تعريف اليهودي بشكل حاد، وتتلخص قضيته في أنه تزوج من فتاة مسيحية، وأنجبت منه أطفالاً، وعندما تقدم بطلب لقيد أبنائه كيهود، ملأ البند الخاص بالقومية فيه بكلمة «يهودي» وفي مقابل بند الدين دَوَّن كلمة «لاشيء»، ورفضت السلطات الإسرائيلية اعتبارهم يهودًا لأنهم من أم أجنبية (غير يهودية)، أي إنهم أجانب. ولكن شاليط رفع شكواه في منتصف فبراير ١٩٦٨م إلى محكمة العدل، وأصر على تحدي التفسير التوراتي الذي يُعيِّن هوية الشخص اليهودي تبعا لتحدره من صُلْب أم يهودية، ورفض الانصياع لأحكام الشريعة اليهودية، مؤكدًا أن الروابط الثقافية والاجتماعية، وليست ديانة المرء هي التي تقرر مَن هو اليهودي. وقد أصدرت هيئة القضاة التسعة ـ ولم يسبق أن تألفت هيئة المحكمة في إسرائيل من مثل هذا العدد ـ حكمها بتاريخ ٢٣ يناير عام ١٩٧٠م بأكثرية صوت واحد (أي بموافقة ٥ قضاة) بأن أولاد شاليط يهود من الناحية العرقية، دون أن يعتنقوا اليهودية، وجاءت خلاصة الحكم على النحو التالي: «يجوز ألا يكون المرء يهودي المذهب أو المعتقد لكي يجري الاعتراف به كمواطن يهودي من حاملي جنسية الدولة الإسرائيلية(١٠).

تضارب الأحكام

يعني هذا أن المحكمة قبلت هنا المعيار العنصري لتقرير «هوية اليهودي»، في حين أنها أصرت على المعيار الديني في قضية دانيال، وبالتالي يتضح مدى التضارب والبلبلة في تقرير تلك الهوية.

والواقع أن هذه القوانين لم تضع حدًا للخلاف والجدل القائم حول مسألة «من هو اليهودي؟»، فقد برزت قضايا مماثلة، ولم تخرج الحلول التي تم التوصل إليها عن نطاق التسويات التي تعجز عن قطع الطريق أمام العديد من هذه القضايا في المستقبل.

ومما يثير السخرية أن الملك سليمان لو كان حيًا اليوم لما أُعتبر يهوديا، بحسب القوانين الأساسية في دولة إسرائيل التي تضع شرطًا ليهودية المرء أن تكون أمه يهودية أو أنه اعتنق اليهودية. فسليمان تبعًا لذلك ليس يهوديًا ولا حق له في التمتع بقانون العودة لأن أمه حيثية، وليست يهودية (سفر صموئيل الثاني، ١٢:٢٤)، وكذلك الملك داود لأن أم جدته «روث» كانت موآبية.

إن إسرائيل لا تواجه في الواقع قضية أحوال شخصية، ولكنها تواجه أساس فكرة الدولة، هل تبقى دولة ذات خصوصية معينة فريدة في العالم أو تصبح دولة كسائر الدول؟ هذا ما ترفضه حتى الآن لأنها مازالت ترى فيه بذور انحلال أساس قضيتها.

وإذا كانت الصهيونية قد أفلحت في إقامة دولة لليهود في فلسطين، فإن المجتمع الإسرائيلي الذي يضم فئات من يهود العالم ذات انتماءات قومية وطائفية متنوعة يقف في حيرة وتساؤل حول ماهية هذه الدولة، والطابع الذي يمكن أن يميزها من غيرها من دول هذا العالم.

وعلى هذا نجد أن قضية تعريف اليهودي تشكل ملمحًا بارزا للقلق العقدي في إسرائيل، فيدور البحث عن اليهودية الدينية والقومية في حلقة مفرغة، وتبقى إسرائيل على طابعها المصطنع وسط تضارب الآراء دون التوصل إلى تعريف محدد لليهودي.

الهوامش والمراجع

(١) على سبيل المثال قوانين السبت والأطعمة: هل يجب إيقاف المواصلات يوم السبت أو لا؟، هل يجب الامتناع عن إضاءة النور يوم السبت أو لا؟، وماالأطعمة المسموح بها دينيا ....

(٢) د. حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق ١٩٨٥م، ص٢٠.

(٣) محمد نصر مهنا، سياسة التمييز العنصري في إسرائيل، معهد الدراسات العربية، القاهرة١٩٦٩م، ص ٢٤٩.

(٤) سعيد تيم، النظام السياسي الإسرائيلي، دار الجليل، بيروت ١٩٨٩م، ص ٥٩.

(٥) راجع مقالتنا المنشورة في مجلة الفيصل، العدد٢٠٣، تحت عنوان: نسب اليهود المعاصرين.

(٦) د.عبد الوهاب المسيري، الأقليات اليهودية، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٥م،ص١٠٠

(٧) أسعد رزوق، قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١م، ص١١٠.

(٨) جاي بن شمعون، الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، القاهرة ١٩١٢م، المادة١٧.

(٩) أنيس القاسم، حق الحصول على الجنسية في دولة إسرائيل، المجلد الأول من «الصهيونية والعنصرية»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧م، ص ٣٣١.

(١٠) د. أسعد رزوق، ص ٢٢.

مصطفى صبري



شيخ الإسلام في الدولة العثمانية

مفرح بن سليمان القوسي

إنه من الدأب الجاري عند الأمم منذ فجر التاريخ عنايتها بتخليد حياة رجالها العظام الماضين، فقد جرى الدأب بِضَبْطِ شؤونِ حياة هؤلاء الرجال العامة والخاصة، وجَمْعِ ما خَلَّفوا وراءهم من آثار بغية وضع شخصياتهم في إطار محدَّد وحيِّز معين طيَّ ضمائر أبناء الأمة.

ففي ميادين التاريخ نماذج خيرة مباركة ، أدَّتَ رسالة كريمة دُوِّنت بأقلام الباحثين في مؤلفات علمية أو أدبية أو سياسية حول حياة رجالهم، إنها ركائز تبين معالم الطريق للحضارات بدلاً من أن تكون سجلاً للتراجم تُحْفَظُ في أدراج المكتبات.

وهذه الترجمة التي نحن بصددها عن حياة رجل من أبطال الأمة الإسلامية، وكبار علماء الخلافة العثمانية، شغل مقام المشيخة الإسلامية فيها أكثر من مرة، وظهر في أخطر مراحل الدولة العثمانية، وذلك في أواخر عهدها بالخلافة وأوائل عهد الجمهورية التركية، إبَّان أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وقد شهدت هذه الفترة من التاريخ تحولاً خطيرًا في الفكر والسياسة، فقد كانت الدولة العثمانية تَمُرُّ بظروف صعبة حالكة، ومشكلات وأزمات اجتماعية، وكانت تضطرم بالأحزاب والنظريات السياسية المتعددة، وتعج بالأفكار ووجهات النظر المتضاربة.

هذا العالم هو الشيخ مصطفى صبري، شيخ الإسلام في الدولة العثمانية.

نسبه ومولده

هو مصطفى صبري التوقادي ابن أحمد بن محمد القازابادي، من أب وأم أناضوليين ذَوَي نسب عريق في الترك. وُلِدَ في مدينة (توقاد) من توابع ولاية سيواس في الأناضول، في الثاني عشر من ربيع الأول من عام ١٢٨٦هـ الموافق للحادي والعشرين من حزيران (يونيو) ١٨٦٩م.

نشأ في بيت علم وفضل، وتَرَبَّى على تعاليم القرآن الكريم، حيث حفظه عن ظهر قلب وَجوَّده ولم يتجاوز العاشرة من عمره.

تعليمه

بدت على الشيخ علامات النبوغ والذكاء منذ صغره، ودرس العلوم الإسلامية دراسة مستفيضة على أيدي كبار العلماء والفقهاء في عصره، حيث درس الابتدائية في مَسْقَط رأسه (توقاد)، على أيدي أهَل الفضل ببلدته أمثال: الشيخ أحمد أفندي زولبيه زاده، ثم انتقل إلى مدينة (قيصرية) التي كانت آنذاك مركزاً من مراكز العلوم الإسلامية في الدولة العثمانية، وأخذ ينهل من مناهل العلم فيها، حيث أصَّل دراسته الشرعية على يد الشيخ محمد أمين الدوريكي، ثم انتقل إلى الآستانة حيث أتم دراسته لعلوم الشريعة في جامع السلطان محمد الفاتح، لدى العالم الفقيه الشيخ أحمد عاصم الكملجنوي، وكيل الدرس في المشيخة الإسلامية، ولما نال منه

مصطفى صبري

من كتاب العدد

مفرح بن سليمان
ابن عبدالله القوسي

- مواليد الرياض ١٣٨٠هـ.
- ماجستير في الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- يعد حاليا لنيل درجة الدكتوراه.
- محاضر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الإنتاج العلمي: رسالة ماجستير بعنوان «الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد»، «مقدمات في الثقافة الإسلامية»، إضافة إلى بعض البحوث والدراسات المتعلقة بالفكر الإسلامي المعاصر.

الإجازة العلمية تتلمذ على الفقيه الفاضل الشيخ محمد عاطف بك الأستانبولي في جامع (عتيق علي)، في حي السلطان أحمد الثالث بالآستانة، ثم تتلمذ أخيرًا على شيخ القُرَّاء - آنذاك - الشيخ كوسه نيازي أفندي، واستمر في التلقي عنه حتى نال منه الإجازة في علم القراءات.

نشاطه العلمي والسياسي

تقلد الشيخ مصطفى صبري مناصب كبيرة وعديدة في الدولة العثمانية، علمية وسياسية، بذل فيها جهودًا كبيرة، وسخَّرها لخدمة الإسلام والمسلمين، ومجاهدة أعداء الدين.

أما جهوده العلمية، فمنها:

١- عمله في حقل التدريس والتعليم، حيث بدأ في التدريس بجامع السلطان محمد الفاتح ولما يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، ثم في جامع (الآثارية) في «بشيكتاش»، ثم في مدرسة (الواعظين)، ثم في (دارالفنون)، ثم في مدرسة (المتخصصين)، وأخيرًا في المدرسة (السليمانية).

٢- اشتراكه في دروس الحضور عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، وهي دروس علمية تلقى بحضرة السلطان ويشارك فيها كبار العلماء.

٣- اشتراكه في الجمعية العلمية الإسلامية عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

٤- عضويته في دار الحكمة الإسلامية عام ١٣٣٦هـ/١٩١٨م، وهي مؤسسة علمية إسلامية تابعة للمشيخة الإسلامية تُعَدُّ آنذاك أكبر مجمع علمي في الدولة العثمانية.

٥- توليه مشيخة الإسلام عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، وهي أعلى منصب علمي ديني في الدولة.

وأما جهوده السياسية، فمنها:

١- عضويته في مجلس النواب العثماني عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م نائبًا عن أهالي بلدته (توقاد).

٢- مشاركته في تأسيس حزب (الحرية والائتلاف) عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

٣- عضويته في مجلس الأعيان العثماني عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م.

٤- توليه منصب الصدارة العظمى (رئاسة مجلس الوزراء)، نيابة عن الدامادا فريد باشا عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م.

٥- توليه رئاسة مجلس شورى الدولة في أواخر عام ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م.

جهاده العلمي والعملي

شهد شيخنا الأحداث والاضطرابات التي حصلت في الدولة العثمانية، وعايش المأساة التي مرت بها الدولة منذ بدايتها، وأدرك أبعادها إدراكًا تامًا، وقدَّر عواقبها الوخيمة ليس على تركيا فحسب، بل على الأمة الإسلامية قاطبة، لذا فقد نهض مشمرًا عن ساعد الْجِدِّ يعمل ويجاهد لإنقاذ الدولة مما كان ينتظرها، ويقاوم ويناضل بقلمه ولسانه عن الإسلام، وعن مفهومه في الحكم والحياة، وبذل مجهودًا جبارًا لإيقاظ الأمة الإسلامية من غفلتها ولتنبيهها على ما يُحاك حولها من أمور للقضاء عليها وإبادتها، ويقف بكل قوة - معتزًا بإسلامه - في وجوه الاتحاديين والكماليين(١) للحيلولة دون تنفيذ رغباتهم ونواياهم السيئة التي كانت تقف خلفها مختلف القوى المعادية للإسلام ولأمة الترك المسلمة، ويجنّد كل عزمه وإرادته لمقاومتهم سواء أكانت مقاومة عملية أم فكرية نظرية، ويتصدى لجميع المفكرين والمسؤولين في الدولة الذين أنجبتهم حركة التنظيمات العثمانية، ومن ثم حركة (تركيا الفتاة) و (الاتحاد والترقي) الذين كانوا يرون في الإسلام عقبة كؤودًا ضد التطور، والسير في ركب الحضارة، ويُضحي بكل شيء في سبيل الصدع بكلمة الحق، ويجهر بكل آرائه وأفكاره الإسلامية، ويدعو إلى تطبيقها عمليًا في كل فرصة وحين، لذا فقد اضطُهِد، واعتقل، وشُرِّد هو وأهله، ولاقى الأمرّين من حكام تركيا اللادينيين الجدد.

تنقلاته وأسفاره

اضطُرَّ الشيخ أن يخرج من بلده تركيا - مهاجرًا إلى الله ورسوله وفَارًا بدينه - مرتين في حياته: الأولى كانت في عهد الاتحاديين، والثانية كانت في عهد الكماليين، وتنقل بين بلاد عديدة(٢) وَاجَه خلالها مصاعب جمة، إلى أن استقر به المقام في مصر عام ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م، فاعتزل الجهاد السياسي وتفرغ للجهاد العلمي الشرعي، حيث دخل في مناظرات ومعارك قلمية مع العديد من أدباء مصر ومفكريها، وذلك على صفحات بعض الصحف والمجلات الصادرة آنذاك أمثال: جريدة (الأهرام)، و(المقطم)، و(الأخبار)، و(منبر الشرق)، ومجلة (الفتح)، و(الهداية الإسلامية)، و(الجامعة الزيتونية). ووقف - بصلابة وحزم - يغالب المبهورين بالحضارة الغربية من المنتسبين للإسلام المُحَرِّفين له باسم التحديث والعصرية، وفصَّل القول في مضار العلمانية، ونادى بتطبيق الشريعة الإسلامية ونبذ القوانين الوضعية، مبينًا فضل القانون الإلهي على القانون البشري، وموضحًا سمو نظر الشرع الإسلامي في تقدير الأمور حقَّ قدرها. كما أدلى بدلوه في مناقشة كثير من القضايا التي أُثيرت في عصره، وكثر حولها الجدال والنقاش وذلك في مؤلفاته العربية.

كتبه ومؤلفاته

كان مصطفى صبري مؤلفًا بارعًا متنوع الثقافة، يَغْلب على تأليفه الطابع العلمي والبحث العميق، وقد حذق فن التأليف وأجاده، لذا ترك - بانكبابه على البحث والكتابة - تآليف قيمة في مجالات متعددة، وذلك حسب ما اقتضته الحاجة، ووفقًا لصراعات البيئة الفكرية التي عاش فيها، وقد بلغت مؤلفاته سبعة عشر كتابًا منها المطبوع ومنها المخطوط، منها ما هو باللغة التركية، ومنها ما هو باللغة العربية، عالج فيها الكثير من القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية والتاريخية والأدبية، وضمَّن حواشيها شواهد تاريخية نادرة كادت تضيع في حومة الأحداث المعاصرة تَهمُّ العالم الإسلامي عامة، والعالم العربي خاصة في ماضيهما القريب وحاضرهما الرهيب.

الفصل بين الدين والسياسة مؤامرة للقضاء على الدين وهو أقصر طريق إلى الكفر.

أما كتبه التركية فهي:

«المسائل التي هي هدف المناقشة في الإسلام» (٣)، «رَدِّي على ما في القول الجيِّد من الرديء»، «القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين العصريين»(٤)، «المجدِّدون الدينيون»، «الإمامة الكبرى في الإسلام»، «صوم رمضان»، «رسالة في الإيمان والصلاة والصوم»، «صيد الخاطر» (مخطوط)، «حكم لبس القبعة والبرنيطة» (مخطوط).

وأما كتبه العربية فهي:

«النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة»، «مسألة ترجمة القرآن»، «موقف البشر تحت سلطان القدر»، «قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مُقلِّدة الغرب»، «القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لايؤمنون»، «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» (يقع في أربعة مجلدات كبيرة)، «مختارات من الشعر العربي» (مخطوط)، «حاشية على كتاب نتائج الأفكار» (مخطوط).

رحيله عن عالمنا

تُوفي في صبيحة يوم الجمعة ٧رجب عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٢ (آذار) مارس عام١٩٥٤م بالقاهرة عن عمر يناهز السادسة والثمانين، كان عمرًا حافلاً بالكفاح والنضال والجهاد في سبيل الله بالقلم واللسان، عامرًا بالخدمات الجليلة للإسلام، في الذَّبِّ عن مبادئه وأحكامه، وفي نشر تعاليمه وترسيخ أركانه، وَشُيِّعت جنازته اليوم التالي وَدُفِنَ في (الدَّرَّاسة) بالعباسية.

من أقواله:

* لو أن اليهود رموا على العالم الإنساني خمس قنابل ذرية وهيدروجينية ما كانت ستؤثر فيه، مثل تأثير خمسة علماء يهود من أئمة الكفر والضلال، وهم: ماركس الشيوعي، وداروين الاستحالي، وفرويد النمساوي، وأوجست كونت الفرنسي الوضعي، ودوركهايم الاجتماعي، هؤلاء أفسدوا وفتكوا بعقول وأفهام وأخلاق العالم الإنساني، وقد أكبرهم اليهود وعظَّموهم وجعلوا منهم أئمةً أعلامًا، فعلينا اليوم أن نقاتلهم ونحاربهم، لأنّ ديننا يأمرنا بمقاتلة أئمة الكفر، وأنا على يقين بأنه سيأتي يوم تنكشف وتظهر فيه الأخطاء والجنايات الفاحشة لهؤلاء، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

* إن بين الدِّين والدنيا مسألة العلم، تلك المسألة التي لا يمكن أن يتخلى عنها متعلمو البلاد، كما لايمكن أن تتخلى

مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية

البلاد عن المتعلمين، فمسألة العلم رابطة بين الدين والدنيا وتمنع الدنيويين أن يتخلوا عن الدين.

* أضاع المسلمون - في عصرنا الحاضر - الدنيا والآخرة، لكن إذا أرادوا أن يكونوا أقوياء في الدِّين والدنيا معًا، ويُبعثوا إلى الحياة مرة ثانية قبل مبعث الآخرة، فطريق الوصول إلى هذه الغاية هو التمسك بالدين الإسلامي، وأخذ القوة من قوته حتى القوة الدنيوية إلى حد أن نغلب الغالبين.

* إن الفصل بين الدِّين والسياسة مؤامرة بالدين للقضاء عليه، وهو ثورة حكومية على دين الشعب بل ارتداد عنه من الحكومة أولاً ومن الأمة إذا سكتت ثانيًا، وهو أقصر طريق إلى الكفر.

* إن من أعظم آثار فصل الدِّين عن السياسة فساد الأخلاق، فلا توجد واسطة تصون الأخلاق من السقوط أفضل من واسطة الدين، ولذا أصبح التقدم المشهود في بلاد الحضارة الجديدة ممتلئًا بالفسق والفجور.

* للمسلم قوتان: قوة من دينه، وقوة من عقله، ولا قوة لمن لادين له من دينه.

* في الغرب نزاع وجدال بين العلم والدين ناشئ من خصوصية دين الغربيين، وليس في الشرق هذا النزاع إلا في قلوب مقلدي الغرب الذين لايعرفون الإسلام رغم أنه دينهم.

* لانعترف بأن الأمم المتحضرة المتغلبة اليوم أعقل الأمم، وذلك لاصطدام عقول متدينيهم بدينهم، ولقصور عقول ملاحدتهم عن فهم الدين الذي هو في طليعة الحقائق العقلية العالية، ولأنه يلزم أن تكون زيادة العقل في الإنسان متنافية مع الفسق والفجور، ولأن غاية عقلاء الحضارة الجديدة أن يعيشوا ويموت غيرهم.

ليس في الشرق الإسلامي صراع بين الدين والعلم إلا في قلوب مقلدي الغرب.

* إن السقوط الديني للشرق الإسلامي أفظع عندي وأعظم خطرًا وأكثر مساسًا بكرامته من سقوطه السياسي الذي جعل له في الدنيا موقف الذل والتطفل على دول الغرب.

* لو قارنتم ما فعله السلف من علمائنا مع فلسفة اليونان بما فعله الخلف مع فلسفة الغرب لوجدتم الفرق بين قوة السلف وضعف الخلف هائلاً.

* إن تركيا العثمانية التي كان الغربيون من أعداء الإسلام قد أسموها «الرجل المريض» كانت في الواقع تمثل الحق المريض، بعد أن مثلت الحق القوي قرونًا، ثم أجهز عليها مندوب هؤلاء الأعداء الذي اختاروه من داخل تركيا - أعني مصطفى كمال - وخلق هذا المندوب باطلاً مكان الحق المريض.

* مسألة المرأة أعظم حاجز بين الإسلام والمدنية الغربية، فالمسلم الحق لا يقبل الحياة العارية المختلطة، والغربي لا يرى كحجاب النساء أكبر مانع في اختيار الإسلام دينًا له، وربما لا يشك في كونه أحق الأديان بالقبول، لكنه يصعب عليه فراق ما تعوّده من الحياة المختلطة بالنساء، وفيها حظ عظيم للنفس الأمّارة بالسوء.

* الأخلاق من غير دين عبث، والأمة من غير أخلاق أضلّ من الأنعام، وأبعد من أن يَشُدّ بعضها بعضًا، والدين لابد أن يجيء من قِبَل الله ليتحلى المتدين قبل كل شيء بمخافة الله التي هي رأس الحكمة ومعدن الشفقة على خلق الله.

* نحن المسلمين لانحتاج إلى التصوف في إثبات الديانة ضد الإلحاد، ولا في مقارنة الإسلام بالأديان الأخرى، وإنما نحتاج إلى التصوف في داخل الإسلام لترويض النفس على العمل بأحكامه لنكون مسلمين عمليين بعد أن كنا مسلمين نظريين.

* الخلافة الإسلامية عبارة عن كون حكومة ما نائبة مناب رسول الله صلى الله عليه وسلم في القيام بأحكام الشرع الإسلامي، فلها ركنان: حكومة ونيابة، فمتى ما فُقد أحد هذين الركنين مثل الحكومة بلا نيابة أو النيابة بلا حكومة، فُقدت الخلافة لأنها تكون بمنزلة وجود الكل من دون الجزء وهو محال.

* الحق أن القرآن عربي والإسلام دين عام للبشر، ولا منافاة بين عموم الإسلام وعربية القرآن.

* قال عندما اتهموه بالجمود: «أُذيبَ الجامد فنجم الجاحدُ».

الهوامش

(١) الاتحاديون: هم أعضاء جمعية (الاتحاد والترقي) وعلى رأسهم أنور باشا وجمال باشا ومدحت باشا وكل من ناصرهم وسايرهم. والكماليون: هم مصطفى كمال أتاتورك وأتباعه الداعون بدعوته.

(٢) هي: البوسنة والهرسك اللتان كانتا تحت حكم النمسا، وفرنسا، ورُومانيا، ولبنان، واليونان، ومصر، والحجاز.

(٣) هذه هي الترجمة الحرفية لاسم الكتاب الذي ورد باللغة التركية، ونصه: «دين اسلامده هدف مناقشة أولان مسائل»

(٤) هذه هي الترجمة الحرفية لاسم الكتاب الذي ورد باللغة التركية، ونصه: «يكي إسلام مجتهد لرينك قيمت علمية سي».



توصيات جمعية أم القرى



د. محمد بن سعد الشويعر

في أحاديث سابقة لأشياء من طرائف أم القــرى في المؤتمر الموهوم، حيث انبثق ذلك من خيال خصب، وفكرٍ متجرد لا عصبية فيه، ولاتجني، وإنما هو تعبير عما يحرص عليه الكاتب من روح إصلاحية للمجتمع الإسلامي، وقد ختم مؤتمره الذي لم يحضره أحد، ولم يكن له وجود في رابع أيام العيد من عام ١٣١٦هـ.

وقد جعل الكواكبي من وصايا الجمعية « وأنها لا تتدخل في الشؤون السياسية مطلقًا، وإنما عملها الإرشاد بمسائل أصول الدين والعلم، ولا تنتسب إلى مذهب أو شيعة مخصصة، من مذاهب وشيع الإسلام مطلقًا، وتوافق الجمعية مسلكها الديني على المشرب السلفي المعتدل، وعلى نبذ كل زيادة وبدعة في الدين، وعلى عدم الجدال فيه إلا بالتي هي أحسن».

وفي قرار الجمعية رقم ٦ جاء مانصه: «إن الجمعية بعد البحث الدقيق، والنظر العميق في أحوال وخصال جميع الأقوام المسلمين الموجودين، وخصائص مواقعهم والظروف المحيطة بهم، واستعداداتهم، وجدت أن لجزيرة العرب ولأهلها ـ بالنظر إلى السياسة الدينية ـ مجموعة خصائص وخصال لم تتوافر في غيرهم، بناءً عليه رأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لايقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقًا، وإن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض.

على أن لبقية الأقوام أيضا خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقامًا مهمًا في بعض وظائف الجامعة الإسلامية مثل: أن معاناة حفظ السياسة ولاسيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين، ومراقبة حفظ الحياة المدنية التنظيمية يليق أن تناط بالمصريين، والقيام بمهام حياة الجندية يناسب أن يتكفل بها الأفغان وتركستان، والخزر والقوقاس يمينا، ومراكش وإمارات أفريقيا شمالاً، وتدبير حفظ الحياة العملية والاقتصادية خير من يتولاها أهل أواسط آسيا والهند وما يليها.

وحيث كانت الجمعية لايعنيها غير أمر النهضة الدينية، بناء عليه رأت الجمعية من الضروري أن تربط آمالها بالجزيرة وما يليها، وأهلها ومن يجاريهم. وأن تبسط لأنظار الأمة ما هي خصائص الجزيرة وأهلها العرب عمومًا، وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الجنسي» ثم قال: «ولأجل إيضاح أسباب ميل الجمعية للعرب فنقول:

١ـ الجزيرة هي مشرق النور الإسلامي، ٢ـ الجزيرة فيها الكعبة المعظمة، ٣ـ الجزيرة فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة، ٤ـ الجزيرة أنسب المواقع لأن تكون مركزًا للسياسة الدينية لتوسطها بين أقصى أسيا شرقًا وأقصى أفريقيا غربًا، ٥ـ الجزيرة أسلم الأقاليم من الأخلاط جنسية وأديانًا ومذاهب، ٦ـ الجزيرة أبعد الأقاليم عن مجاورة الأجانب، ٧ـ الجزيرة أفضل الأراضي لأن تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والمزاحمين نظرًا لفقرها الطبيعي، ٨ـ عرب الجزيرة هم مؤسسو الجامعة الإسلامية لظهور الدين فيهم، ٩ـ عرب الجزيرة متحكم فيهم التخلق بالدين لأنه مناسب لطبائعهم الأهلية اكثر من مناسبته لغيرهم، ١٠ـ عرب الجزيرة أعلم المسلمين بقواعد الدين لأنهم أعرقهم فيه، ومشهود لهم بأحاديث كثيرة بالمتانة في الإيمان، ١١ـ عرب الجزيرة أكثر المسلمين حرصًا على حفظ الدين وتأييده والفخار به، خصوصًا والعصبية النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز ونجد واليمن وحضرموت وأفريقيا، ١٢ـ عرب الجزيرة لم يزل الدين عندهم حنيفًا سلفيًا بعيدًا عن التشديد والتشويش، ١٣ـ عرب الجزيرة أقوى المسلمين عصبية للدين، وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البداوة ١٤ـ عرب الجزيرة أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والأمهات والزوجات فلم تختل عزتهم، ١٥ـ عرب الجزيرة أقدم الأمم مدنية مهذبة بدليلي: سعة لغتهم، وسمو حكمتهم وأدبياتهم، ١٦ـ عرب الجزيرة أقدر المسلمين على تحمل قشف المعيشة في سبيل مقاصدهم، وأنشطهم على التغرب والسياحات، وذلك لبعدهم عن الترف المذل أهله، ١٧ـ عرب الجزيرة أحفظ الأقوام على جنسياتهم وعاداتهم، فهم يخالطون ولايختلطون، ١٨ـ عرب الجزيرة أحرص الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال وإباء الضيم، ١٩ـ العرب عمومًا: لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف، ومصونه بالقرآن الكريم من أن تموت، ٢٠ـ العرب لغتهم هي اللغة العمومية بين كافة المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠مليون، ٢١ـ العرب لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين، ٢٢ـ العرب أقدم الأمم اتباعًا لأصول تساوي الحقوق، وتقارب المراتب في الهيئة الإجتماعية، ٢٣ـ العرب أعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية، ٢٤ـ العرب أهدى الأمم للمعيشة الاشتراكية، ٢٥ـ العرب من أحرص الأمم على احترام العهود عزة، واحترام الذمة إنسانية، واحترام الجوارشهامة، وبذل المعروف مرؤة، ٢٦ـ العرب أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعًا في الدين، وقدوة للمسلمين حيث كان بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يأنفون عن اتباعهم أخيرًا.

فهذه هي الأسباب التي جعلت جمعية أم القرى أن تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية، بل الكلمة الشرقية، والجمعية تسأل الله أن يوفق ملوك المسلمين وأمراءهم للتصلب في الدين، وللحزم والعزم عساهم يحفظون عزهم وسلطانهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن يحميهم من التعصب والكبر والتخاذل والانقسام، ومن الانقياد إلى وساوس الأجانب الأضداد، وإلا فسوف يتابهم الخطر المحدق بهم وتتخاطفهم النسور المحلّقة في سمائهم ، والله الموفق وإليه ترجع الأمور» [أم القرى ٢١٧ـ ٢٢٢].

إبراهيم بولات: الحاخام السابق يؤم المسلمين

لو أن أحدًا في مدينة مرجلان بجمهورية أوزبكستان الإسلامية حدّث آخر قبل بضع سنوات بأن إبراهيم بن إسماعيل بولات يعتزم دخول الدين الإسلامي، لسَخِر منه وهزأ به، لأن بولات كان واحدًا من حاخامات يهود المدينة، وأحد المتعمقين في دراسة الديانة اليهودية، ودرس على يديه كثير من شباب اليهود، ليعرفوا منه ما يُراد لهم أن يعرفوه عن تعاليم ديانتهم وطقوسها.

لكنها إرادة الله التي شاءت أن تنقذ روح هذا الرجل، وتهديه إلى طريق الحق، عَبْرَ رحلة إيمانية طويلة، تحكي هذه السطور فصولاً منها.

نير الشيوعية

كانت مرجلان، كغيرها من مدن جمهورية أوزبكستان الإسلامية، ترزح تحت وطأة الحكم الشيوعي الذي أدخلها ـ قسرًا ـ ضمن ما كان يُسمى اتحاد الجمهوريات السوفياتية، بعد الإنقلاب الشيوعي على حكم القياصرة عام ١٩١٧م.

ذاق المسلمون تحت حكم القياصرة الأمرَّين، بحكم تعصب هؤلاء للنصرانية، والعداء الذي يُكنّونه للمسلمين انطلاقًا من تنافسهم السابق مع الخلافة العثمانية على زعامة البلقان.

إلا أن جهنم القياصرة كانت أرحم من الشيوعية ، التي أمسكت بالرقاب وكادت تحوّل الإسلام في الجمهوريات التابعة لها إلى ديانة سرية، بعدما حرمت المسلمين ـ خاصة ـ من كل الحقوق التي يتمتع بها أي مواطن في أية دولة، وهدمت المساجد، ومنعت الجهر بالآذان بدعوى أن «الدين أفيون الشعوب»، وطَبَّقت هذا المبدأ على المسلمين خاصة، بينما أتاحت لغيرهم حرية محدودة.

الإسلام يُمارس سرًا !

وسط هذا الجو غير المهيأ لنمو الحركة الإسلامية، عاش إبراهيم بن إسماعيل بولات، حيث أتيحت له ـ كيهودي ـ حرية نسبية، لا يحلم أيّ مسلم بجزء منها، رغم كل ما قيل ويقال عن بطش الشيوعيين وتنكيلهم باليهود، وهي مزاعم مبالغ فيها، لأن الشيوعية ربيبة للصهيونية، وعلى أيدي الصهاينة وأفكارهم وُلدت، ونمت، وترعرت.

عاش إبراهيم بولات طفولته وصباه، وهو يرى أصدقاءه من المسلمين وأهاليهم يُخفون إسلامهم، ويمارسون طقوس دينهم سرًا، محافظين على عقيدتهم، متمسكين بها، رغم الأسماء السوفياتية التي أُجبروا على التسمي بها، فأُعجب بهؤلاء القوم الذين لايبالون بالموت فداء لعقيدتهم.

رحلة مبكرة مع الإيمان

لقد كانت معيشة إبراهيم بولات في مجتمع ذي غالبية مسلمة، فرصة ليعرف الإسلام والمسلمين عن قرب، ويدرك الاختلاف بين عقيدته، وعقيدة غالبية سكان مدينته.

وبدأت رحلته مع الإيمان في مرحلة مبكرة من عمره، وبالتحديد منذ كان في الثالثة عشرة من عمره، ففي هذه السن الغضة، لم يستطع ذهنه أن يستوعب الكثير من تعاليم الديانة اليهودية كما لقنته إياها أسرته وحاخامات اليهود، إذ طالما سمع من الأسرة والحاخام أن اليهود هم «شعب الله المختار»، وماعداهم من البشر خُلقوا ليكونوا خدمًا لهم.

كان هذا يقال له، بينما هو يشاهد في الواقع أشياء مغايرة، فاليهودي لا يتورع عن الكذب، ويستحل مال غير اليهودي، ويقرض الآخرين بفائدة فاحشة، ممارسًا الرِّبا الذي نهت عنه التوراة، ويعتبر استغلاله لغير اليهودي عبادة دينية، في حين لم يجد إبراهيم بولات بين المسلمين مَن يستحل مال غيره من أصحاب الديانات الأخرى، أو ينظر إليهم نظرة احتقار، ووجد فيهم مودة ورحمة لم يجدها عند غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، فبدأ ينظر إليهم نظرة إعزاز وإكبار.

الشك في اليهودية

كانت تلك النظرة الاستعلائية التي ينظر بها اليهود إلى غيرهم من البشر، وتقوقعهم، وانغلاقهم في علاقاتهم الاجتماعية على بعضهم، من أهم الأسباب التي شككت إبراهيم بولات في صحة العقيدة اليهودية وسلامتها، ولم يكن غائبًا عن ذهنه ما يتناقله أصدقاؤه من المسلمين عن تحريف التوراة، وكون الكتاب المقدس الموجود لدى قومه حاليا قد دخله تزوير الأحبار، الذين ساءهم أن تخرج النبوة من بيت يعقوب ـ عليه السلام ـ، إلى بني

عمه من أولاد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -.

وارتأت أسرته، وقد لاحظت تشككه في عقيدة آبائه أن تُلْحقه بدراسات دينية، كي تقوي عقيدته، وفي الوقت نفسه، يتبوأ مركزًا بين أبناء الطائفة اليهودية حين يصير حاخامًا.

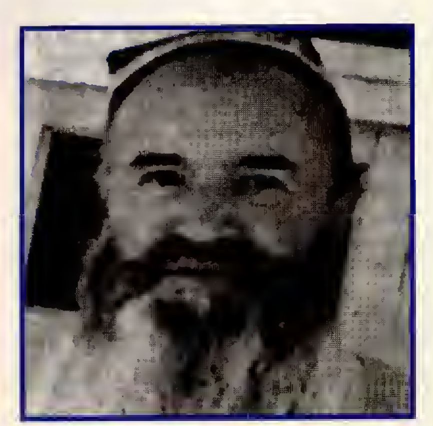
تناقضات اليهودية

أرادوا شيئًا، وأراد الله شيئًا آخر، وكانت الغلبة لإرادة الله، التي لارادَّ لها، إذ أتاح تعمق إبراهيم بولات في شؤون العقيدة اليهودية، ودراساته المتخصصة فيها، فرصة إعمال عقله في الكثير من خرافات بني إسرائيل، واكتشاف ما في تلك العقيدة من تناقض، بعدما حرَّفها أصحابها، ومالوا بها مع الهوى، فهم يدّعون التوحيد، ويزعمون - في الوقت نفسه - أن العُزَيرَابن الله، ويدّعون عبادة الله، ثم يصفونه - تعالى الله عما يتقوّلون - بأوصاف لا تليق بالذات الآلهية، ويُحِلُّون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم.

إلا أن إبراهيم ظل - مع كل هذه الملحوظات - يهوديًا ، إذ إن بذرة الشك في صحة عقيدته، لم تكن قد ارتوت بعد بماء الإيمان الدافق بعقيدة الإسلام، فتزوج من يهودية، وأنجبا أولادًا، وظن أن زواجه سوف ينهي تلك الثورة النفسية التي تتأجج كل يوم في داخله، لكنه كان واهمًا، إذ ازدادت اشتعالاً، خاصة بعدما استقرت حياته الزوجية، وصار لديه قدرة أكبر على التركيز في دراساته.

صراع مع الدنيا

انتهى إبراهيم بولات من دراساته إلى نتيجة واضحة، وهي أن اليهودية بصورتها المحرَّفة لا تحقق سوى مزيد من الاضطراب في داخله، ولاتقدم أية إجابات منطقية لتلك الأسئلة التي تعصف بكيانه، وطافت بذاكرته صور أصدقائه من المسلمين، وإعجابه بإحساسهم الدفين بالطمأنينة، رغم ظروف القهر المحيطة بهم في ظل الحكم الشيوعي. تمنى لحظتها لو كان واحدًا منهم ، يملك مثلهم هذا الإحساس بالاطمئنان النفسي، والهدوء الروحي، إلا أن نداء الدنيا كان لايزال داخله لم يمت بعد، إذ إن تَرْك دين آبائه سوف يُفْقده مكانته لدى أبناء الطائفة، فضلاً عن غضب الأسرة والأصدقاء.



إبراهيم بن إسماعيل بولات

أمام كل هذه الصراعات قرر أن يعقد موازنة بين العقيدتين، ثم يستفتي قلبه، لينتهي إلى اعتناق أصلحهما، وأقربهما إلى القلب والعقل.

مقارنة بين شريعتين

انتهت الموازنة بعد دراسات طويلة للشريعتين الإسلامية واليهودية، إلى قرار إبراهيم بولات باعتناق الإسلام، بعدما وجد في كتاب الله وشريعته مايلبي حاجاته الروحية، ويجيب عن أية تساؤلات تدور في عقله.

إذ وجد أن شريعة الإسلام تقدم صورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض للخالق المتعالي، وتنزّهه عن الشَّبَه بغيره، وتقر بوحدانيته وربوبيته، وتُوقِّر ماسبقها من الرسالات السماوية، وتحترم الأنبياء السابقين كافة ، وتكرمهم، وتؤكد على التقوى كأساس للمفاضلة بين البشر، وغير ذلك من القيم والمعاني النبيلة السامية التي انفردت بها الشريعة الإسلامية عن غيرها، باعتبارها خاتمة الرسالات، وهَالَه أن يكتشف أن عقيدة آبائه منذ أقدم العصور كانت الإسلام، ودمعت عيناه و هو يقرأ قوله تعالى: ﴿ماكان إبراهيم يهوديًا ولانصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين﴾ (آل عمران:٦٧).

إشهار إسلامه

حدد إبراهيم بولات - بشجاعة وثقة - مصيره بين دنيا فانية، وآخرة باقية، فاختار الآخرة، وأعلن إسلامه متحديًا الاستنكارات من حوله، عارفًا بما قد يتعرض له من بطش الحزب الشيوعي ربيب اليهود، ومن سخط أهله وجيرانه وأصدقائه، وأحس بقوة الإيمان الخفية تزيده صلابة وتصميمًا، ودعا مَنْ يعرفهم من أهل مرجلان، وزملاءه في مصنع النسيج إلى وليمة بمناسبة إسلامه، لعل الله يجعله سببًا في هدايتهم.

وكانت ليلة لاتزال عالقة في ذاكرة مدينة مرجلان.

الحاخام صار داعية

لم يكن إشهار بولات إسلامه نهاية مطاف رحلته مع الإيمان، فالحاخام السابق الذي تمرس الدعوة وأساليبها، أَبَى إلا أن يسعى لإنقاذ الأرواح الحيرى، وأن يعمل على هداية الناس إلى دين الحق.

بدأ - أول مابدأ - بأهله، وَهَدَى الله على يديه زوجته وأبناءه ووالده الذي أسلم، قبل أن يلقى وجه ربه بشهرين فقط.

وترك إبراهيم عمله في المصنع ليتفرغ للعمل كداعية إسلامي، حيث التحق بمسجد مرجلان للعمل مؤذنًا ، وإماما، ومُحفِّظًا للقرآن الكريم، موجهًا عناية خاصة إلى النشء ليشبّوا دعاة، وساعيًا - في الوقت نفسه - إلى هداية أصدقائه ومَنْ يعرفهم من أبناء الطائفة اليهودية، مستفيدًا في ذلك من علمه بأسرار عقيدة اليهود، آملاً في إنقاذ تلك الأرواح، ويعز بها الإسلام.

طريق الهدى

الشيخ د. صالح بن سعد اللحيدان

ويل للعـــرب

هل حديث «ويل للعرب من شر قد اقترب» صحيح؟

محـمـد مكانسي ، حلب - سورية

يغلب على الظن صحة هذا الحديث. وخُصَّ العرب؛ لأنهم معدن الإسلام ودعاته، ولاعز للعرب إلا بالإسلام، فإذا تخلوا عنه بصورة من الصور فالويل لهم - كما هي الحال اليوم - والحديث يدل آخره (تتمته) على المراد منه، فقد ورد فيه «فُتِحَ» أو «هُدِمَ» من ردم يأجوج ومأجوج قدر كذا، فهو دال على علامة من علامات الساعة. فتنبهوا للإسلام وعضّوا عليه بالنواجذ وطَبِّقوه قولاً وعملاً، فكأنه صلى الله عليه وسلم يحذر مما هو حاصل اليوم.

صلاة المغرب وتر النهار

هل يصح الوتر بعد صلاة المغرب؟

فيحان - حائل

صلاة المغرب هي وتر النهار، ولهذا شُرعت ثلاث ركعات فقط. والله أعلم.

أما مكان الوتر فهو بعد صلاة العشاء الآخرة، بعد السُّنَّة الراتبة، وأقلها ركعة واحدة، وأكثرها إحدى عشرة ركعة وأدنى الكمال ثلاث ركعات.

كتاب «الأغاني»

كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، اختلفت حوله الآراء بين مادح وقادح. هل تنصحون بقراءته؟

محرز بن عزوز بونجيه العايدي - تونس :

لاأنصحكم بقراءة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، حيث دلت الاستقراءات لهذا الكتاب أن صاحبه أَلَّفَهُ ليدخل به على الأدب والتاريخ والعلم دخولاً يُزري بهذه العلوم ويحط من قدرها.

وقد ذكر فيه أسانيد كاذبة وروى فيه عن مجاهيل، بل ممن يُرمون بالكذب والخبث، وحشر فيه روايات وأخباراًلايكتبها إلا دنيء النفس، خبيث الطوية، سيء الطريقة، ونسب فيه إلى الصحابة قصصًا أسانيدها مكذوبة، فيها الكذاب، والزائغ، والمجهول، كما نسب فيه إلى الصحابة الأخيار جملة قصص لايقولها إلا ضالٌّ مدسوس شُعوبي حاقد. وقد درسته وحققته لجنة علمية، لكني أشك فيها شكاً كبيراً إذ أبقت في الأغاني كل رديء من القول وسيء من الوصف، وأقل مايُقال عن هذه اللجنة إنها تجهل حقيقة دين صاحب الأغاني ومذهبه.

وطه حسين، مع عدم صلاحية كتبه، وتجنيه هو الآخر على كثير من أمور هذا الدين، انتقد بحرارة كتاب الأغاني في كتابه «حديث الأربعاء»، وذكر من جملة ماذكره عنه أن فيه الخبر المبالغ فيه والموضوع .. إلخ.

وقد اطَّلعت على كتاب جيد للأستاذ وليد الأعظمي - رحمه الله - أسماه «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني»، بيَّن فيه بطريقه علمية متقنة حقيقة هذا الكتاب.

ولعل الاطلاع على حياة أبي الفرج مؤلف «الأغاني» منذ نشأته، حتى تأليفه كتابه هذا يُعطي القارىء فكرة عن غاية هذا الرجل، ولماذا ألَّف كتابه؟ وكيف؟.

ولم أقف حسب اطلاعي على حياة هذا الرجل إلا وجدتُ أنه كذاب، شعوبي، عين على المسلمين يلتقط أخبارهم فيوصلها لأعداء علوم العربية، فَتَزَلَّفَ بهذا إلى حكام فترته وهي قصيرة.

وفي الجملة فإن في الكتب الشاملة غيره النفع والفائدة لمن قرأها بتمعن وفقه، ككتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة، و «العقد الفريد» لابن عبد ربه، و «الكامل» للمبرد، و«البداية والنهاية» لابن كثير .

ردود خاصة

الأخ داود جابر - الرياض :

هذا بينك وبين الإمارة فلتراجعها .

بن خالد بكر سعود - المغرب - مراكش

الطِّيب لايفطر به الصائم.

الأخت سلمى .م - الكويت:

انظري : منذ ثلاثين عاماً كم ترين المسافة؟

لاشيء . اصبري وصابري وتعلقي بالله.

الأخ بياز عبدالرزاق، الجزائر

دفعت خطابك الكريم إلى مسؤول التحرير.

الأخ جمعة خليل كالو، حلب - سورية

المسلم إذا ظُلم فلايحق له أن يستعجل الإجابة من الله تعالى، بل يدعو ويلح، وقد ورد في الحديث: «يُستَجاب لأحدكم مالم يعجل» ، وبالنسبة للانتشار بالسيف لم يكن إلا في حال العدوان على المسلمين، وَهُمْ في حال «قوة ووحدة»، أو وَهُمْ في حال تحرير الإنسان من ظلمه لنفسه وعبادته لها، فهنا لايُقْتَل لكن يُعَلَّم ويُبَيَّن له حقيقة هذا الدين. آمل قراءة كتاب «السياسة الشرعية» لابن تيمية، أو «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية.

تجربتي في الدراسات الأثريَّة

د. لخضر حمّو درياس

- من مواليد القصبات بولاية الأوراس سنة ١٩٥٠م.
- ليسانس تاريخ من قسم التاريخ بمعهد العلوم الإنسانية ما بين ١٩٧١م - ١٩٧٦م.
- دبلوم الدراسات العليا في الآثار الإسلامية - جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
- دكتوراه الدراسات الثالثة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، ١٩٩٠م.
- أمين متحف مكلف بالبحث في القسم الإسلامي بالمتحف الوطني للآثار القديمة، ١٩٨٠م.
- نائب مدير المتاحف الوطنية بوزارة الثقافة، ١٩٨٢م.
- أمين متحف مكلف بالقسم الإسلامي بالمتحف الوطني للآثار القديمة، ١٩٨٣م.
- مدير المتحف الوطني للآثار القديمة منذ ١٩٨٨م، حتى الآن.

بدأت رحلتي في ميدان المتاحف والآثار قبل التحاقي بالجامعة، إذ كنت أتردد كثيرًا على أطلال المدن القديمة كمعجب بعناصرها المعمارية، التي استطاعت أن تقاوم الزمن، كأقواس النصر بالمدن الرومانية، وأعمدة الكنائس والمعابد التي بقيت واقفة بتيجانها، وكذا المآذن أو الصوامع الرشيقة التي زخرفت واجهاتها بتشبيكات حجرية منحوتة، ولوحات الزليج الأندلسي المغربي. وما تُخفيه هذه العمائر من أسرار، كنت دومًا متعطشًا لمعرفتها. لذلك، عند التحاقي بالجامعة، اخترت قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وإثر تخرجي بشهادة الليسانس قررت التخصص في علم الآثار، ويومها، لم يكن الفرع موجودا بجامعة الجزائر، فالتحقت بكلية الآثار في جامعة القاهرة، لأتخرج فيها عام ١٩٧٨م بدبلوم الدراسات العليا في الآثار الإسلامية، وعدت بعدها لجامعة الجزائر لمواصلة دراستي، وفي الوقت نفسه أعمل كأمين متحف مكلَّف بالقسم الإسلامي بالمتحف الوطني للآثار. وفي بداية التسعينيات حصلت على الدكتوراة (الدرجة الثالثة) في الآثار الإسلامية، أما وظيفتي فقد تغيرت من أمين المتحف إلى نائب مدير المتاحف الوطنية، ثم إلى مدير المتحف الوطني للآثار سنة ١٩٨٨م، وهي المهمة الصعبة التي أحاول أداءها مع زملائي من الشباب. وهي تتركز في إثراء المجموعات وتطوير سبل حفظها عن طريق استخدام الوسائل التقنية كالحاسب الآلي، والمحافظة عليها. كما نحاول إرساء قواعد البحث العلمي، وتحسين الخدمات العامة. أما الأعمال التي وُفِّقْتُ في إنجازها فيمكن تصنيفها في ثلاثة عناوين:

أولاً: المنشورات:

لقد قمت، طوال هذه المدة، بإنجاز عدد من المنشورات بعضها منشور، والبعض الآخر تحت النشر، من بينها:

- كتالوج السِّكَّة الإسلامية بالمتحف الوطني للآثار.
- مصطفى بن دباغ، رائد الفن التطبيقي بالجزائر، بالاشتراك مع أحمد رفاعي.
- محمد تمام، منمنم، رسام، مزخرف.

- السكة المدرارية، بالاشتراك مع الآثاري الكندي حنا قسيس.

- دفاتر آشير: صدر العددان الأول والثاني، والعدد الثالث تحت الطبع.

- عدة مقالات في مجلات متخصصة منها «الفيصل».

ثانيا: الحفريات والأعمال العلمية:

١- شاركت في حفرية أغادير التي نظمتها الجامعة العربية بتلمسان.

٢- شاركت في حفرية إنقاذ بمدينة البرواقية.

٣- شاركت في حفرية مشتركة بين الجزائر واليونسكو في مدينة سطيف، كما عملت مديراً لحفرية أشير الإسلامية منذ ١٩٩١م.

مشاريع في طريق الإنجاز:

- أشرف على إنجاز جامع للسكة الإسلامية بالمتاحف الجزائرية.

- أشارك في إعداد جامع للكتابات العربية بالجزائر.

ثالثا: وظائف إدارية: ولقد تقلدت العديد من المناصب، كان من حسن حظي أنها جميعًا تتعلق باختصاصي، أهمها:

- مدير المتحف الوطني للآثار.

- عضو اللجنة العلمية للوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم التاريخية.

- نائب رئيس الجمعية الجزائرية لحماية وترقية التراث الأثري.

- عضو اللجنة الوزارية المشتركة لشراء التحف الفنية.

- عضو اللجنة الجهوية لمراقبة وتصدير الأعمال الفنية والوثائق التاريخية.

وكُنت خلال أدائي لهذه المهمات، دائم البحث والتنقيب في حقول الحفر والمتاحف، دائب الاهتمام بأمهات الكتب التاريخية والأثرية والمخطوطات القديمة، حتى شعرت أنني قاربت التمكن من نواحي العلم الذي خلقني الله لأدائه.

وكتب لي خلال ذلك الاتصال بالعديد من علماء الآثار العرب والأجانب. ذلك لأن العمل في وظيفة المتاحف، كمراكز ثقافية، وبحثية، متميزة، يتطلب التعاون مع المتاحف الأخرى وتبادل الآراء والبحوث والدراسات، حتى يتم جمع معلومات موثقة حول تاريخ المجتمعات القديمة التي تهدف إلى تفهمها والغوص فيها، وعرض معلوماتها و حقائقها على الروّاد، من خلال عرض وتنظيم مخلفاتها من التحف الأثرية مع الشروح الضافية لها. وأصبحت شديد الاهتمام بنشر هذه المعلومات، بعد توثيقها، وتدعيمها بالصور الملونة في كتب، حتى يتسنى للقارئين والباحثين الاستفادة منها، كمراجع ومصادر للمعلومات التاريخية.

الجزائر ميدان متميز للكشوف الأثرية

تزخر الجمهورية الجزائرية بعدد هائل من الآثار الإسلامية العائدة لفترات تاريخية مختلفة، أهمها: أطلال مدينة تيهرت الرستمية، وأغادير الإدريسية، في القرن الثاني الهجري، وكذا مدينة سدراته التي تأسست عقب سقوط تيهرت بيد الفاطميين سنة ١٩٦هـ، ثم مدن وادي ميزاب، بني يزقن، بونورة، مليكة، العاطف، غرداية التي خلفت مدينة سدراته، ولازالت مثالاً نادراً للهندسة المعمارية الجزائرية طوال عشرة قرون، ويذكرنا طرازها الفني بطراز سامراء، مع الاحتفاظ بمحليتها في الأشكال الزخرفية، التي ميزتها الزخارف النباتية والهندسية المنتشرة خصوصًا خارج الحواضر الحضرية.

ومن العصر الصنهاجي بقيت لنا أطلال العاصمة الأولى للحماديين «آشير» التي تجرى الحفريات فيها حاليًا ، وتبين النتائج الأولية وجود مجمعات سكنية وقصور وأنظمة دفاعية فريدة في هذه الفترة، بل إن الفترة الصنهاجية تعد فترة الازدهار الفني بالجزائر، وهو ما توضحه نتائج الحفريات التي تمت في عاصمتيها القلعة والناصرية، حيث كشفت عن القصور الحمادية بالقلعة كقصر البحر، وقصر السلام، وقصر المنار، وكذا الجامع الأعظم، والأسوار الدفاعية التي تحيط بالمدينة، وكذا قصور الناصرية وأسوارها وأبوابها التي لاتزال نماذج منها شاهدة

على عظمة حضارتهم، وتعد قلعة بني حماد من أهم الآثار الإسلامية بالجزائر، وهي مسجلة ضمن التراث العالمي، أما العصر المرابطي، فتبرزه بقوة العمائر الدينية المتبقية، كالجامع الأعظم بالجزائر العاصمة، والجامع الكبير بمدينة تلمسان، وجامع ندرومة ذات الطراز الأندلسي المغربي، وهو ما توضحه قبتا جامع تلمسان المتأثرة بقبتي جامع قرطبة الذي يعد من أصول الفن المغربي الأندلسي.

جامع أغادير. والدولة المرينية التي حكمت المغرب الأقصى وحاولت توسيع رقعتها الترابية على حساب جارتها الزيّانية، فحاصرت عاصمتها تلمسان، وأقامت مدينة المنصورة في القرن الرابع عشر، ولاتزال أسوارها ومسجدها بمئذنته المتميزة قائمة كشاهد على قوتهم ورقيهم الفني. بالإضافة إلى مسجد وضريح سيدي أبو مدين، ومدرسته، وهي عمائر تشبه إلى حد بعيد طراز بني الأحمر في

إحدى قاعات المتحف الوطني للآثار

وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، تنقسم إمبراطورية الموحدين إلى ثلاث دويلات هي: الدولة الحفصية، التي حكمت إفريقية، والشرق الجزائري، ومن آثارها قصبة بونة، وبجاية، وقسنطينة. والدولة الزيانية بتلمسان، ومن آثارها مسجد سيدي بلحسن الذي تعد مئذنته من روائع الفن المغربي مع مئذنة

غرناطة. وجاءت الفترة العثمانية التي تميزت من سابقاتها بطرازها المتأثر بطراز بورصة أحيانا، وطراز أزنيق المتأثر بعصر الباروك والركوكو، وبطبيعة الحال فإن عدد المعالم المتبقية من هذه الفترة كبير جدا نظرا لحداثتها، ويكفي أن نذكر قصور البايليك الثلاثة بوهران وقسنطينة، وقصر دار السلطان، ومجموعة كبيرة

جدا من المساجد ذات الطراز الأسيوي (آسيا الصغرى)، كمسجد علي بتشين، ومسجد سيدي لخضر بقسنطينة، ومسجد صالح باي، والجامع الجديد بالجزائر العاصمة، ومسجد كتشاوة، ومسجد القصبة، ومسجد صالح باي بعنابة، ومسجد محمد الكبير بوهران، ومسجد عين البيضة بمعسكر، وقصبة مدينة الجز ائر التي سجلت ضمن التراث العالمي، بالإضافة لقصور عديدة بمدينة الجزائر وعدد مهم من الآثار بمدينة مستغانم وتوفرت وبجاية وتلمسان، وغيرها من المدن الجزائرية التي تحكي لزوارها تاريخها المجيد.

ويمكن تقسيم التراث الإسلامي الجزائري إلى قسمين متميزين هما: التراث العقاري والتراث المنقول، فأما الأول فقد تعرضنا له بإيجاز، وأما الثاني فتزخر به متاحف الجزائر التي يربو عددها على الثلاثين متحفا، لعل أهمها المتحف الوطني للآثار والفنون الإسلامية، والمتحف الوطني للباردو ، والمتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، والمتحف الوطني للفنون الجميلة، والمتحف الوطني أحمد زبانة، والمتحف الوطني سيرتا، والمتحف الوطني بسطيف، وغيرها من المتاحف التي تضم مجموعات مهمة من تراثنا المنقول، كالمسكوكات والخزفيات والنسيج والمعادن والأخشاب وفنون

الكتاب، وغيرها من الوثائق التاريخية الأثرية التي تغطي جل المراحل التاريخية للجزائر، لاسيما التاريخ الاقتصادي والثقافي لمنطقة البحر المتوسط عمومًا، ومنطقة شمال غرب أفريقيا على وجه الخصوص. ومن ضمن هذه المجموعات مثلا: مجموعة المسكوكات التي يُحتفظ بها في متاحفنا، وتزيد على مائة ألف قطعة تغطي كل الفترات المتعاقبة للجزائر، بالإضافة لمجموعات خشبية ذات شهرة عالمية كمنبر الجامع الكبير من العهد المرابطي، ومنبر جامع ندرومة الذي يعود للفترة نفسها، وباب جامع كتشاوة من العهد العثماني، بالإضافة لعدد مهم من المخطوطات التاريخية والفنيةالتي تمتلكها وزارة الشؤون الدينية والمؤسسات التابعة لها، والمكتبة الوطنية وكذا بعض المتاحف. دون أن ننسى المجموعة المهمة من الخزف المتعلق ببلدان حوض البحر المتوسط كالمدرسة العثمانية، والإيطالية، والهولندية، والإسبانية، والتونسية، وغيرها من المدارس التي كانت تشتهر بصناعتها آنذاك، وهنا أريد أن أشير إلى العدد الهائل من التحف المنقولة إلى المتاحف الغربية سواء عن طريق النهب أو السرقة أو الشراء، أو تلك التي نُقلت أثناء الفترة الاستعمارية بدعوى أن الجزائر جزء لايتجزأ من فرنسا. ولعل أهم المتاحف التي نجد فيها مثل هذه التحف ذات الصنع الجزائري: متاحف فرنسا، وإسبانيا، وإيطاليا، وأمريكا، وبريطانيا. وغيرها. والحقيقة أن مثل هذه التحف يجب تسجيلها وتوثيقها حتى يسهل على الباحث الإطلاع عليها دون عناء. وهذا ما نعد له سواء عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في إطار رسمي، أو عن طريق العلاقات مع المؤسسات المتحفية مباشرة.

وعلى الرغم من أن الجزائر، عشية الاستقلال، كان شغلها الشاغل إعادة بناء ما دمرته الحرب، فإنها حاولت بكل ما أوتيت من قوة استصدار أوّل التشريعات الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية، حتى تدعم التشريع السابق الذي صدر في العهد الاستعماري، ولايتعارض مع السيادة الوطنية، ومن ثم كان تشريع عام ١٩٦٧م الخاص بعلم الآثار وحماية المتاحف والمعالم التاريخية وأتبعته بالمراسيم التكميلية سنة ١٩٦٩، ١٩٧٩م.

ونظرًا لاتساع الرقعة الترابية، فقد أنشئت مؤسسات متخصصة للحماية وترقية التراث، كالحظيرة الوطنية للطاسيلي عام ١٩٧٢م، والحظيرة الوطنية للأهقار سنة ١٩٨٧م، ومؤسسة ترميم التراث الثقافي سنة ١٩٨٨م. وترقية عشرة متاحف وطنية ما بين (١٩٨٥ - ١٩٩٠م)، والوكالة الوطنية للآثار وحماية المتاحف والنُصُب التاريخية، وشرع حاليًا في إنشاء الحظيرة الوطنية للأطلس الصحراوي. ومهمة كل هذه المؤسسات جرد التراث الأثري، ودراسته، وترميمه، والمحافظة عليه، وتقديمه للجمهور بكل فئاته. إضافة لإنشاء هذه المؤسسات، استصدرت الدولة مرسومًا سنة ١٩٨٢م يحدد صلاحيات البلدية والولاية واختصاصاتهما في قطاع الثقافة، وعززت كل ذلك بلجنة وزارية مشتركة لشراء التحف الفنية سنة ١٩٧٩م. ولجان جهوية سنة ١٩٦٩م لمراقبة تصدير الأشياء ذات الفائدة الوطنية من الناحية التاريخية والفنية والأثرية. وعلى الرغم من كل هذه المجهودات فإن حماية الآثار في الجزائر أصبحت من الأمور الصعبة والمعقدة نظرًا للتطور الذي حدث، ويحدث، في البنية الاجتماعية والاقتصادية من جهة، ومشكلة زحف الأنسجة العمرانية على معظم المدن القديمة بدعوى إدخال الوسائل الضرورية للحياة من جهة أخرى. يضاف لكل ذلك المبالغ الخيالية التي تتطلبها مثل هذه الآثار في سبيل المحافظة عليها، وهو أمر يصعب على الدولة تحقيقه في خضم الأزمة الاقتصادية التي تهز معظم الدول النامية، زد على ذلك قلة الوعي لدى بعض السلطات صاحبة القرار.

كل هذا يوضح صعوبة أداء العمل البحثي، ومحاولاتنا المستمرة للحفاظ على هذا التراث وصيانته حتى يبقى مزدهرًا، ماثلاً أمام الأجيال القادمة.

العنوان: أوراق رياضية.
المؤلف: الدكتور أحمد بن محمد الضبيب.
الناشر: مؤسسة اليمامة الصحفية ـ كتاب الرياض (٥)، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ونحن حيال كتاب الرياض الخامس للدكتور أحمد الضبيب، المُعَنْوَن بأوراق رياضية، لابد من الإشارة إلى نقطتين قبل البدء بالكلام عن الكتاب وصاحبه، وهما: فكرة الدَّوريَّة ـ يومية، أو أسبوعية، أو شهرية ـ حين تُجمع بعض الكتابات التي نُشرت فيها، وتسكن في كتاب مستقل، سواء أكانت تلك الكتابات لكاتب واحد أم لمجموعة من الكُتَّاب. وفكرة الاختيار التي تقوم على حسن الانتقاء، والتأني، وإدراك قيمة تلك المادة المختارة، ومدى ديمومتها واستمرار فعاليتها، وتأثيرها في نفس القارئ رغم الآنية التي صبغتها وقت كتابتها لتواكب الحركة الصحفية المتسارعة.

ولهذا فإنَّ مثل هذا المشروع الثقافي عملية صعبة ودقيقة على المؤسسة والمؤلف كليهما حين يشتركان في مسؤولية الاختيار، أو الانتقاء لتلك المادة الثقافية، على أنها تهون وتخف مسؤوليتها أمام الأدباء الذين يمتلكون زمام الكتابة،وفن التوصيل،والتأثيرعلى المتلقي. والدكتور الضبيب أحد هؤلاء الأدباء الذين يمتلكون عدة الكتابة، بما يحمل ذهنه وفكره من ثقافة، ومايملكه قلمه من قدرة أسلوبية تستوعب وتبلور تلك الثقافة. ولاسيما أن مادته التي يكتب فيها، أو مخزونه الثقافي يجمع عناصر عديدة في شؤون الأدب، والنقد، واللغة، والتراث، والعلم، والتعليم، والتربية، وغيرها، مما نجده في كتابه هذا (أوراق رياضية)، الذي استغرق خمسة وخمسين موضوعًا في تلك الشؤون التي لا يبلى ثوبها، مهما تقدم بها العمر والزمان، حتى لو كانت من الموضوعات الاجتماعية، أو اليومية الطارئة، فإنها تستحيل لديه إلى رؤى أدبية وجمالية، ووقفات حضارية. وفي هذه الأوراق الرياضية ـ نسبة لمدينة الرياض مكان الكتابة، وجريدة الرياض التي احتضنت تلك الكتابة ـ مواقف وآراء وأفكار تستحق تقدير القارئ، لما تضمنته من رؤى أدبية وفكرية شاملة في الأصالة والتراث والمعاصرة، ولاسيما التي أصابت مرامي بعيدة، ستتحقق عاجلاً أو آجلاً إن شاء الله. كما وجدنا ذلك في كتابته مثلاً عن (طباعة المصحف الشريف)، فقد ذكر في مقاله المؤرخ


د. أحمد الضبيب

بـ(١٨/١١/١٣٩٢هـ) يقول: «ولقد تمنيت لو أن شرف العناية بالقرآن وحفظه في الصدور ـ طباعة في الصحف ونشراً للدراسات حوله ـ كان من نصيب بلادنا، ففي رحابها نزل، ومنها شعَّ نوره على العالم، وهي الآن، كما كانت ولله الحمد من قبل، معقل الدين ومهوى أفئدة المؤمنين، والداعية الرائدة لكل مافيه خير الإسلام والمسلمين.. فحبذا لو أُنشئت عندنا دار كبرى للقرآن الكريم تُشرف عليها هيئة مكوَّنة من كبار العلماء وأساتذة التجويد والقراءات، تهتم بطباعة القرآن وتوزيعه، وتشرف هذه الهيئة على مراقبة طباعته والتأكد من سلامة مراحلها، مستخدمة آلات حديثة تنعدم الأخطاء فيها، أو تندر بشكل كبير، حتى يخرج كتاب الله إلى الناس، وقد تمَّ ضبطه وتصحيحه، وكملت له أوجه الإتقان الطباعي..». ولقد تحققت أمنية الدكتور الضبيب ورؤاه بعد ثلاثة عشر عامًا، حين أنشئ (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة). علما أنه قد كتب مقالاً آخر في الموضوع نفسه بعد سبع سنوات تقريبًا. كما أنه كتب يأمل رؤية (وزارة للثقافة) ولَمَّا يتحقق ذلك الأمل بعد.

ومما يشد انتباه القارئ في كتابات الدكتور الضبيب أسلوب الحوار والسؤال، مما قد يلجأ إليه أحيانًا سواء أكان مع الآخرين أم مع قارئه، ففي الحالتين كان يتمتع بروح الحكاية والقص، ومن خلالهما يمنح قارئه صوراً أدبية تغلف فكره، وتتوِّج آراءه، وتحدد أصالته، كما جاء مثلا في مقاله (حديث عن الحداثة)، حين عالج قضيته هذه بجَوٍّ قصصي، وروح ذاتية تمتزج بواقعية الحدث وظروفه. أو مقاله (المشكلة) الذي يقوده الحوار مع أحد معارفه إلى تجسيد فكرة المشكلة بصور عديدة مشوقة تستحوذ على اهتمام القارئ وشغفه ومتابعته حتى النهاية، ومن صورها قوله: «المشكلة الحقيقية هي تلك التي تطالبك بالحل، تلح عليك، فتراها أمامك دائمًا، وهي لاتموت إذا لم تمت أسباب وجودها. إنها قطة خرافية بسبعة أرواح، كلما قضيت على روح منها استجدت لها روح أخرى.. تلازمك دائما.. أحيانًا تكون ناعمة ملساء كقطة سيامية بيضاء تتمرغ في حضنك، وتسكن إليك، وتداعبك في لحظات كثيرة بوخزات من مخالبها المختفية.. فإذا اشتد إلحاحها تحولت إلى نمرة متوحشة تغرس مخالبها القاسية في شغاف قلبك». أو مقاله (في حلبة قتل الثيران)، حين يصور فرحتهم بالدليل السياحي الإسباني الذي اسمه (حسين) ويتوقعون أنه عربي؛ ولكنه يرفض ذلك ويُصِرُّ على إسبانيته، فيعلق الدكتور الضبيب قائلاً: «لم نشعر كثيراً بخيبة الأمل، بعد أن فشلنا في إثبات العلاقة العرقية بيننا وبينه. فقد ظلت شخصية ممهورة بسِمَة عربية فقط. كنا نظن أن الاسم غصن من دوحة لاتزال تورق في هذه البلاد، فإذا به ورقة جافة تبعثرها الرياح بعد أن اجتثت الأيام شجرتها الأم.. وما أكثر الأوراق العربية التي تبعثرها الرياح في إسبانيا». ونجد أسلوب القص المنتزع من صيغة الحوار أو السؤال بارزًا في مقاله (وعادت خالصة مرة أخرى). حيث يوظف النص الشعري ومناسبته القصصية في إسقاط حضاري معاصر مثير.

ومن خصائص أسلوب الدكتور الضبيب، الذي يندرج مع سمات الأعمال الفنية الإبداعية، المقدرة على حسن الموازنة بين المادي و المعنوي، والحسي والأدبي، التي تجعل لكتابته طعمًا ومذاقًا مقبولين، لما تثيره من دلالات وإيحاءات واضحة لا يعوزها التأكيد والتقرير المباشر، فصورة التشبيه التمثيلي البيانية تشع بالدليل والبرهان القاطع الذي لايخلو من نقد وسخرية أحيانًا. يقول مثلاً في مطلع مقاله (التفحيط بالأقلام): «نعم.. كما أن لدينا شبابًا (يفحطون) بسياراتهم، فإن لدينا كُتَّابًا (يفحطون) بأقلامهم. ولِمَ لايحدث ذلك؟! إن شوارع النشر خالية، معبدة، واسعة، مضاءة. كما أن الكتابة ليس لها (رخصة)! والقلم ليس له (استمارة)! وشرطي المرور (وهو الناقد الجيد) يغط في سبات عميق! فمن (آنس) في نفسه الكفاءة، فما عليه إلا أن يمسك بمقود القلم، ويذرع شوارع النشر شوطًا أو شوطين، حتى إذا ما وجد الساحة مناسبة، أخذ يمارس هوايته المحببة في التفحيط القلمي».

إن استخدام الدكتور الضبيب تلك الأساليب والصيغ الأدبية هو لتأكيد أفكاره الأساسية في الأدب

والنقد واللغة والتراث والأصالة، والتي تدور كتاباته حولها. وإن كانت تلك الأفكار تتوارد على قلمه وعبر صفحات كتابه دراكًا، تتخللها بعض الوقفات الأخرى التي يستريح فيها القارئ، ليتابع معه المسير حتى النهاية بلا كلل أو ملل.

على أن الدكتور الضبيب كثيراً ما يمنح مقالة الأدبي أو الفكري منهج الموضوعية الذي يقوم على ركائز ثابتة، تتوالى لتشكّل في النهاية بناءً متماسكًا من قيمه الفنية والفكرية. وبخاصة في موضوعاته التي تتطلب منه موقفًا أو دعوة للأخذ بذلك الموقف، مثل مقاليه: (المتعصبون للتراث كالمناوئين له)، و(نقاش أمْ لجاج) وغيرهما.

ولقد كان في كل دعواته ومواقفه حريصًا على إخصاب الحركة الثقافية والأدبية والنقدية في بلاده المملكة العربية السعودية. وإذا كنا معه طيلة موضوعات كتابه كلها، فإننا لانرى رؤيته حيال أدب الرحلات الذي يراه قد انتهى، بسبب ما يمكن أن تقدمه وسائل الإعلام الحديثة التي تعوضنا عما يقدمه الرحالة في الوصف والاكتشاف، ولكنها تظل عاجزة وقاصرة عن تقديم الانطباعات حيال الأشياء والمرئيات كما يحسها الشاعر، ويرويها القاص، لأن الرحالة الحديث هو شاعر وقاص في التعبير عن وَقْع المحسوس على وجدانه.

وربما كان الدكتور الضبيب خير من يقوى على التعبير عن تلك الأمور بحس القاص ورؤية الشاعر، مثل صنيعه في المواقف الرحلية مع من التقى بهم في جزيرة (ماوي)، وهو يكتب حديثًا عن الحداثة، أو وهو (في حلبة قتال الثيران) ويُعَبِّرُ فيه - كما رأينا - عن إحساسه بالفرح لمرأى من اسمه حسين، ثم بخيبة الأمل. أو وهو يعكس رؤية معاصرة حين يقف وقفة حضارية في مقاله (سقوط الحضارة) إثر وصف حالة يومية عابرة مرت بمدينة (نيويورك) «عندما أطبق عليها الظلام الدامي بعد تعرضها لانقطاع التيار الكهربائي». وربما هذا ما استثناه للرحالة الحديث مما يحدث له من مواقف «تشمل مشاهدات تستحق الكتابة».

- العنوان : اليقين، شعر
- المؤلف : محمد إسماعيل جوهرجي
- الناشر : دار البلاد ـ جدة .


محمد إسماعيل جوهرجي

يعيد هذا الديوانُ (اليقين) للشاعر محمد إسماعيل جوهرجي إلى أذهاننا مفهوم «الأدب الإسلامي» في معناه المعاصر، وهو توظيف معاني الآيات القرآنية ومفرداتها ومصطلحاتها، والتعاليم الإسلامية بأهدافها ومقاصدها في عمل أدبي إبداعي.

فهذا الشاعر، ومن خلال ست عشرة قصيدة ، يقدم شعراً إسلامياً ملتزماً بالقيم والمبادىء الإسلامية كما جاءت في محكم آيات القرآن، ومع كل قصيدة من تلك القصائد نعيش أجواء الإيمان والطهارة والنقاء .. مثل : «اليقين ، الموت ، قدرة الله ، لحظة تأمل ، ياأخا التيه ، نفحات إيمانية ، خواطر مضيئة ، هي الدنيا ، جلّ المصاب ، وغيرها..»

فمع «اليقين» ، أولى قصائد الديوان ، التي تضم ثمانين بيتاً، نقع على تجربة الشاعر الجوهرجي مع اليقين والإيمان من خلال التعاليم الإسلامية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبدأ الشاعر بنفسه، فيدعوها إلى نبذ الملذات وشهوات الدنيا الزائلة، لأن فيها عذاباً ودنساً للنفس والجسد، وتجر إلى الغفلة عن اليقين، والإفراط في النأي عن التقوى، والإسراف في الغواية، ولهذا فهو يدعو نفسه في المُقابل إلى التزود بالطهارة والعمل الصالح للآخرة، وإلى اللقاء والحساب. ولذلك - وفي دعوته للخلاص من العذاب المادي الدنيوي - فهو ليس بقانط من رحمة الله وعفوه، وإن كانت صورة الجحيم لاتفارق حسه، لأنه استرجع لنا كل صورها التي جاءت في القرآن الكريم، على أن صورة الجنة كانت، في الوقت نفسه، تعزّيه وتجمّله، حين أخذ يسترجع صورها القرآنية، ومَن الذين أعدت لهم تلك الجنة التي عرضها السموات والأرض من السابقين الأولين، وبخاصة الشهداء.

وكذلك نرى شاعرنا الجوهرجي في قصيدته «الموت»، ومن خلال ستة وستين بيتاً، يقدم تجربة مع الموت بأسلوب الحكمة والاعتبار بما كان، والاستعداد لما سيكون.. وكلها ستقود في النهاية إلى القبر وعذابه وجحيمه أو نعيمه وجنته، وعلى المرء أن يستخلص العبرة، وهي

غالباً العزوف عن ملذات الدنيا، كما جاء في زهديات أبي العتاهية، وفي الزهد المعاصر :

القبر إن فِئتَ جناتٌ مُخضرّةٌ
وإن أبَيْتَ جحيمٌ صمتُه عَمَسُ
لاتَصْرِم العمر في اللّذات مُلْتهياً
واذكر من الصحب كم غابوا وكم درسوا
ما ضرّكَ اليوم في نجوى محبة
تعيد للقلب إيماناً له قبسُ

ونمضي مع شاعرنا الجوهرجي في بقية قصائده التي تنهل من الأدب القرآني المعاني الكثيرة، وبخاصة في تصويره عظمة الله وقدرته وآياته البينات في هذا الكون، وهذه الحياة، ولَكَمْ يدعو إلى التأمل فيها، ليستخلص العبرة أيضاً، كما يدعو إلى التحلي بأخلاق الإسلام، ولاسيما رفض ونبذ واجتناب التيه والتكبر واكتناز المال. ولاينسى في قصيدته «نفحات إيمانية» التي بلغت خمسة وستين بيتاً، حبه للرسول عليه الصلاة والسلام، وهو يفدي ثراه بروحه المؤمنة، وقد أنشد لنا سيرته المعطرة منذ ولادته وحتى غزواته وانتشار الإسلام على يديه، فضلاً عن أخلاقه ومعجزاته وغيرها من وقفات تكاد تشكل ملحمة إسلامية معاصرة .

وإذا كان الشاعر الجوهرجي يستخدم المفردات والمعاني القرآنية فإنه يستخدم في الوقت نفسه مفرداته الخاصة من مخزونه الثقافي واللغوي والنحوي .. ولاسيما أن للشاعر اهتمامات وكتابات ومؤلفات لغوية ونحوية . والشواهد الشعرية كثيرة في هذا الديوان لما نحن في صدده. يقول مثلاً في وصفه لأهل النار يوم الحساب العادل كما ورد في القرآن :

لايُظلمنَّ المرءُ فيها حبَّةً

من خَرْدَلٍ أو أنْمُلٍ لذُباب

لاتسألنّ عن الجحيم فلفحها

نارٌ وقودُ حجارة ورقاب

يُسْقَون من غسلين منها جُرْعَةً

تَصْلى بحُرْقتها حَشا المُرتاب

ومايذكره في هذه القصيدة عن أهل الجنة كما ورد في القرآن أيضاً ، يقول :

أما الذين سمت بهم أخلاقهم

فتراهمو في جنة الأعتاب

فيها من العسل المُصَفَّى أنهرٌ

أشهى من الأنسام للأحباب

والحور فيها قاصرات الطرف من

حور الجنان كواشح وكعاب

يطوف الولدانُ حول جنانهم

بكؤوسِ خمرلذَّة الشُراب

أما المفردات الخاصة به، والتي يستعذبها ويستسيغها، فهي كثيرة، وترد في شعره لدلالتها عما يريد أن يعبر عنه في مواقفه الحسية أو الحركية وغيرها من مواقف. وسنستشهد بمفردتين هما : (نثا : ينثو : تنثو) : إن أراد أن يعبر عن انتشار أو إذاعة الأريج أو الخبر. و (صال : يصول : صيالاً . فهو صائل وصيّال) بمعنى استطال أو سطا أو وثب . ويستخدمها مشتقة لاسم الفاعل : صائل، أو صيغة مبالغة لاسم الفاعل : صيّال . وذلك إن إراد به الوثب أو الاستطالة في الخطو المعبر عن هيئة ذلك الخطو أو المسير .

يكرر المفردة الأولى ثلاث مرات في ديوانه. قال مثلاً في (ص١٢) عن ضياعه :

ضيعتُ أحلام الشباب فلا مُنى

تنثو عبير الطهر في أجنابي

وفي (ص٧٧) يقول :

يعبق الورد في الغصون وينثو

أرجَ الحب ناغماً مُستطابا

وفي (ص ٨٨) يقول :

روحي الفداء لقبر قد نثا أرجاً

يشجي الفؤاد بنفح عاطر رطب

أما المفردة الثانية فقد وردت في الديوان بضع مرات ، اسم فاعل (صائل) ، وصيغة مبالغة (صيّال): المتباهي بقوته وسطوته . ومصدر (صِيال) : وثبة أو استطالة .

نقرأ في (ص٣٨) :

ياصائل الخطو إن الموت مفترس

مايدفع الموت لاجاهُ ولاحرسُ

كم قوّض الدهرُ صيَّالا بقوته

وخيّم الحزنُ في بيتٍ له وَنَسُ

وفي (ص٦٦)

ياأخا التيه والصيال ترفق

أنت أدنى إلى الهوام انتسابا

و(ص ٧٠) :

ثم يمضي مُصعداً في فتون

صائل الخطو خدَّه .. صخابا

و(ص ١٠٣) :

وأنا الصيَّالُ في قُنِّ الذرى

مثلما نسر تباهى في انتسابه

و(ص ١٢٠) :

هي الأيامُ تسحقُ مَنْ يُماري

وتُنهك كلَّ صَيَّالٍ برمشِ

إن معظم شعراء الأدب الإسلامي المعاصر هم من شعراء المعاني، لأن المعنى هو الذي يستأثر باهتماماتهم، ويدأبون على تثبيته في ذهن قارئهم بأساليب مختلفة .

ولهذا فقد كان الشاعر الجوهرجي يسعى إلى بثّ أفكاره ومعانيه بطرق شتى أبرزها استخدام حروف الجر وتكرارها في البيت الواحد، فيما تؤكده من معاني التغلغل والسببية كحرفي (الباء ، و في) يقول مثلاً في (ص٩٩) :

"محمد" الهادي إلى التوحيد متشحاً

بالصبر بالجد بالأخلاق والأدب

و(ص ١٦٣) :

تعمقت وحشتنا، تخثرت لفحتنا

في صدقنا في نبضنا في بوحنا في طفحنا .. كزبد نثار

ويتمم في ص ١٦٦ :

تفننوا في قتلنا في صلبنا في هتكنا

في عرضنا في أهلنا في وضح النهار

وللغرض نفسه نرى الشاعر أيضاً يكرر الصفات في البيت الواحد، كما جاء مثلاً في مطلع القصيدة السابقة وغيرها :

البحر خصمي وأنا في لُجَّة في غربة مكربة

وعزلة مفزعة موحشة ألتهم المحار

مظلتي نسجتها من غيمة من ديمة

مُظلمة معتمة مجدبة شحيحة الأمطار

وللشاعر الجوهرجي نصوصٌ وجملٌ شعرية غنية بالتصوير الفني، كالبيتين السابقين وغيرهما تخرجه أحياناً من شعراء المعاني. ولكنه يظل من شعراء الدعوة الإسلامية، لما يصدر عنه من رؤى إسلامية مؤمن بها، ولإحساسه وتعاطفه مع مآسي المسلمين ، في محنهم ونكباتهم المتكررة .

العنوان: ابن مقرب، حياته وشعره.
المؤلف: عمران بن محمد العمران.
الناشر: مطابع الفرزدق التجارية ـ الرياض.
ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، (٢٨٥ص).

لمؤلف هذا الكتاب (عمران العمران) دراسة أخرى صدرت عام ١٣٧٧هـ بعنوان: [من أعلام الشعر اليمامي]، ثم بعد ذلك كتابان هما: [شؤون وآراء] و [هوامش أدبية]، وكلاهما مقالات سبق له نَشْرُها. فضلا عن ديوانه الشعري [الأمل الظامئ]. ومن هنا فمؤلفنا باحث وأديب وشاعر. وقد طُبع كتابه [ابن مقرب.. حياته وشعره] طبعة أولى عام ١٣٨٨هـ، أي قبل أكثر من ربع قرن مما يجعل لكتابه السبق في الكتابة عن الشاعر ابن مقرب أولاً، وفي تراجم الشعراء ثانيًا، إذا ما قُورن بالأدباء والدارسين السعوديين.

ويخرج قارئ كتاب (ابن مقرب) بحصيلة كبرى من الثقافة التاريخية والأدبية والشعرية، جمعها المؤلف في كتابه عن شاعره ابن مقرب؛ وما رافق حياته من أحداث تاريخية أو سياسية لها امتدادها وجذورها في تاريخ


عمران العمران

منطقة الشاعر.

وسنَقفُ عند بعض النقاط التي أوردها العمران عن حياة ابن مقرب وشعره، عسى أن تمنحنا شيئًا عن شخصيته المتكاملة في مظاهرها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والشعرية.

كانت ولادة الشاعر في بلدة (العيون) الأحسائية سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م. ووفاته في البحرين سنة

٦٢٩هـ/١٢٣٢م. وكان شديد الاعتزاز بنسبه، كثير الافتخار بقومه، عطوفًا على المحتاجين، معروفا بالتُّقى، متمسكًا بالفضيلة. وقد بَرَّر المؤلف بعض زلاَّته، وأرجعها إلى حالة غضب مَرّت به. وكان سُنّيًا في مذهبه كأبناء عمّه (العيونيون)، ونفى عنه العمران تشيعه، وبخاصة تلك القصيدة المنتحلة المنسوبة إليه.

طُبع ديوان ابن مقرب مرتين: الأولى بمكة أيام العثمانيين سنة ١٣٠٧هـ، والثانية في (بمباي) بالهند سنة ١٣١٠هـ. وثمة نُسخ مخطوطة لـلديوان بلغت اثنتي عشرة نسخة موزعة في كثير من البلدان العربية والإسلامية.

كان موطن الشاعر البحرين، وهو من قرية (العيون)، كما ذكرنا، الواقعة طرف الأحساء الشمالي، على بعد خمسة عشر كيلا من مدينة (الهفوف). وإليها نُسبت الدولة (العيونية)، دولة (العبادلة) آل إبراهيم قوم الشاعر، التي حكمت البحرين حينًا من الدهر، وكان لها ذلك الدور المجيد في تاريخ تلك المنطقة، من حيث القضاء على القرامطة، واستنجادهم بالسلاجقة في ذلك. ومما قاله مفتخرًا بقومه لهذا الصنيع:

سَلْ (القرامط) من شظّى جماجمهم
فلقًا وغادرهم بعد العلا خدما؟
من بعد أن جَلّ بالبحرين شأنهم
وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها
أرض العراق وتغشى تارة (أدما)
وحرّقوا (عبد قيس) في منازلها
وصيّروا الغرّ من ساداتها حُمما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام ونصبوا منهم صنما
وما بنوا مسجدًا لله نعرفه
بل كان ما أدركوه قائمًا هُدما

ويبدو أن الشاعر ابن مقرب قد عانى كثيرا من بني عمه، إذ لاقى منهم الأذى والإذلال، والمضايقة والهوان، والمطاردة، ومصادرة أمواله وأملاكه. ولقد استشهد العمران بنصوص شعرية كثيرة تعبر عن تلك المحنة أو المعاناة التي كانت سبب هجرته ورحيله عن وطنه.

ومما قاله جوابا لمن لامته على رحيله وترك وطنه وأهله:

ذريني ـ لا أبالَك ـ كيف يرضى
بدار الهون ذو الحسب النضار
فظِلُّ السدر عند الذل أولى
بأهل المجد من ظِلِّ السدار

ومما قاله أيضًا عن تلك التجربة التي ظلت آثارها دامية في قلبه وتلحّ عليه صياغتها شعرًا مظهرًا عمق تلك المعاناة القاهرة:

لاتحسبوا بغضي الأوطان من ملل
لابُدّ للودّ والبغضاء من سبب:
قِلٌّ، وذل، وخذلانٌ، وضيم عدى
مقام مثلي على هذا من العجب
إذا الديار تغشّاك الهوان بها
فَخَلِّها لضعيف العزم واغترب

إن ذلك الرحيل عن دياره ووطنه قاده إلى الالتقاء بكثير من الحكام والأمراء وأعيان البلاد التي حلّ فيها. فمدحهم بشعر، يُعتبر في المقدمة من أغراضه الشعرية المعهودة. ويُخيل إلينا أنه لم يقصد أولئك الممدوحين إلا لمساعدته على استرجاع ما سُلب منه. ومن هؤلاء: ابن عمه محمد بن ماجد آل فضل «أمير الأحساء، وأبو القاسم محمد بن مسعودالعيوني قاتل ابن عمه، وعلي بن ماجد الذي استرجع الإمارة وثأر لأخيه، و مقدم بن غرير العيوني، وقد ذكروا أنه لم يمدحه لأنه كان «فتى خليعًا، سيء الطبع، دنيء الخُلق». وممن مدحهم أيضًا: الملك الأشرف بن العادل «صاحب الجزيرة الفراتية»، من ملوك الدولة الأيوبية، ويبدو أنه لم يلتق به، ولكن أخبار بطولاته التي تناهت إليه كانت كافية لمديحه بشعر ملحمي. وبدر الدين لؤلؤ الأتابكي «والي الموصل»، ثم هجاه. وتاج الدين اسماعيل بن النقيب جعفر العلوي الحسني «نقيب الأشراف في بغداد»، والناصرلدين الله أحمد بن المستضيء «الخليفة العباسي». هذا فضلا عن شخصيات أخرى لها مكانتها وشهرتها في السياسة والأدب والعلم والشعر، وعلى رأسهم عميدالدين أحمد بن جعفر «عامل واسط»، المعروف بـ(ابن الديثي)، وقد هجاه أيضا بشعر مُرٍّ لاذع ـ وابن الشعار الموصلي صاحب كتاب (قلائد الجمان في شعراء الزمان). والعالم الشاعر أمير البصرة شمس الدين باتكين.

يقف العمران عَبْرَ هذه المسيرة أو المغامرة الشعرية لابن مقرب عند الحرمان وأثره في شعره، فيجده مزيجًا «من دموع البؤس ومرارة الحرمان» كما أن ذلك الشعر «خلاصة لواقعه القاتم الأليم المنكوب». وأن الشاعر أمضى عمره دون أن يخرج بطائل، ودون أن تتحقق له أمانيه. وقد انعكست فيما يبدو تلك المرارة المؤلمة البائسةعلى بعض أغراضه الشعرية الأخرى التي نجدها في الشكوى والأنين والحكمة والعتاب والنصح، والشوق والحنين. وإن كان العمران يجد أن تلك الأغراض الشعرية «لاتختلف في عمومها عَمَّا ألفه الشعر العربي من قبل». ولكنه يرى أن ثقافته العامةَ أو لما كان له من حظ المعرفة الأثر على أسلوبه الشعري ونهج قصيدته، وبخاصة مااكتسبه من علوم في اللغة، وما اطلع عليه من تاريخ الماضين وأيامهم وأحداثهم، والعبر المستوحاة منها.. فضلا عما تجمّع له من مخزون شعري لمختلف العصور الماضية: الجاهلية والإسلامية والأموية والعباسية فكان شعراؤها يعيشون في ذاكرته، مما انعكس على لغته ومعانيه وتراكيبه.

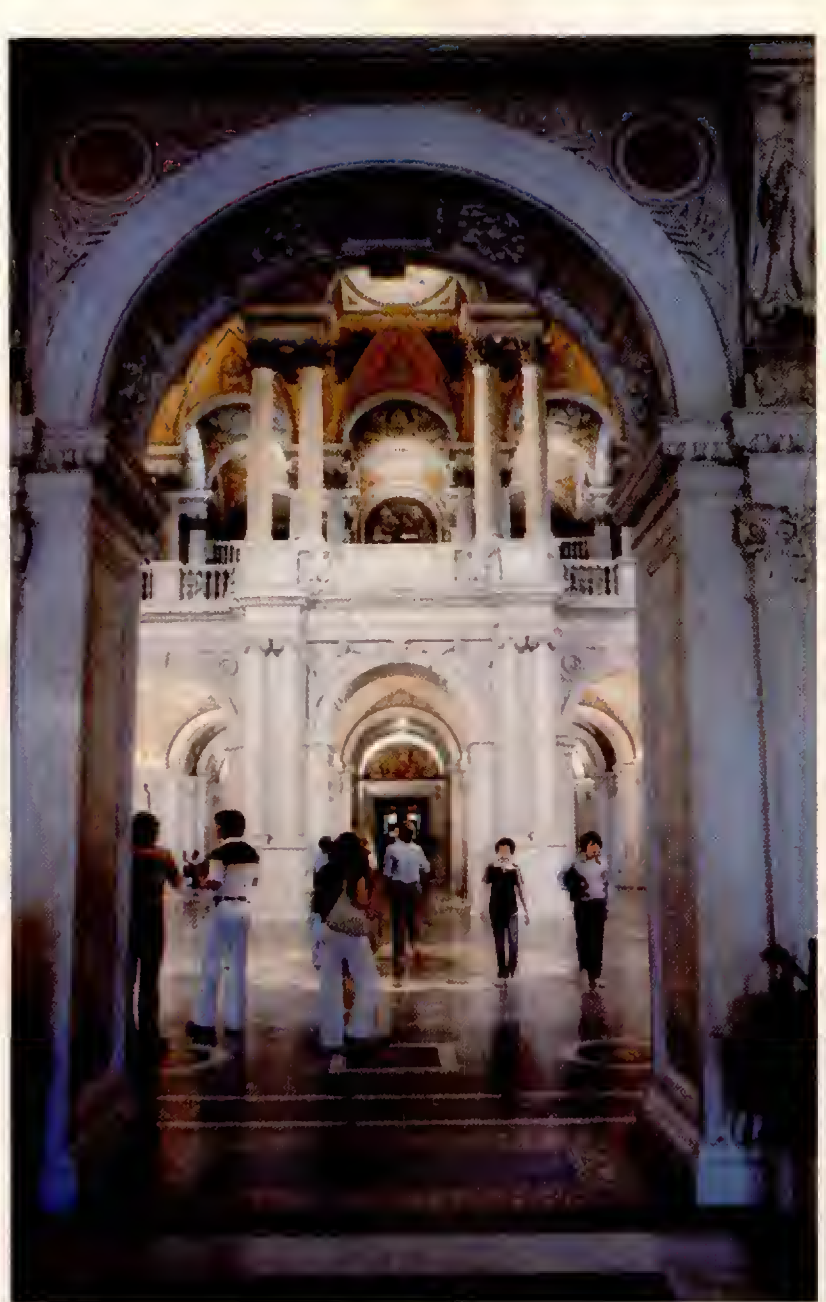
ومن هنا فقد كان العمران يجري موازنة بين شعر ابن مقرب وشعر من استوحى أو أخذ منهم، إذ وجد ذلك أمرًا طبيعيًا يقع للشعراء في الاقتداء والاحتذاء على مَرّ العصور، فاللاحق يأخذ عن السابق. ولكنه أشار إلى بعض الهنات اللغوية والموسيقية كمَآخذ على لغة ابن مقرب ومفرداته، مما أثر في شاعريته في مواضعها. على أن العمران انتهى إلى أن شاعرية ابن مقرب، وأصالة بيانه، وفخامة أسلوبه، وجزالة تعبيره يجدها دومًا في فخره وحماسته ومدحه وحكمته وشكواه وعتابه. كما أن الكثيرمن أحكامه وتقويماته لاتخلو من إعجاب كبير بالشاعر، وشعره، وشاعريته، كقوله: «إن وراء هذا الشعر رجلاً عملاقًا، وشاعرًا له خطره وأثره».

وإذا كان العمران لم يتجاوز هنات شاعره اللغوية المزرية بالفصاحة، فإنه تجاوز، بل دافع عنه في هناته الخُلقية والدينية. مثل تلك الزلأت التي أرجعها إلى حالة غضب عابرة ـ كما ذكرنا ـ ولاسيما في مواقف الهجاء لأناس سبق له أن مدحهم، وعدّها بادرة سبقه فيها المتنبي مع كافور «وهي سنة الشعراء وشَنْشَنتهم». كما أن وصفه للخمرة ولآثارها الطيبة هي أيضا «سنة الشعراء ووسيلة إلى الخلوص إلى لُبّ الغرض الأساسي للقصيدة»

ولكنَّ الحقّ يقال، فإن العمران، في مواضع أخرى، لم يستحسن هجاء ابن مقرب، فقد علق على بعض نماذجه بقوله: «ولاشك أن مثل هذا الهجاء الشنيع لا يبعث على البشاعة والتقزز. ولولا نشدان الحقيقة الأدبية المحضة لما طاب للقلم إيراد شيء من مثل هذا اللون المتطرف».

مكتبة الكونجرس

لمحات من التاريخ


مدخل لأكبر قاعة في المكتبة

إعداد : قسم الترجمة بالمجلة

محمد أحمد النهاري

المكتبة سجِلٌ حَيٌّ لما أحرزه الإنسان من تقدم منذ أقدم العصور، وعن طريقها استطاع الحفاظ على مصادر المعرفة البشرية بتمرير خبراته وآرائه من جيل إلى آخر، للاستفادة منها، وإضافة المزيد إليها. وكما أن المكتبة سجل الماضي والحاضر فإنها تواكب التقدم العلمي الذي يحرزه الإنسان. وأبسط تعريف للمكتبة: أنها مجموعة مختلفة من أوعية المعرفة، تَمَّ تجميعها حسب خطة موضوعة تمثل سياسة مرسومة لسَدِّ حاجات المجتمع الثقافية، ثم تنظيم هذه الأوعية حسب تقنيات متفق عليها تُسَهِّلُ تخزين مصادر المعرفة واسترجاعها عند الحاجة. وكلمة مكتبة - LI BRARY لاتينية الأصل مشتقة من كلمة - LI BER ومعناها كتاب. أما معناها الحديث فهي أكثر من مستودع للكتب، لأنها مركز لتوصيل المعلومات من المؤلف إلى القارئ بأمانة. واليوم تُعَدُّ المكتبة مقياسًا لتقدم الأمم، ومظهرًا لرُقِيِّها الحضاري يدل على احتفائها بالمعرفة ومصادرها وأوعيتها. ولن تجد أمة من الأمم تَعِي دور المكتبة العظيم في إثراء مختلف نواحي الحياة، إلاّ وتحرص على أن تفسح لها مكانة مرموقة في ساحة اهتمامات القيادة، لتصبح تنمية وتطوير قطاع المكتبات جزءًا رئيسًا في خطط وبرامج الدولة. لهذا اهتمت الأمم ببناء مكتباتها، وتسابقت في اقتناء المخطوطات ومجموعات الكتب القيمة، وعلى سبيل المثال، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مكتبات عملاقة يزيد عددها على المائة ألف مكتبة تستقبل قراءها لمدة عشرين ساعة يوميًا، وقسم كبير منها يوفر الخدمة المكتبية لقرائه خلال الأربع والعشرين ساعة وطيلة أيام الأسبوع.

هذا العـدد من المكتـبـات يشمل ۹,۰۰۰ مكتبة عامة، و ٧٥,٠٠٠ مكتبة مدرسية، وما يزيد على ٣,٠٠٠ مكتـبـة أكاديمية وجامعية. تحوي ما يزيد على مليار ونصف المليار من الكتب وغيرها من مصادرالمعرفة. وحجم الإعارة السنوية في هذه المكتبات يناهز أربعة مليارات من الكتب وغيرها من مصادر المعرفة. وفي هذا الخضم من المكتبات نَمَتْ مكتبات لم يسبق لها نظير، منها الجامعية مثل هارفرد، وبرنستون وغيرها من عشرات الجامعات، والقسم الآخر مكتبات عامة مثل: مكتبة مدينة نيويورك، وديترويت، ولوس أنجليس، وكليفلاند، وغيرها من المكتبات التي تخدم الشؤون الثقافية في المدن الكبيرة، أما المكتبات الحكومية فتعد بالمئات، وفي مقدمتها ثلاث مكتبات وطنية هي: مكتبة الكونجرس، ومكتبة الطب الوطنية، ومكتبة الزراعة الوطنية. وسنقدم عرضًا تاريخيًا لمكتبة الكونجرس، والخدمات التي تقدمها لقرائها نظرًا لما لها من أهمية في هذا المجال.

أُنْشِئَت هذه المكتبة بمرسوم من قبل الكونجرس صدر في ٢٤ أبريل عام ١٨٠٠م، لشراء الكتب الضرورية، لسد حاجات أعضاء الكونجرس، وتم استئجار شقة لحفظ الكتب في ذلك العام. وفي عام ١٨٠٢م خصص الكونجرس غرفة في العمارة نفسها لحفظ الكتب، وعُيِّن توماس جفرسون أول مكتبي يقوم بالخدمات المكتبية، بالإضافة إلى عمله ككاتب للكونجرس. وفي عام ١٨١٤م كانت مجموعة الكتب قد وصلت ٣,٠٠٠ مجلد معظمها في القانون، لكن استعمال المكتبة كان قليلا. وقد احترقت هذه المكتبة كُلِّيةً في العام نفسه حين غزا البريطانيون واشنطن وقاموا بإحراق بناية الكونجرس. وفي أعقاب الحرب بدأ النقاش حول كيفية إعادة



قسم الكتب النادرة في المكتبة

إنشاء المكتبة، فعرض الرئيس السابق جفرسون بيع مكتبته الخاصة للحكومة. وبعد نقاش حاد، وافقت الحكومة على شراء تلك المكتبة المكوّنة من ٦٧٠٠ مجلد لإنشاء مكتبة حكومية، بقيمة خمسة آلاف دولار، أفضل كثيراً من التي حرقها الإنجليز.

وعند افتتاح المكتبة الجديدة عُيِّن جورج واترسن أميناً لها، وخُصصت لها قاعة في مبنى البريد المركزي حتى عام ١٨٢٤م، ثم أعيدت ثانية إلى مبنى الكونجرس بعد أن أُعِدَّ فيه جناح خاص للمكتبة. بعد هذا التاريخ أخذت مجموعة الكتب تنمو باطراد عن طريق الهِبَات والنشرات الحكومية والشِّراء، لأن الكونجرس كان قد خصص ميزانية قدرها خمسة آلاف دولار سنوياً لهذا الغرض. وفي عام ١٨٣٢م نُقِلَ جزء من كتب القانون إلى مبنى المحكمة العليا، مع إبقاء تلك المجموعة من الكتب تحت إشراف أمين مكتبة الكونجرس، ومع حلول عام ١٨٥٠م كانت المكتبة تضم خمسين ألف مجلد، وبذلك أصبحت ثاني أكبر

الملك فيصل والملك خالد ـ ولي العهد آنذاك ـ (رحمهما الله) **في مكتبة الكونجرس يتفحصان وثيقة تاريخية مهمة تبين نسب النبي عليه الصلاة والسلام**

مكتبة في البلاد بعد مكتبة جامعة هارفرد. وفي العام التالي نشب حريق في البناية التهم أكثر كتبها ولم يبق سوى ٢٠,٠٠٠ مجلد من تلك المجموعة. وعلى إثر ذلك أُعيد إنشاء القاعة من مواد غير قابلة للاحتراق، وخصص الكونجرس مبلغ خمسة وسبعين ألف دولار لتعويض الكتب المحترقة.

وفي عام ١٨٦٧م تنامت مجموعة كتب التاريخ الأمريكي بعد إضافة مكتبة بيتر فورس إليها. وفي العام نفسه تم شراء مكتبة جيمس بيترو مع مجموعة ثالثة مكونة من أوراق رؤساء الجمهوريات السابقين، من أمثال، جورج واشنطن، وآدمز، وجفرسون، وغيرهم.

وفي عام ١٨٦٦م تم نقل مكتبة معهد سميثونيان، التي كانت تحتوي على أربعين ألف مجلد معظمها في العلوم الطبيعية، إلى مكتبة الكونجرس، وبحلول عام ١٨٧٠م صدر قانون حقوق الطبع والإيداع الذي ينص على تقديم نسختين من كل مطبوع يصدر في البلاد إلى المكتبة الوطنية. وكان ذلك بمثابة المصدر الثابت لتزويد المكتبة. وبذلك ارتفع عدد المجلدات إلى ثلاثمائة ألف مجلد عام ١٨٧٥م.

في عام ١٨٦٤م كان يعمل في المكتبة خمسة موظفين فقط، ولكن عند افتتاح المبنى الجديد عام ١٩٠٠م، كان العدد قد ارتفع إلى ١٨٥ مكتبياً مع ٤٥ موظفاً آخرين يعملون بقسم حقوق الطبع. وتضم المكتبة حالياً أكثر من ٢٦ مليون كتاب، وحوالى ٣٦ مليون مخطوطة.

توجد بالمكتبة الأقسام التالية:

١ـ دائرة الإيداع: تتولى استلام نسخ الإيداع التي تدخل المكتبة.

٢- المكتبـة القـانونيـة: مـجـمـوعـاتهـا هي أقـدم مجموعات المكتبة إطلاقًا، إذ وجـدت أولى المجـمـوعـات القانونية فيها منذ تأسيسها.

٣- قسم الخدمات الفنية: ويشـمل شُـعَب التـزويد، والتـصنيف، والفـهـرسـة، والببليوجرافيا الوطنية، ويضم أكبر عدد من موظفي المكتبة نظرًا لاتساع مجال الخدمات التي يقوم بها. ويحظى بميزانية تزيد على عشرين مليون دولار سنويًا.

٤- قسم المراجع: يتفرع إلى مجموعة من الشُعب يعمل فيها أكثر من (٨٥٠) موظفًا.

٥- شعبة خدمات المعاقين: تتولى خدمة المعاقين من القراء، كالصم والبكم، وتستخدم أجهزة حديثة تساعدهم على القراءة.

٦- شعبة الخرائط والجغرافيا: تتولى حفظ الخرائط والأطالس والمصوَّرات بأشكالها كافة.

٧- شعـبـة المخطوطات: وتحوي مجموعات مهمة من المخطوطات، بينها مجموعات قيمة من المخطوطات العربية والشرقية.

٨- شعبة أمريكا اللاتينية والبرتغال وإسبانيا.

٩- شعبة الإعارة: وتتولى إعارة الكتب خارج المكتبة، وبخاصة لأعضاء الكونجرس الأمريكي، والمؤسسات الحكومية، والباحثين، كما تتولى عملية التبادل مع المكتبات الأخرى.

١٠- شعبة الموسيقي: تهتم بجمع القِطَعِ الموسيقية والأسطوانات والأشرطة المسجَّلة. وتحوي المكتبة في هذا المجال ما يزيد على أربعة ملايين مجلد وقطعة موسيقية.

١١- شعبة المجموعات الشرقية: تضم مجموعات باللغات الصينية والكورية واليابانية والعربية وغيرها.

١٢- شعبة التصوير والاستنساخ.

١٣- شعبة الكتب النادرة: وتحوي ما يقرب من ٣٥٠،٠٠٠ مادة مكتبية نادرة.

١٤- شعبة العلوم والتكنولوجيا.

١٥- شعبة الدوريات.

١٦- شعبة اللغات السلوفاكية ووسط أوربا.

١٧- شعبة المخازن والقراء.

١٨- مكتب مدير المكتبة ومعاونيه.

ومن التغيرات الجذرية التي واكبت نقل المكتبة إلى المبنى الجديد، وَضْعُ نظام تصنيف جديد مع بعض التعديلات محل النظام القديم الذي ابتدعه توماس جفرسون، والذي لم يعد صالحا لتصنيف الكتب الحديثة.


مبنى توماس جيفرسون (مكتبة الكونجرس)

واقتضى قرار مدير المكتبة الدكتور هربرت بتنام بإعادة تصنيفها وَضْعَ الأسس لنظام

تصنيف جديد، واستكمال إعادة التصنيف، مما أوجد نظاما حديثًا باسم «تصنيف مكتبة الكونجرس».

رؤوس الموضوعات في المكتبة

تضم الطبعة الحادية عشرة من قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس الموضوعات التي استحدثها المفهرسون المختصون. وقد ظهرت هذه القائمة خلال شهر آب ١٩٨٧م، بإشراف هيئة العاملين في قسم الفهرسة الموضوعية برئاسة رونالد أ. غورديو، وباربارا بارتر.

ويلاحظ أن هذه الطبعة راعت استخدام لغة الكمبيوتر. ونظرًا للتوسع المذهل في رؤوس الموضوعات المقننة التي اشتملت عليها الطبعة الحادية عشرة، فقد ظهرت في ثلاثة أجزاء من القطع الكبير، تضم ما يقارب ٤١٦٤صفحة. وتشتمل كل صفحة على ثلاثة أعمدة: وهذا يعني أن القائمة تحوي ما يقارب (١٢,٥٠٠) عمود، يضم كل عمود ما لايقل عن خمسة وعشرين رأس موضوع.

إن التحليل لمعطيات ملف الإسناد في هذه الطبعة يبين أنها تحتوي على (٩٠٠٠) اسم شخص، و(٨٠٠٠) اسم عائلة، و (٢٠٠٠) اسم هيئة، وما يقارب (١٠٠) مؤتمر واجتماع، وحوالي (٦٠٠) عنوان موحد، إضافة إلى (١٣١٠٠٠) رأس موضوع و (١٩٠٠٠) موضوع جغرافي، و (٩٠٠) إحالة (استخدم USE) و (٣٢٠٠) إحالة (انظر أيضا SEE ALSO). إن إضافة وتعديل رؤوس الموضوعات تجري بشكل مستمر. ويضاف كل عام ما يقارب (٨٠٠٠) رأس موضوع مع التفريعات الإضافية. وهناك نشرات دورية تصدر لرصد الإضافة والتعديل. كما أن هناك نسبة ٤٠٪ من رؤوس



نقوش من الداخل تزين القبة التي تعتلي مبنى مكتبة الكونجرس . وقد اعتمد في هذه النقوش على الأصداف البحرية، وصور الأطفال، وأكاليل الزهور.



الاهتمام بالقرّاء المكفوفين من خلال توفير وتوزيع كتب مطبوعة بلغة برايل

الموضوعات تحتوي على أرقام تصنيفها، حيث يتم تغطية الموضوع بشكل شامل و عام.

المثال التالي يوضح ذلك:

NORWEGIAN LANGUAGE (PD 2571-2699)

وعندما يُصَنَّفُ الموضوع في أكثر من مكان في جداول التصنيف تبعًا لعلاقة الموضوع بمظهر موضوعي معين، فإنه يتم تسجيل جميع أرقام التصنيف الموضوع، وبإزاء كل منها المظهر الخاص. والمثال التالي يوضح ذلك:

SHELLFISH

(ZOOLOGY: QL 401-445)

(PUBLIC HEALTH: RA 602.52)

(SHELLFISH AS FOOD: TX 387)

(COOKERY: TX 753)

نظام التصنيف

يتم تحديث الجداول المختلفة عن طريق إصدار طبعات جديدة لبعض الجداول، مضافًا إليها بعض التعديلات اللازمة.

ويمتاز نظام تصنيف مكتبة الكونجرس بالشمولية، حيث إنه يحوي ٣٤ مجلدًا بالإضافة إلى ملخص النظام (A-Z). ولكل موضوع مجلد أو أكثر. والجدير بالذكر، أن إعداد هذه الجداول استغرق عدة سنوات. وقد تم الانتهاء من إعدادها في ١٩٤٠م،بإستثناء قسم القانون (K) الذي تم إنجازه مؤخرًا.

كما يمتاز النظام بقدرته على استيعاب موضوعات جديدة، نظرًا لأن المعرفة في تطور مستمر. فهناك أسلوب للتوسع في هذا النظام، وذلك بواسطة مجموعات الحروف والأرقام سهلة التذكر. وهناك إمكانية التصنيف التعاوني والفهرسة التعاونية التي يتيحها نظام تصنيف الكونجرس مثل: مشروع (PL480)، (وهو المشروع الذي تُوَفِّر مكتبة الكونجرس بمقتضاه فهرسة وتصنيفًا كاملين للكتب التي تحصل عليها من الدول العديدة الداخلة في هذا المشروع ومن بينها دول الشرق الأوسط). ويمكن برمجة تصنيف مكتبة الكونجرس، مما يتيح للمكتبات إتمام عملية البحث إلكترونيًا، واستخراج قوائم المواد لأي قطاع من التصنيف، وطباعة الفهارس، وضبط عمليات الجرد عن طريق الحاسب الآلي.

وبالرغم من هذه المزايا لا يخلو هذا النظام من عيوب منها، أنه صُمِّمَ خصيصًا لمصلحة مكتبة الكونجرس دون اعتبار لاحتياجات المكتبات الأخرى، حيث إن التقسيمات الجغرافية مرتبة هجائيًا، لذا نجد أنه يحدد الترتيب المفضل أحيانًا ابتداء بالعالم الغربي والولايات المتحدة الأمريكية.

ويؤخذ على تصنيف مكتبة الكونجرس عدم توافر المرونة الكافية، كما هو الحال في النظم الأخرى التي تتبع طريقة التركيب في إعطاء الرقم. وقد حاول تحقيق المرونة بترك أماكن خالية في التسلسل الحسابي ولكن هذا غير كاف، لأن تحديد عدد الأرقام المتروكة للتوسع يعتمد على التخمين.

وأكد البعض أن استعمال رموز المؤلفين في تصنيف مكتبة الكونجرس معقد إلى حد ما. ويعيب نظام التصنيف أيضا عدم وجود دليل كشاف شامل لاستخدام الجداول، إضافة إلى وجود نقص في تصنيف العلوم الخاصة بالأمم الأخرى غير الأمريكية.

المخطوطات العربية في المكتبة

توجد المخطوطات العربية في قسم الشرق الأدنى في مبنى (آدمز)، وهو أحد المباني الثلاثة التي تتكون منها مكتبة الكونجرس، وتشتمل على ثلاث مجموعات:

المجموعةالأولى: المخطوطات التي فهرسها الدكتور صلاح الدين المنجد حين زار المكتبة سنة ١٩٦١م، وأصدر لها فهرسًا سمَّاه «فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس بواشنطن»، سنة ١٩٦٩م. وقد أفاد الدكتور جورج عطية مدير قسم الشرق الأدنى بالمكتبة أن هذه المجموعات اشْتُريت من رجل أرمني الأصل يدعى كيفورك مينوسيان، كان يقيم بنيويورك، وهي تضم ٩٩ مجلدًا، إلى جانب مجموعة من الصفحات الخطية المفردة تصل إلى ١٠٠ صفحة، بعضها من القرن الرابع الهجري وبعضها من شمال أفريقيا، وبعض أجزاء من القرآن الكريم بالخط القيرواني وقد اشتريت هذه المجموعة سنة ١٩٣٧م تقريبًا.

وتضم هذه المجموعة من المخطوطات القيمة ماسنذكر بعضه على سبيل المثال وليس الحصر:

ـ الأدوية المعروفة المستعملة: لنجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي، المتوفى سنة٦١٩هـ،نسخة كُتِبَت سنة ٩٠٢هـ.

ـ الدستور: للمؤلف السابق، نسخة كتبت سنة ٨٩٢هـ.

ـ الأس في العمل بالسيف والترس: لمحمد بن علي الحنفي الهاشمي، بخط المؤلف، سنة ٩٩٩هـ.

ـ الكفاية في علم الرماية: للمؤلف السابق، وهي بخطه سنة ٩٩٩هـ.

ـ شرح فصول أبقراط: لعبد الرحمن بن علي بن أبي صادق، المتوفى سنة ٤٦٠هـ، وهي نسخة من القرن السابع.

ـ القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، المتوفى سنة ٨١٧هـ، قطعة منه إلى آخر باب الطاء (نسخة خزائنية) كتبت سنة



أكبر قاعة قراءة في المكتبة، وفي عام ١٨٧٠م أصبحت مستودعاً للمواد التي تودع بها من أجل حقوق النشر



جزء من إحدى المخطوطات الموجودة في قسم الشرق الأدنى

٩٤٨هـ.

المجموعة الثانية: مجموعة المنصوري، وهو الشيخ محمود الإمام المنصوري، من هيئة كبار العلماء بالأزهر، وقد اشترت منه مكتبة الكونجرس مجموعة كتبه المطبوعة والمخطوطة سنة ١٩٤٥م، عندما قررت إقامة قسم للشرق الأوسط، ويصل عدد مجلدات هذه المكتبة إلى خمسة آلاف، منها حوالي ١٤٠٠مخطوطة، وبما أن هذه المجموعة تخص عالمًا من الأزهر فهي تمثل علوم الدين الإسلامي واللسان العربي، وتكثر فيها الكتب السائرة بين المشايخ من حواش وتقريرات، لكنها تحتوي على عدد طيب من الكتب الأصول، والنوادر الخطية، كما تضم موروثًا عظيمًا من المخطوطات التي انتقلت إليه من آبائه. ومن تلك المجموعة في التفسير وعلوم القرآن:

ـ حاشية التفتازاني على الكشاف: لسعد الدين مسعود ابن عمر بن عبد الله التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩٣هـ، الجزء الأول، وهو إلى آخر سورة الأنعام. كتبت بقلم نسخي، كتبه جمال الدين ابن مشرف الحصاري سنة ٨٢٧هـ.

ـ مجمع البيان في علوم القرآن: لأمين الدين أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الإمامي، المتوفى سنة ٥٤٨هـ. وهي عشرة أجزاء، في أربعة مجلدات، كتبت بقلم نسخي جميل، سنة ١١١٧هـ، مجدولة بالذهب.

ـ التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، المتوفى سنة ٤٤٤هـ، كتبت بقلم نستعليق، سنة ٩٠٧.

كما تضم المجموعة كتبًا في الحديث وعلومه:

ـ بشرى الكئيب بلقاء الحبيب: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، كتبت بقلم نسخي، سنة نيف وسبعين وألف.

- قطر السيل في أمر الخيل: لسراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، المتوفى سنة ٨٠٥هـ، كتبت بقلم نسخي حسن، سنة ١١٦٣هـ.

ومن الكتب التي تشتمل عليها مجموعة المنصوري في التوحيد وعلم الكلام:

- شرح المواقف: لسيف الدين أحمد الأبهري، كتبت بقلم تعليق، سنة ٨٦٨هـ

- بحر الكلام: لأبي المعين ميمون بن محمد بن محمد النسفي، المتوفى سنة ٥٠٨هـ، كتبت بقلم نسخي من القرن العاشر.

المجموعة الثالثة: وهي المخطوطات التي أهداها السيد جيكوب بيكر إلى مكتبة الكونجرس، سنة ١٩٨٣م، وكان والده قد أقام في تركيا فاقتنى هذه المجموعة، وتصل مجلداتها إلى ٢٤٤مجلدا، وتضم بعض المخطوطات الفارسية والتركية وقد روجعت جميعها، ومنها في النحو:

- الفوائد الضيائية في حل مشكلات الكافية: لنورالدين أبي البركات عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، المتوفى سنة ٨٩٨هـ.

- الكافية في النحو: لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر، ابن الحاجب، المتوفى سنة ٦٤٦هـ، كتبت بقلم تعليق، في القرن التاسع.

ومن بين مجلدات مجموعة (جيكوب بيكر) في الأخلاق والآداب الشرعية:

- شرعة الإسلام إلى دار السلام: لركن الإسلام محمد بن أبي بكر الجوغي الحنفي، إمام زاده، المتوفى سنة ٥٧٣هـ، كتبت بقلم نسخي، سنة ٩٩٤هـ.



خريطة للعالم طبعت في ألمانيا عام ١٤٨٢م، (من مقتنيات المكتبة)

اتفاق بين مركز الملك فيصل والمكتبة

وقفت مكتبة الكونجرس على إمكانات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وخبراته في مجال فهرسة المخطوطات، فعقدت معه اتفاقًا في ١٤ديسمبر ١٩٨٧م، يقوم المركز بموجبه بفهرسة المخطوطات العربية التي توجد في المكتبة، وفق أحدث الأساليب المتبعة في هذا المجال، وتصويرها على ميكروفيلم. ويعطي هذا الاتفاق المركز حق امتلاك نسخ مصورة من تلك المخطوطات، والنشر عنها في فهرس مخطوطات المركز.

المراجع:

١- صور من المكتبات الوطنية حول العالم، د. يونس عزيز.

٢- المكتبات في العالم، تاريخها وتطورها حتى مطلع القرن العشرين، د. محمد ماهر حمادة.

٣- لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات، د. عبد اللطيف الصوفي.

4 - NATIONAL LIBRARIES OF THE WORLD. BY: A. ESDAILE. LONDON 1934.

5 - THE HISTORY OF THE LIBRARY OF CONGRESS. BY W.D. JOHNSTON.1904.

٦- المعالجات الفنية للمعلومات. إعداد مجموعة من الباحثين المكتبيين.

٧- عالم الكتب. المجلد الخامس - العدد الأول رجب ١٤٠٤هـ.

٨- عالم الكتب. المجلد الحادي عشر - العدد الأول، رجب ١٤١٠هـ.



إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التي تهم كل أفراد الأسرة

قلاع الإمارات
شهود على المجد

كامل يوسف حسين

يصعب على من يتأمل الطبيعة الصحراوية القاسية والقاحلة، لجانب كبير من أراضي الإمارات، التي تُعدّ من أقسى صحارى العالم، وأشدها ضراوة، أن يتخيل إمكانية توافر الحد الأدنى من المواد التي يمكن استخدامها في مشروعات معمارية، ذات طبيعة خاصة، كالقلاع والحصون والأبراج، مع ذلك فالواقع يؤكد أن دولة الإمارات العربية المتحدة من أكثر الدول العربية امتلاء بالمعالم الفذة لهذا النوع من العمارة، وتلك على وجه الدقة البصمة القوية، التي تركتها عبقرية المكان، وعبقرية الإنسان، التي عاشت في رحاب هذا المكان.

والحقيقة الأساسية هنا؛ هي أن الأدلة الأركيولوجية تؤكد لنا أن دولة الإمارات العربية المتحدة كانت تقطنها أقوام منذ نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، وهناك مؤشرات إلى وجود أقوام على أرضها قبل هذا التاريخ. وقد ترك هؤلاء السكان القدامى من الآثار، ما يؤكد أنهم عرفوا فن البناء المتطور بالحجر. فهناك مدافن تعود إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد تنم عن وجود طرز معمارية رفيعة، ذات أشكال دائرية، مقسمة بدقة من الداخل. بُنيت جدرانها الخارجية من أحجار منحوتة بإتقان، زين بعضها بأشكال بارزة، كما في مدافن هيلي ومدافن جزيرة أم النار وغيرها.

وبين هذه الملامح المعمارية الأولى، والقلاع والحصون والأبراج والمربعات الموجودة اليوم على أرض



الإمارات - وبعضها مازال في حالة أكثر من جيدة - يمتد تاريخ من الإبداع المعماري، الذي وصل إلى قمته في هذه الأعمال ذات الطابع العسكري الدفاعي، التي تقف خير شاهد على كفاح وصمود وبطولة أبناء الإمارات، في مواجهة القوى الخارجية المعتدية على المنطقة.

وإذا كان وجود مثل هذه الأعمال المعمارية الضخمة، في بيئة شحيحة بمواد البناء يبدو لغزاً للبعض، فإن مفتاح هذا اللغز هو عبقرية أبناء المنطقة في التعامل مع معطيات هذه البيئة، وبخاصة أن الأعمال المعمارية لم تقتصر على القلاع والحصون فحسب، وإنما امتدت إلى الأسوار كذلك، ومنها سور الشارقة القديم، وتحصينات رأس الخيمة الشامخة، التي زارها الرحالة الإنجليزي بكنجهام في العام ١٨١٦م، وكتب عنها يقول: «يبلغ طول مدينة رأس الخيمة نصف ميل تقريباً، وعرضها بين ساحل البحر، وساحل الخليج ربع الميل، ويمتد حولها سور عال، ترتفع على جوانبه عدة أبراج دفاعية على طول ساحل البحر، وتتمثل أقوى نقاط دفاعها في قلعة مربعة قائمة في الزاوية الشمالية الشرقية، وفي قلعة أخرى دائرية مزودة ببرجين قرب مركز المدينة، وهذه القلاع مزودة بالمدافع التي تقدر بحوالى ٧٠ مدفعاً. أما الأبراج الأخرى فالظاهر أنها متاريس لرماة البنادق. وتتألف بقية المدينة من أبنية صخرية وأكواخ من سعف النخيل، والطرق ضيقة ملتوية بين بيوتها، والعدد الحالي للسكان يمكن أن يقدّر بحوالى عشرة آلاف نسمة».

وتعكس هذه المعالم المعمارية الاستخدام الأمثل لكل المواد المتاحة، ومعظمها من البيئة المحلية، والقليل - الذي لا غنى عنه - مجلوب بالسفن عبر الخليج، ويُلاحظ أن المواد المستخدمة في بناء القلاع والحصون، هي نفسها المستخدمة في بناء البيوت





قصر الحصن



قلعة رأس الخيمة

في المنطقة قديماً، والمؤلفة أساساً من الحجر والجص والطين، ولكن مع اختلاف تصميم البناء وأبعاده، كارتفاع الأسوار، وضخامة الجدران، وعرضها.

وقد استُعمل في بناء القلاع والحصون في الإمارات نوع من الطين يعرف بالمدر، وهو طين شديد التماسك يكاد يشبه الأسمنت، كما استخدمت عناصر بالغة القوة، مستمدة من الحيد المرجاني البحري، وكذلك الجير المحروق وجذوع النخيل وسعفه، بالإضافة إلى



قلعة مريقب

أخشاب أشجار الساج والقرم.

ولم تكن مواقع هذه القلاع والحصون والأبراج والمربعات والمدورات، تختار عشوائيًا، وإنما وفق أصول وضوابط دقيقة، وهي موزعة عمليًا في أماكن بعينها في كافة أنحاء الإمارات ، فهي إما على مرتفع جبلي مثل حصن ضاية في رأس الخيمة ، الذي صمد في وجه القصف المدفعي البريطاني، وإما على مرتفع أبو ظبي، وقلعة الفهيدي، وحصون أم القيوين، وعجمان، ورأس الخيمة.

ويمكن القول، بصفة عامة، وحسبما يرى الباحثون، أن هناك طرازين معماريين للقلاع والحصون في الإمارات، يمكن أن يُوصف الأول منهما بأنه طراز عربي صحراوي؛ باعتبار أن مصدره قلب شبه الجزيرة العربية، والطراز الآخر جزيري أو هرمزي، نسبة إلى مضيق هرمز أو الجزر العربية المنتشرة فيه، وهو طراز عربي بدوره، لكنه يعكس بعض المؤثرات المعمارية الفارسية القديمة.

ويشير الباحثون إلى أن قلاع وحصون منطقة العين، وقلاع وحصون الساحل الشرقي والمنطقة الوسطى، الممتدة من العين حتى قبل رأس الخيمة، بما في ذلك مناطق المدام ومليحة والزيد وفلج المعلا، هي من الطراز العربي. وبالمقابل فإن الطراز الثاني - أي الهرمزي والجزيري - يبدو ماثلاً للعيان في القلاع والحصون المقامة على امتداد الساحل من أبو ظبي حتى رأس الخيمة، باستثناء بارز يتمثل في قلعة الفهيدي بدبي.

ولكن ما الاختلافات بين هذين الفنين المعماريين، وكيف تركت أثرها في قلاع الإمارات وحصونها؟

في معرض الإجابة على هذا السؤال المهم، نستطيع أن نتصور، بأوسع المعاني، وجود عشرة اختلافات رئيسة لها العديد من التفاصيل الفنية التي تتفرع عنها:

١- القلاع والحصون المبنية وفق الطراز العربي تتميز بأنها كيانات معمارية كبيرة، وبعضها قد لا يكون من قبيل المبالغة وصفه بأنه هائل وممتد.

٢- عادة تُوصف مواد البناء المستخدمة في هذا الطراز بأنها مواد



فقـيـرة، بمعنى البـعـد عن الـتـرف والرفاهية، ومنها بعض أنواع أحجار الجبال والطوب الطيني غير المحروق.

٣ـ يُلاحظ أن التـقـسـيـمـات الداخلية لقلاع هذا الطراز تميل إلي البساطة، والبعد عن التعقيد.

٤ـ تكاد عناصر الزخرفة والتجميل تختـفي كلية، في إطار الأعـمـال المعـمـارية المقـامـة وفـق هذا الطراز العربي.

٥ـ الأواوين لـيـسـت جـزءا من تصميم أعمال الطراز العربي.

مدخل قلعة الفهيدي

٦ـ النوافذ إما منعدمة كلية أو قليلة للغاية؛ لأن الأولوية لاعتبارات الأمن والصمود.

٧ـ بالمقـابل فـإن الأعـمـال ذات الطراز الهـرمـزي أو الجـزيري تـتـسم بدقـة البـناء، وتعـدد التـقـسـيـمـات، وتنوع مـواد البناء وكـثـرتهـا، ومنهـا الحجر المستـخرج من البحر، والجص والطين المخلوط بالتبن ومـا يسـمى بالصاروج، وهو خليط قوي يشبه في تماسكه الإسمنت.

٨ـ الملمح الـدال بشكل مـبـاشـر على الطـراز الجـزيري، وجـود أبراج الهـواء المعـروفة باسم البـراجيل، مع عدة أنواع من الزخرفة الجبسية.

٩ـ مـباني الطراز الجـزيري تتميز كذلك بـعمل (صلـمـة) لطش مستـو (يـسـمى بـلاسـتـر) على الجـدران باستخدام الجص، مع استعمال صبغ النورة الأبيض.

١٠ـ تبـرز في أعـمـال هذا الطراز كذلك الأواوين، والأعمدة وتيجانها وقواعدها، والأقواس المزخرفة.

ولما كانت الحياة العملية لاتنقسم بهذه الصرامة إلى أبيض وأسود، وإلى هذا الطراز أو ذاك، فـإن العين الخبيرة لا تخطئ وجود طراز ثالث يسـميه البـاحـثـون بالطراز الإماري ، هو في حـقـيقـة الأمـر بمثابة جـمع بين فنون الطرازين، العربي والجزيري، بالإضافة إلى عناصر الفنون المعـمـارية البـالغـة القدم، التي بدأت بعض عناصرها في الظهـور من خلال أعـمال التنقـيبـات مؤخرًا.

وكما سنرى فـإن القلاع الموجودة اليـوم تعـود إلى بداية القـرن الـسـابع عـشـر من الميلاد أو قـبل ذلك بوقت قصير، ومع ذلك فإن الباحثين يلفتون نظرنا إلى أن الوثـائق قبل الإنجليـزية، ومنهـا الوثائق البـرتغـاليـة، تشـير إلى

قلعة البثنة

وجود قلاع أقدم عهدًا على ساحلي الإمارات الغربي والشرقي، أبرزها قلاع رأس الخيمة، ومنها قلعة ضاية التي صمدت في وجه المدافع الإنجليزية.

ومن بين حصون الإمارات يشكل ما يعرف باسم حصن أو قصر الزبّاء حالة خاصة، بل قل لغزًا حقيقيًا، مازال يحير الباحثين، فهو من أقدم الأبنية المعروفة في رأس الخيمة، وكما يشير الاسم فإن البعض ينسبه إلى الزباء ملكة تدمر، باعتبار أنها هي التي بنته، وحشدت فيه حامية من جنودها، وذلك في القرن الثالث الميلادي، ومع أن بقايا هذا الحصن أو القصر قد كشفت أعمال التنقيب عنها، وعن العديد من ملامحها المعمارية والفنية، إلا أنه من المستحيل علميًا، في الوقت الراهن، تحديد ما إذا كانت الزباء هي التي بنته فعلاً أم لا.

يقول ناصر حسين العبودي، مدير إدارة الآثار بالشارقة في لقاء معه مؤخرًا : إن أعمال التنقيب كشفت العديد من الحقائق في هذا الصدد، إلا أن الباحثين ينتظرون الإطار العلمي المناسب لنشر ماتوافر لديهم من حقائق عن هذا الحصن الفريد.

وقد نستطيع الاقتراب بصورة أكبر من الإطار الحقيقي، والتاريخي لحصون الإمارات، وقلاعها العديدة، إذا أدركنا الأغراض التي شيدت من أجلها، فالهدف الأساسي من إنشائها رد الاعتداءات الخارجية بالإضافة إلى مهام الحراسة والأمن الداخلي، وغالبًا ما تكون القلعة مقرًا للحاكم. فهي مكتبه ومنزله معًا، تضم بعض المكاتب الإدارية ومقار المحاكم أو قيادات الشرطة، واستخدمت بعض أجزائها كسجون، كما أن ساحاتها أو



مدخل قلعة عجمان

الساحات الممتدة أمامها هي المكان التقليدي للاحتفالات بالمناسبات المختلفة كالأعياد.

ولا يُطلق على الحصون غالبًا أسماء الأماكن التي تقام فيها، إلا نادرًا، وإنما تطلق عليها أسماء القبائل أو الحكام.

وقد لا يكون من قبيل المبالغة القول: بأن من شأن دراسة حصون الإمارات أن تستغرق عمر فرق عديدة من الباحثين الاختصاصيين في الآثار والعمارة التقليدية والعسكرية. من هنا قد يكون من المناسب تحقيق إطلالة على عدد محدود من النماذج، هي الأكثر بروزًا وقدرة على استقطاب الزوار والباحثين على السوء.

ففي أبو ظبي يُعَدُّ مقر الحصن أقدم بناء في المدينة، وقد أطل إلى النور في العام ١٧٩٣م عندما قرر الشيخ شخبوط بن ذياب آل نهيان نقل مقر الحكم من واحة ليوا إلى جزيرة أبو ظبي، وبدأ بناء الحصن في بداية ذلك العام، واكتمل البناء مع نهاية العام. وكان في بداية أمره يتألف من برج دائري، وأضيفت إليه ثلاثة أبراج أصغر حجمًا، ثم تم بناء طابقين إلى يمين المدخل الرئيس، وفي الواجهة الأمامية أقيم مبنى آخر من طابقين وأحيط المبنى كله بسور خارجي، وشهد تطورات هائلة على امتداد تاريخه، وقد تم تحويل جانب منه إلى مركز للدراسات والوثائق يعد من أبرز المراكز في العالم العربي.

ومن معالم أبو ظبي الأثرية كذلك برج المقطع، وسلسلة من القلاع والحصون الرائعة كالجاهلي والمويجعي.

وفي دبي، تشمخ إلى جانب عدد







حصن الجاهلي

كبير من القلاع والأبراج والمربعات قلعة الفهيدي، التي يعود بناؤها إلى العام ١٨٠٠م، في عهد الشيخ هزاع بن زعل الياسي، وهي مبنية - كما سبق القول - وفق الطراز العربي في استثناء واضح من طرز بناء القلاع الساحلية الممتدة من أبو ظبي إلى رأس الخيمة، وهي مبنى مربع الشكل له برجان دائريان، مع برج ثالث مربع، وتضم متحف دبي، وهناك مشروع هائل لصيانة القلعة، وتطوير المنطقة المحيطة بها؛ لخدمتها وإبرازها، وجعلها مقصداً للسياح والزوار. ومن المعالم البارزة في دبي كذلك قلعة نايف، وبرج النهار وحصن حتا.

وفي الشارقة فقدت دنيا الآثار والعمارة التقليدية كنزا حقيقيا بإزالة حصن الشارقة القديم في العام ١٩٧١م، وكان عبارة عن حصن كبير ضخم، يضم برجين أحدهما كبير، والآخر صغير، وتألف الحصن من طابقين وتميز بتعدد حجراته ونوافذه، ولم يبق منه إلا البرج الصغير الواقع في شارع البنوك بالإضافة إلى مربعة كبيرة. ومع ذلك فقد بقي للشارقة عدد هائل من القلاع والحصون والأبراج، منها أبراج منطقة الخان، التي تتميز بوجودها على الساحل مباشرة وغير بعيدة من منطقة الفنادق، حيث تصافحها أنظار السياح والزوار وتتوقف عندها طويلاً. وفي الشارقة كذلك حصن المدام، وقلعة الزيد، وحصن كلباء، الذي يعود تاريخه إلى أربعمائة عام، وحصن الغبل وبروج خورفكان.

أما أبرز الحصون في عجمان، فالحصن الذي يحمل اسم الإمارة، وهو بناء تاريخي ضخم، وُضع أساسه في العام ١٧٧٥م في عهد الشيخ راشد بن حميد الأول، ويقع على مساحة تمتد إلى ٢٥٠٠ متر مربع، وقد استخدم في بنائه المرجان المستخرج من البحر، والجير المحروق والخشب المحلي والمستورد. ويتميز بضخامته وبنقوشه الهندسية الرائعة، وهو مؤلف من برجين دائريين كبيرين، وبرج ثالث مربع، ومقسم إلى العديد من الأجنحة والغرف، وهو يضم حاليا متحف عجمان، وفي عجمان كذلك قلعة المنامة والقصر الأبيض ومربعة مصفوت.

ويُعدّ حصن أم القيوين من أبرز معالمها المعمارية القديمة، وهو في الواقع حصن قديم جداً، يقع في منطقة اللبنة ويبلغ طوله ١٩٢قدما، وعرضه ١٤٨ قدما، ويتألف من برج دائري ضخم، وآخر مربع، ومربعة كبيرة، ومقسم إلى العديد من الغرف، وقد وضعت أمامه مدافع تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي. وفي أم القيوين كذلك أبراج اللزيمة وحصن فلج المعلا وبرج بخوت.

ويُعدّ حصن رأس الخيمة من أبرز المعالم فيها، ويرجع إلى أواسط القرن الثامن عشر، وقد بناه الشيخ سلطان بن صقر القاسمي المتوفى في العام ١٨٦٦م، وتعرَّض لتطورات وتغيرات وإضافات عديدة خلال المائة سنة الماضية، وهو يضم حاليا متحف رأس الخيمة. وفي رأس الخيمة كذلك قلعة الفلية، وقلعة العريبي، ومربعة الرمس، وحصن الجزيرة الحمراء، وأبراج خت، وحصن أذن.

وفي الفجيرة تتوقف الأنظار طويلا أمام قلعة الفجيرة التي بناها الشيخ محمد بن مطر حوالى العام ١٦٧٠م، وتتميز بأنها مبنية على تل مرتفع، يشرف على مدينة الفجيرة، وتبعد عن الساحل حوالى ثلاثة كيلو مترات. ومن حصون الفجيرة البارزة كذلك قلعة البثنة، وحصن البدية، وقلعة الميل، وقلعة القرية، وقلعة وادي سهم وغيرها.

وبالرغم من العناية الكبيرة التي تبديها الجهات المعنية في الإمارات بهذه المعالم البارزة من تاريخ الإمارات التي تقف شهوداً على مجد شامخ وماض تليد، إلا أنه من المؤكد أن المزيد من الجهد ينبغي القيام به في هذا الصدد؛ للحفاظ على هذه الكنوز المعمارية، وإبقائها للأجيال المقبلة.

المصادر والمراجع

١- إدارة الآثار والسياحة بوزارة الأعلام والثقافة (معد)، الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ١٩٧٥م.

٢- علي محمد راشد، الحصون والقلاع في دولة الإمارات العربية المتحدة، دبي، ١٩٩٢م.

٣- ناصر حسين العبودي، آثار الخليج العربي ج١، أبو ظبي، د. ت .

٤- ناصر حسين العبودي، القلاع في الإمارات، مجلة «المنتدى» العدد ١٩، السنة الثانية، فبراير ١٩٨٥م.

٥- مقابلة للكاتب مع الباحث ناصر حسين العبودي ، رئيس إدارة الآثار بالشارقة.

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعًا لم يكتبوا فيه، إذ ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنَّف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

الأجوبة المُسْكِتَة

كتاب جمع فيه مؤلفه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد أبي عون الكاتب المتوفَّى سنة ٣٢٢هـ، مادة خصبة غنية من أجوبة الأعراب والمتكلمين والفلاسفة والحكماء والزهاد، بما يدل دلالة قاطعة على بلاغة في التعبير، وسعة في الفكر، وقوة في الحجة، وفصل في الخطاب، ومع هذه الفصاحة والبلاغة والحكمة التي تبدو في كثير من الأجوبة نجد أدبًا وطرافة ودعابة وظرفًا، وخلطًا بين الفكاهة والجدِّ، ولله دَرُّ الجاحظ حيث يقول عن الأجوبة المسكتة: «أصعبَ الكلام مركبًا، وأعزه مطلبا، وأغمضه مذهبا، وأضيقه مسلكا، لأن صاحبها يعجل مناجاة الفكرة واستعمال القريحة حيث يروم في بديهته نقض ما أبرم القائل في رويته، ويفتح ببيانه منغلق الحجة، ويسد على خصمه واضح المحجة».

ونجد في الأجوبة المسكتة المتعة والتسلية بالإضافة إلى الحكمة والبديهة، لكثرة ما يضمه الكتاب من أجوبة هزلية، وفكاهات طريفة، ونكات ظريفة مما كان يدور في مجالس أنسهم وجلسات طربهم ومنتدياتهم الخاصة. والأجوبة التي تضم الحكمة البالغة في عبارات بليغة موجزة، فمن ذلك:

ـ وشى واشٍ إلى الإسكندر برجل، فقال: أتحب أن نقبل منك ما قلت فيه عليٍّ أن نقبل منه ما قال فيك؟ قال: لا، قال: فَكُفَّ عن الشر يُكَفَّ عنك.

والمؤلف اطَّلع على بعض ما أُلِّف في الأدب قبله، كما اطلع على الثقافة الأجنبية في عهده سواء على هيئة رسائل أو كتب دخلها الترتيب وحسن التبويب بعد ذلك، وتَخَيَّر المنظوم والمنثور، فانتقى ابن أبي عون طائفة من الأجوبة المسكتة، ومنها اخترنا هذه الطائفة:

ـ رأى الحسن على مالك بن دينار كساء صوف، فقال: أيعجبك هذا الطيلسان؟ قال: نعم، قال: إنه كان على شاة قبلك.

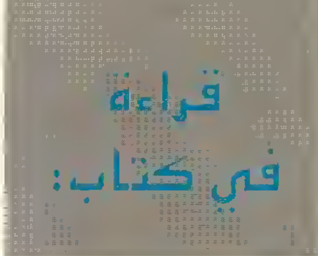
ـ جلسَ بعض الزهاد إلى رجل يشتري منه شيئًا، فقال له بعض من حضره: هذا فلان الزاهد فارخص له، فغضب وقام، وقال: إنما جئنا نشتري بدراهمنا، ولم نجيء نشتري بأدياننا.

ـ قال رجل لهشام القوطي: كم تَعُد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأكثر، قال: لم أُرِد هذا، كم لك من السنين؟ قال: والله مالي منها شيء، السنون كلها لله، قال: فما سنُّك؟ قال: عَظْم، قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين: رجل وامرأة، قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليَّ شيء لقتلني، قال: فكيف أقول؟ قال: تقول: كم مضى من عمرك؟.

ـ أتى رجل جارًا له وكان بخيلاً، فقال له: جُعِلْتُ فداك، قد مات أخي ولا كفن له، فقال: والله ما عندي اليومَ ما طلبت ولكن تعهدنا وتعود بعد أيام فسيكون ما تحب، فقال: فتأمر له بكفِّ ملح إلى أن يتيسر الكفن.

ـ أتى أبو موسى المكفوف مؤدب الحسن بن رجاء نخاسًا فقال له: أطلب لي حمارًا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر، إنْ خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لايصدم بي السواري، ولايدخلني تحت البواري، إن أكثرت علفه شكر، وإن أقللته صبر، إن حركته هام، وإن ركبه غيري نام، فقال النخاس: ياعبد الله، اصبر قليلاً، فإن مُسخ القاضي حمارًا أصبت حاجتك.

ـ كان بالمدينة عابث قد أفسد أحداثها، فشكا الناس أمره إلى السلطان، فنفاه إلى خارج المدينة، فبعدت المسافة على الناس، فكانوا يركبون حُمُر المكارية ويصيرون إليه، وكثر ذلك حتى كان الإنسان يركب فيسير الحمار ويقف عند بابه، فأحضره، وقال: ليس تريد شاهدًا أعدل عليك من هذا، وأمر بنفيه فبكى، فقال له: مم تبكي؟ فقال: من شماتة أهل العراق بنا، يقولون: أهل المدينة يجيزون شهادة الحمير، فضحك الوالي وخلّى سبيله.



التاريخ الشامل للمدينة المنورة



تأليف: د. عبد الباسط بدر
قراءة وتعليق: د. عبد الله محمد حسين

كتب الفيلسوف الساخر برناردشو مرة إلى أحد أصدقائه يقول: أعتذر من هذه الرسالة المطولة (٦صفحات) فليس لدي وقت لأكتبها في صفحتين!.

وبقدر ما تحمل عبارة (شو) من مفارقة مضحكة، بقدر ما هي حقيقة صادقة. لأن التعبير عن أية قضية بلا حدود أمر سهل على كل من مارس الكتابة، أما التعبير عنها في حدود ضيقة مرسومة فأمرٌ لايَعرِفُ صعوبته إلا من ابتلي به.

أكتب هذه المقدمة لأعذر نفسي وأعتذر إلى القرَّاء من الأزمة التي أحس بها وأنا أُقدِّم كتابا ضخمًا (١٥٠٠ص في ٣ مجلدات) في مساحة محدودة، ويزيد الأمر صعوبة أن الكتاب تاريخي، أي إنه سلسلة من الأحداث المتعاقبة، فأيَّ حدث أعْرِض وأيَّ حدث أتْرك؟. لذلك سوف أسْرِد الملامح الرئيسة لمضمون الكتاب، متقمصًا شخصية الراوي، ثم أُقدِّم لمحة عن منهج الكِتاب وسماته الرئيسة.

أبدأ الرحلة من تأسيس المدينة المنورة، عندما كان اسمها يثرب:

في زمن سحيق كانت مجموعة قادمة من بابل أو من تهامة (على اختلاف بين المؤرخين) يقودها أحد أحفاد نوح عليه السلام (الحفيد الرابع أو الثامن) تبحث عن موطن تستقر فيه، فلما وصلت إلى موقع المدينة وجدت فيه الماء والخضرة والحماية الطبيعية، فاستوطنت فيه، وأطلقت عليه اسم زعيمها (يثرب). ثم قَدِمَتْ قبائل أخرى، فَنَمَتْ يثرب وعاشت حياة زراعية موفورة العطاء، واحْتَكَّت بالحضارات المجاورة، وخضعت لسلطة المعينيين، ثم السبئيين، وعندما شَتَّتَ بختنصر اليهود (٥٨٦ ق م) اتجهت مجموعة صغيرة منهم إلى الحجاز، وربما وصل بعضهم إلى يثرب.

ولما جاء الملك الكلداني نبونيد إلى تيماء حوالي (٥٤٨ق م) مَدَّ نفوذه إليها، وكان النفوذ لا يتجاوز إعلان الولاء ودفع الضرائب وتأمين القوافل.

وتشير كتابات الجغرافي (سترابون) إلى أن حملة رومانية خرجت من مصر إلى اليمن عام ٢٥ق م مرّت بيثرب أو قربها، وأن الحارث زعيم القبائل في المنطقة أحسن التصرف مع قائد الحملة فجنّب المدينة المصائب.

ولما شُتِّتَ اليهود بعد ذلك على يد تيتوس الروماني عام ٧٠م، وهارديان عام ١٣٢م فَرّتْ قبائل كاملة منهم إلى الحجاز ووصل بعضها إلى يثرب (بنو قينقاع والنضير

وقريظة) وعملوا في الزراعة والصناعة، وملكوا الأموال، وبنوا الآطام والحصون.

وما لبثت أن وصلت قبيلتا الأوس والخزرج مهاجرتين من اليمن بعد خراب سَدّ مأرب (حوالي ٤٥٠م) فنزلوا في المنطقة وعملوا في مزارع اليهود، ثم زرعوا بعض الأراضي لحسابهم وتحسنت أحوالهم، فَنَقِم اليهود عليهم، وبَالَغ مَلِكُهم (الفطيون) في إهانتهم، فاستنجدوا بأبناء عمومتهم الغساسنة في الشام، فجاء أبو جبيلة الغساني وبطش بزعماء يهود وأنهى استعلاءهم، فانتقم اليهود بإثارة العداوات بين القبيلتين الشقيقتين، ونشبت حروب طويلة بينهما (١٢٠ سنة تقريبًا)، وتَوَزَّع اليهود بينهما، كل فريق يشايع إحدى القبيلتين، وفي آخر وقعة (وقعة بُعاث) تنادى عقلاء القبيلتين لوقف طاحونة الدماء، وكادوا أن يعقدوا المُلْكَ لعبد الله بن أبي بن سلول، وخرج نفر من الخزرج يبحثون عن حليف خارجي في مكة، ولَقَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا به.

وفي العام التالي (كانت يثرب على موعد وعدها الله إياه من الأمد الأول... حيث انتقلت البذور المؤمنة من صخور مكة الصلبة إلى واحة يثرب الخصيبة، لتروى البذور وتنتعش، وتتحول إلى حدائق وظلال)، فكانت بيعة العقبة الأولى. ثم تلتها بيعة العقبة الثانية.. ثم بدأت هجرة المسلمين، وتكللت بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر، فطلع البدرعلى يثرب يحمل إليها أكبر انعطاف في تاريخها، تغيرت فيها أشياء كثيرة: اسمها، فقد خَلَعَتْ عنها الاسم الصلد يثرب، وصار اسمها طيبة وطابة والمدينة المنورة. وهذا الأخير هو الذي شاع. وتحولت من بلدة زراعية بسيطة إلى مركز يَعُجُّ بالنشاط، وتغيرت العلاقات الداخلية فيها، وتآخى المسلمون واتحدوا تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم بدأ صِدَامُ هذا المجتمع مع المشركين في مكة، وخرجت سرايا المجاهدين تُعَاقِب قريشًا على ما ارتكبته بحق المسلمين، وشاء الله أن تَحْدُثَ وقعة بدر الكبرى لتكون تعزيزًا ضخمًا لذلك المجتمع الناهض، وحاول المشركون أن يثأروا لهزيمتهم ويستعيدوا هيبتهم في غزوة أحد، لكن حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبطولة المسلمين أضاعت على المشركين فرصة الاستفادة من انتصارهم العسكري المحدود في أُحد، وظلت سرايا المسلمين تهدد قوافل مكة.

غير أن المسلمين أخذوا يعانون من مكر اليهود داخل المدينة. وارتَدَّ المكر على يهود، فَطُرِدَ بنو قينقاع بعد أحد مواقف التعدي، ثم أُخْرِجَ بنو النضير عندما حاولوا اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجاء المشركون ومعهم أحلافهم من قبائل شتى ليهاجموا المدينة. فحفر المسلمون الخندق وتحصنوا وراءه، وحاول بنو قريظة طعن المسلمين من وراء ظهورهم، ولكن الله رَدَّ الغزاة على أدبارهم قبل أن يتمكن القرظيون من ذلك، وقُتِلَ القرظيون، فتخلصت المدينة من القبائل اليهودية الثلاث، وأدركت قريش أنها لن تستطيع القضاء على المجتمع المسلم فاتَّفق على الصلح في الحديبية. وفتح الله على المسلمين فازداد مجتمعهم قوة وتماسكًا، وصارت المدينة عاصمة لمنطقة إسلامية تتزايد يومًا بعد يوم، وفُتِحَتْ خيبر، ثم أُذِنَ الله بفتح مكة عندما نقضت قريش شروط الصلح، وتوجهت حشود المجاهدين من المدينة وما حولها إلى أُمِّ القرى وأنهت دولة الشِّرك. ووفدت القبائل من أطراف الجزيرة العربية على المدينة تُعْلِن إسلامها، وعاشت المدينة أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي قلب الدولة الإسلامية الجديدة، ثم ودَّعته إلى الرفيق الأعلى بقلوب متفطرة، وبايعت أبا بكر الصديق، فبدأت مرحلة العهد الراشدي.

مَرَّت المدينة في بداية هذه المرحلة بأخطر أزمة، فقد ارْتَدَّ الكثيرون، وزحفت حشود من الأعراب إلى أطراف المدينة، ونهض أبو بكر بعبء ضخم، وقاد بنفسه حملات تطهير حاسمة، فَرَدَّ الزاحفين، وعقد الألوية لمحاربة المرتدين في أطراف الجزيرة العربية، وتَحَوَّلَتْ المدينة إلى مركز عسكري يتجمع فيه المجاهدون ثم يتوجهون إلى ميادين الجهاد، وتَمَّ القضاء على الرِّدَّة، وبدأت حركة الفتوح، واستمرت معسكرات المجاهدين في المدينة تصدر الأفواج المتوالية منهم إلى الشام والعراق، وتوفي أبو بكر، وتولى الخلافة عمر بن الخطاب، وعاشت المدينة في أيامه، وفي السنوات الستِّ التالية من خلافة عثمان، فترة حافلة بالطمأنينة والرغد ومجالس العلم.

ثم بدأت الفتنة الكبرى عندما تحرك الناقمون على سياسة عثمان، وعُقِدَت خيوط المؤامرة، وأسهم عبد الله بن سبأ بِدَوْرٍ بارز

التاريخ الشامل للمدينة المنورة

فيها، وشهدت المدينة فترة مملوءة بالقلق والاضطراب، انتهت باستشهاد عثمان رضي الله عنه، ثم تولى الخلافة علي رضي الله عنه، واتّسع نطاق الفتنة، وخرج عليٌّ بِقِسْمٍ من أهل المدينة لإطفائها، ولكنها ازدادت حدة، فرحل إلى الكوفة مع رجاله وكانت وقعة الجمل ثم صِفّين، وعادت الحياة في المدينة بسيطة هادئة، وقَلَّ سكانها.

ولما تنازل الحسن بن علي لمعاوية عن الخلافة بعد استشهاد أبيه، بدأت صفحة جديدة من تاريخ المدينة التي أصبحت (إمارة من إمارات الدولة الأموية .. تتعلق بها أعين الأمويين، وتحظى بقدر من حبهم وقلقهم واهتمامهم وخوفهم).

ويحفل العهد الأموي بالأحداث التي تركت آثاراً عميقة في حياة المدينة، أولها قضية البيعة ليزيد، فقد أخذها معاوية لابنه قبل موته، ولاقى صعوبة في مبايعة الحسين ابن علي وعبد الله بن الزبير، فلما تُوفي خرج هذان من المدينة في جمع قليل من أصحابهما، وقتل الحسين في كربلاء وعادت بقية أسرته المفجوعة إلى المدينة لِتَزْرَعَ النقمة، واعتصم عبد الله بن الزبير بمكة، وسافر وفد من المدينة إلى دمشق فعاد وهو يردد الشائعات عن معاصي يزيد، رغم أنهم لم يَطَّلعوا على شيء منها. ورغم إكرام يزيد لهم، سَرَتْ موجة عاطفية تدعو إلى خلعه، وقاد عبدالله بن حنظلة وعبد الله بن مطيع الثورة، وأعلنا خَلْعَ يزيد وأخرجوا الأمويين من المدينة، ولم يستجيبوا لنصائح بعض المتعقلين، كعبد الله بن عمر وعلي بن الحسين وعبد الله بن عباس بعدم شرعية الثورة وخطورة نتائجها. ورأى يزيد في خروج مكة ثم المدينة بداية لتفكك الدولة، فحاول أن يعالج الأمر سِلْمًا، وأرسل النعمان ابن بشير ثم عبد الله بن جعفر فلم يفعلا شيئًا، ثم أرسل قائده مسلم بن عقبة لينهي التمرد، وجاء مسلم فحاصر المدينة وأنذر المتمردين وأمهلهم ثلاثة أيام للعودة إلى الطاعة ولهم الأمَان، ولكن الثائرين أصرّوا على التمرد، فاقتحم المدينة من جهة (الحَرَّة الشرقية)، وأعمل السيف فيهم، وقتل في اليومين التاليين عدداً آخر في مجلسه، فُروِّعت المدينة بأفجع مأساة في تاريخها، توزعت فيها الأخطاء بين المندفعين في ثورة لم تكتمل أسبابها ولا وسائل نجاحها، وبين بطش مسلم بن عقبة الظالم.

وسكنت المدينة بعدها تأسو جراحها، وتحولت الحياة فيها إلى تيار هادئ وانشغل الناس بأمورهم اليومية، وبالولاة المتوالين، وبالعلاقات المتوترة حينًا والمتناغمة حينًا بين الأمويين من جهة، والهاشميين والزبيريين من جهة أخرى، وقد أسرف بعض الولاة في التضييق والمراقبة (كهشام بن إسماعيل وعبد الرحمن بن الضحاك وخالد بن عبدالملك و محمد بن هشام)، بينما اجتهد آخرون في حسن المعاملة والرفق والاهتمام بشؤون أهل المدينة (كأبان بن عثمان بن عفان وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن حزم)، وقبيل نهاية العهد الأموي دهم الخوارج المدينة، ومكثوا فيها بضعة أشهر، ولم يجدوا أي استجابة من أهلها فخرجوا منها.

وعندما تولى العباسيون الخلافة قُتِل عدد من الأمويين فيها، وفي عهد أبي جعفر المنصور اشتدت المراقبة على محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بذي النفس الزكية الذي كان يُعِدُّ مع أخيه إبراهيم للثورة، فشهدت المدينة حملات التفتيش ومَنْع التجول والتمشيط وتحوّل ذو النفس الزكية إلى أسطورة بطولية، وقُبِضَ على والده وبعض أقاربه وسيقوا بالأغلال إلى العراق، وتفجرت الثورة وخلع معظم أهل المدينة بيعة المنصور، ولكن المنصور استطاع بدهائه ومراسلاته أن يُحيّد عدداً منهم، وأرسل حملة حاصرت المدينة وأمهلت الثائرين ثلاثة أيام ليعودوا إلى الطاعة ولهم الأمان والعطاء، ثم اقتُحِمَتْ المدينة، فكانت ثاني ملحمة في تاريخها، قُتِلَ فيها ذو النفس الزكية ومعظم رجاله المحاربين ولكن لم يُؤْذَ أحد سواهم. وقد استطاع الخليفة المهدي من بعد أن يمسح آثار هذه الوقعة عندما زار المدينة وأكرم أهلها، وجدَّد المسجد النبوي ووسّعه.

وتمضي سنوات العصر العباسي الأول، وفيها بعض الأحداث اللافتة للنظر، منها ثورة السودان، وهي ثورة عجيبة، هاجم فيها عبيد أهل المدينة الجنود الخراسانيين لتحرشهم بالناس، وسيطروا على المدينة لبعض الوقت، وأخرجوا الوالي العباسي، ولكن أهل المدينة خافوا أن تحدث ملحمة ثالثة، فطلبوا من عبيدهم الإقلاع عن الثورة والعودة إلى حياتهم العادية فانصاعوا بطواعية مدهشة، ورضوا أن يُطَبَّقَ عليهم القِصاص.

ومنها أيضًا ثورة يحيى بن عبد الله وابن عمه الحسين بن علي عام ١٦٩هـ، وهي أسوأ ثورة شهدتها المدينة، دارت خلالها المعارك قرب المسجد النبوي لعدة أيام، وأساء الثوار التصرف فكرهم المدنيون ولم

يناصروهم، فاضطروا للخروج خوفًا من حملة عباسية قادمة.

وفي القرن الهجري الثالث تبرز مشكلة الأعراب الذين يهددون الطريق ويغيرون على الحجاج والقوافل، وأحيانًا على أطراف المدينة، فيرسل الخليفة حملة بقيادة بغا الكبير تدهمهم في ديارهم وتقتل عتاتهم، وتأخذ الرهائن منهم ليُسْجَنوا في المدينة، ويكتظُّ السجن بألف وثلاثمئة سجين، فيعملون على الفرار ويَنْقُبون جدار السجن ويخرجون إلى الشارع، فيتصدى لهم المدنيون ويقتلون رؤساءهم ويعيدون الباقين إلى الأصفاد.

وما إن تهدأ مشكلة الأعراب حتى تظهر مشكلة الصِّدام بين الحسينيين والحسنيين، لنزاع على بعض الأوقاف وعلى السيادة، وينتصر الحسينيون ويتسلمون إمارة المدينة، بينما يتسلم الحسنيون إمارة مكة.

وعندما يصل الفاطميون إلى مصر يقدم الحسينيون لهم الولاء، غير أن هذا الولاء لم يكن صافيًا، فقد تذبذب وتحَوَّل إلى العباسيين عدة مرات، وفشل الفاطميون في نشر عقيدتهم الباطنية فيها، فالمدينة تعيش على إرث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلماؤها يرسخون فقه المذاهب الأربعة، فاغتاظ الحاكم بأمر الله، وأرسل حملة وأمَّرَ أميرَ مكة الحسني (أبا الفتوح) بمرافقتها وطرد الحسينيين، وسارت الحملة واقتحمت المدينة وأخرجت الحسينيين، ثم فُوجئ أبو الفتوح بالقائد الفاطمي يخبره أن الحاكم بأمر الله أمره أن ينبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لينقل جسده الطاهر إلى القاهرة، ففزع فزعًا شديدًا، ونصح القائد بتجنب ذلك، ولكن القائد أصَرَّ على تنفيذ الأمر فتركه أبو الفتوح، وعلم أهل المدينة بالخبر فهرعوا إلى المسجد النبوي، رغم عدم قدرتهم على مواجهة الجنود، وشاء الله أن تهب ريح عاصفة لم تَرَ المدينة مثلها قط، وأظلمت السماء، وتفجرت أصوات الرعد، فخاف القائد وجنوده وأقلعوا عما هَمّوا به.

وعندما يصل الأيوبيون إلى السلطة في مصر يتحول ولاء المدينة إليهم، ويجتهد صلاح الدين في تأمين المدينة والقادمين إليها، ويرسل الأموال لذلك.

ومن الأحداث المثيرة آنئذ حملة صليبية أرسلها (أرناط) عبر البحر الأحمر ووصلت إلى مسافة ليلة واحدة من المدينة، وهي حملة شبه مجهولة في أخبار الحروب الصليبية، وقد سارع صلاح الدين للتصدي لها، وأرسل قائده لؤلؤ فقضى عليها، وانتقم من أرناط فقتله بيده عندما ظفر به، وقد كشفت هذه الحملة الضعف الشديد الذي كانت عليه المنطقة، فالحملة لم يزد عدد رجالها على ٣٠٠ مقاتل، ومع ذلك استطاعت أن تمضي إلى عيذاب وينبع وتقتل وتأسر، وتصل إلى مشارف المدينة دون أن يتصدى لها أحد.

بعد ذلك تدخل المدينة في سلسلة من الصراعات مع أمير مكة قتادة بن إدريس وخلفائه، ويثور في شرقيّها بركان هائل يستمر حوالي ثلاثة أشهر، ويحترق المسجد النبوي (٦٥٤هـ)، ويعاد بناؤه، ويتوالى على المدينة أمراء من آل جماز، ويدور بينهم صراع عجيب.

وتدخل المدينة في نفوذ المماليك الذين خلفوا الأيوبيين، ويعطي المماليك أمراءها الحرية في إدارة شؤون المدينة، ويتدخلون عندما تَكثُر الشكاوى على الأمير فيعزلونه، وربما يسجنونه، ويعينون أحد أفراد الأسرة الحسينية مكانه، وتسوء تصرفات بعض الأمراء، ويكيد بعضهم لبعض عند السلطان المملوكي، ويبدأ صراع دبلوماسي يوازي الصراع الحربي، كما تسوء إدارة بعض السلاطين فتصبح إمارة المدينة قابلة للعزل والتولية حسب وساطة الساعي إليها، وتعطى مرة التزامًا مقابل مبلغ مالي، وينتقل بعض الأمراء من الإمارة إلى السجن، وبالعكس، ويتحول بعضهم إلى قاطع طريق يهدد المدينة نفسها، ويصبح هَمُّهم جمع ثروة عاجلة من الضرائب والمكوس، حتى إن أحدهم (حسن بن زبيري) يتجرأ على المسجد النبوي وينهب نفائس الحجرة النبوية، ويترك الإمارة إلى الصحراء. ويحترق المسجد النبوي ثانية (٨٨٦هـ) ويعاد بناؤه على نفقة السلطان قايتباي، ويستولي أمير مكة على المدينة ويجعلها تابعة لسلطته.

وإلى جانب هذه الأحداث المؤلمة، ثمة إشراقات عدة في هذه الفترة، تحدث عندما يصل إلى الإمارة شخص تقي عادل يحسن السيرة، ويُسقط المكوس، كما فعل مانع بن علي وعطية بن منصور.

وفي عام ٩٢٣هـ يصل السلطان سليم العثماني إلى مصر مُنْهيًا دولة المماليك، ويتطلع إلى الحجاز، فيسارع أمير مكة الشريف بركات بإرسال ابنه أبي نمي إليه ليسلمه مفاتيح الحرمين، ويعلن ولاء مكة والمدينة للعثمانيين، فيفرح السلطان سليم بذلك فرحًا شديدًا ويرسل الأعطيات السخية إلى أهل الحرمين.

وتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ المدينة تمتد

أكثر من أربعة قرون، وتنقسم إلى فترتين كبيرتين، تفصل بينهما ست سنوات من سيادة الدولة السعودية الأولى. أما الفترة الأولى (٩٢٣ ـ ١٢٢٠هـ) فلم تتغير أحوال المدينة فيها كثيرًا عما كانت عليه في عهد المماليك: صراع مع أمير مكة، وتسلط الأعراب على القوافل، وغاراتهم أحيانًا على المدينة، ويزيد الطين بلَّة شغب وفتن يثيرها بعض العسكر، فقد أدى ضعف الإدارة واضطرابها منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى ظهور مراكز قوى لقيادات الفرق العسكرية في المدينة (السباهية والنوبتجية والقلعجية)، وتناحرها فيما بينها، وعاشت المدينة في اضطرابات متوالية، وظهرت مبادرات غير عادية لبعض أهلها، كجماعة العهد الذين حاولوا التصدي للمفسدين، ولم تنته الحالة المزرية إلا بوصول سلطان الدولة السعودية الأولى إلى المنطقة، ودخول بعض الأفراد والقبائل في الحركة الإصلاحية التي نهض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمراء السعوديون، فخرجت المدينة من سلطة العثمانيين وبايعت السعوديين، وتولى مبارك بن مضيان إمارتها (١٢٢٠هـ)، وأُزيلَتْ مظاهر البِدَع، وعاشت المدينة ست سنوات تالية من الأمن والطمأنينة.

ولكن العثمانيين لم يسكتوا عن هذه الهزيمة، فألحوا على والي مصر محمد علي باشا أن يجرد حملة ليسترد الحجاز، وفي عام ١٢٢٥هـ أرسل محمد علي حملة كبيرة بقيادة ابنه طوسون، فتصدى لها السعوديون في وادي الصفراء قرب المدينة وهزموها شر هزيمة، فأعاد محمد علي الكرَّة بقوة أكبر، بقيادة ابنه إبراهيم، الذي حاصر المدينة ونسف جزءًا من سورها عام ١٢٢٦هـ وأقام فيها ملحمة رابعة، فدخلت المدينة في سلطة محمد علي، وصارت مركز تجمع عسكري للحملات المتجهة إلى نجد، وما لبث جيش محمد علي أن انسحب من المدينة (١٢٥٦هـ) وسلمها للعثمانيين ثانية في سياق انسحابه من الجزيرة العربية كلها، وبدأت الفترة الثانية من المرحلة العثمانية في المدينة (١٢٥٦ ـ ١٣٣٧هـ).

شهدت المدينة في هذه المرحلة نشاطًا واسعًا، فقد أُعيدَ بناء المسجد النبوي ووُسِّعَ (التوسعة المجيدية) ومع بداية القرن الرابع عشر أُقيمت محطة للاسلكي ومُدَّتْ السكة الحديدية ووصل القطار إليها وأحدث تغييرات ضخمة في حياتها الاقتصادية، وتضاعف عدد سكانها عدة أضعاف وانفصلت عن مكة وصارت محافظة مستقلة، غير أن الأحداث تعصف بالمستجدات وتُدمِّر ثمارها اليانعة، إذ تنشب الحرب العالمية الأولى ويبدأ الشريف حسين بالإعداد للثورة بإغراء ووعود كاذبة من إنجلترا وفرنسا، ويُحِسُّ العثمانيون بذلك فيرسلون واحدًا من رجالهم الأشداء (فخري باشا) لإدارة المدينة، وينجح فخري باشا في إخماد الثورة التي أعدها علي وفيصل ابنا الشريف حسين في المدينة، ولكنه يقع في عدد من الأخطاء الإستراتيجية، فيتحصن بالمدينة، ويُهَجِّر معظمُ أهلها حتى لم يبق فيها سوى أربعين رجلا، ويسجل أعجب صورة للمقاومة والعناد، وتعيش المدينة ثلاث سنوات قائمة في الحصار، وتسقط الدولة العثمانية كلها، وفخري باشا يرفض التسليم، وأخيرًا يجبره ضباطه على قبول الأمر الواقع فيخرج مع رجاله ويتسلم الشريف علي بن الحسين المدينة.

وتبدأ فترة الحكم الهاشمي القصيرة (٦ سنوات)، وتعود الحياة إلى المدينة مختصرة عما كانت عليه قبل الأزمة، ثم تظهر الاضطرابات نتيجة ضعف الإدارة وقلة المال والصدام مع السعوديين، وتصل قوات الملك عبد العزيز إلى مشارف المدينة وتبدأ فترة حصار جديدة تمتد تسعة أشهر غير أن معاناة المدنيين فيها محدودة لأن القادة السعوديين فتحوا أبوابهم ومخيماتهم لمن يخرج إليهم ليحمل الطعام، وأخيرًا يرسل المدنيون إلى الملك عبد العزيز طالبين الصلح فيستجيب لهم ويرسل ابنه الأمير محمدًا ليأخذ البيعة وليوزِّع عليهم العطايا، فيبدأ بذلك العهد السعودي الحالي (من ٢٠/٥/١٣٤٤هـ)

وفي هذه الفترة يحدث تغيير ضخم في حياة المدينة، وتصبح المدينة إمارة تعيش حياتها بعيدًا عن الفتن والقلاقل، فقد نجح الملك عبد العزيز في وضع حل جذري لمشكلة الأعراب والأمن التي عجزت عنها الدول المتعاقبة منذ القرن الرابع الهجري، ويبدأ التطويرالحضاري في التعليم والعمران والزراعة والصناعة والإدارة، وتبدأ توسعة المسجد النبوي أواخر عهد الملك عبد العزيز، وتتم في عهد ابنه الملك سعود، ومع بداية القرن الخامس عشر الهجري يتسارع التطوير الحضاري ويتضاعف أضعافًا كثيرة، وتقوم ملحمة عمرانية ضخمة، فيها أكبر توسعة للمسجد النبوي في تاريخه، وللمساجد الأثرية (مسجد قباء والقبلتين والميقات

والجمعة)، وفيها تجديد كامل للمدينة النبوية في حدودها القديمة، لتظهر فيها مجمعات سكنية ضخمة، وتتسع حدود المدينة ويزحف العمران في كل اتجاه.

وأخيرا نقف على رؤية للمستقبل القريب للمدينة المنورة وفق ما جاء في المخططات التي وضعتها الدولة، لنتصور مدينة من أحدث المدن في العالم، في مرافقها، وخدماتها للمقيمين، ولزائري مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تلك هي صورة سريعة مجتزأة لكتاب كبير، تقفز كثيراً من الأحداث والتحليلات والمناقشات الممتعة، ولعل أهم ما نَصِف به منهج الكتاب الأمور التالية:

١ـ الموضوعية والشمول: عرض المؤلف الوقائع والأحداث بموضوعية كاملة، فكان يسرد الحدث كما استخلصه من المصادر التي اعتمد عليها، ويذكر في الحاشية المصادر التي نقل منها، حتى الأحداث المؤلمة كان يعرضها كما وردت، ثم يُعَقِّب عليها بتحليله وتقويمه، وقد نَوَّع مصادره تنويعًا كبيراً كما يبدو من حواشيه المتعاقبة، ومن قائمة المصادر الضخمة التي وضعها آخر الكتاب، وقد وضع المؤلف الصور والخرائط الدقيقة لمواقع الأحداث الرئيسة.

٢ـ البنائية : فمن الواضح أن المؤلف يجمع الجزئيات الصغيرة، وبخاصة في الحالات التي تقل فيها التفصيلات، ويبني بها صورة متكاملة للحدث، على نحو ما فعل في فصل (يثرب بعد التأسيس) فقد خاض في حقبة شبه مجهولة، والتقط من دوائر المعارف وتاريخ الحضارة والروايات العربية القديمة عن السومريين والعماليق (أجداد اليثربيين القدماء) جزئيات متفرقة، وبنى منها صورة تقريبية للحياة في يثرب آنئذ. وقد تكررت هذه البنائية في جميع فترات الثغرات التاريخية التي تَشِحُّ فيها الأخبار.

ولايكاد القارئ يحس بما فعله المؤلف، لأنه يجد عرضا مستويًا ومتسلسلا، غير أن من يتتبع المصادر التي ذكرها في حواشيه يدرك البنائية الناجحة في الكتاب.

٣ـ المعيارية الحضارية: رغم أن الأحداث السياسية تشكل المحور الكبير في الكتاب، فإن المؤلف لم يحتبس فيها، بل تجاوزها إلى عرض الحركة الاقتصادية، والسكانية، والعلاقات الاجتماعية، والتطور العمراني، والحركة الثقافية، وهذه هي المعيارية الحضارية في تأريخ أية مدينة أو مجتمع، وهي التي تعطي القارئ تصورًا صحيحًا وشاملاً.

٤ـ التحليل المنهجي: لم يكن المؤلف مجرد ناقل للأحداث، بل كان يقف ليحلل الحدث ويستجلي ماوراءه، ويستنبط العِبَرَ منه، ويصدر الحكم عليه أحيانًا، كما فعل في الملاحم التي شهدتها المدينة، من ملحمة الحَرَّة إلى ملحمة فخري باشا، فقد تتبع عواملها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وآثارها.

٥ـ نقد الروايات: يواجه كل من يؤرخ العصور القديمة روايات مختلفة ومتضاربة أحيانًا للحدث الواحد، وقد وقف المؤلف إزاء هذه القضية وقفة ناقد ممحص، وناقش الروايات، ورفض كل ما يُشْتَمُّ منه رائحة الخيال القصصي والوضع، وأخذ بمنطق الوقائع وطبيعة المرحلة، على نحو ما نجده في مناقشته لروايات قدوم اليهود إلى يثرب، فقد ناقش عشر روايات وانتقى منها ما يقرره منطق الوقائع، وكذلك روايات وقعة الحَرَّة .. إلخ، ونتج من هذا النقد استبعاد الأحداث الأسطورية وإضافات القصاصين، والمحافظة على المادة التاريخية أو الراجحة.

٦ـ السلاسة الأسلوبية: عرض المؤلف الأحداث بأسلوب يجمع بين الدقة والموضوعية والعذوبة، فالتزم الأمانة التاريخية في نقل الحدث كما أسلفت، ولكنه كان يعيد صياغته بشكل جديد متسلسل، وبألفاظ سهلة، وعبارات واضحة جميلة، وقد وضع لبعض الأحداث عناوين أدبية لها دلالات غنية، مثل: رؤية في الضباب، يثرب على موعد، إرهاصات الوعد، وطلع البدر على يثرب، جهاد وشهادة في مؤتة، أيام قبل الوداع، إلى الرفيق الأعلى، ثورة في السُّوق، مسلسل الإمارة فالسجن، ريادة واستجابة... إلخ.

وتحت كل عنوان نجد حدثًا متكاملاً ترتبط أسبابه بنتائجه، وإذا اقتضى الأمر يعود المؤلف إلى فترة سابقة أو مكان آخر ليقدم أسباب الحدث القريبة والبعيدة، وبعض هذه الأحداث أشبه بقصة متنامية مُشوِّقة، وكثيرًا ما أحسست وأنا أقرأ بعضها أنني أشاهد حلقة في مسلسل تلفزيوني مؤثر.

إن هذا اللون من التأريخ ـ ولاشك ـ هو الذي يَشُدُّ القراء، ويخاطب شرائح مُنَوَّعة منهم، بدءًا بالقارئ المتخصص، ووصولاً إلى القارئ العادي الذي لايصبر على المجلدات الكبيرة، فالكتاب يقدم له التاريخ على دفعات متوالية، وبصدق وتشويق وعذوبة.

قصة قصيدة:

لاتعذليه

لابن زريق البغدادي

إعداد: د. محمود الربداوي

قال ابن زُريق البغدادي:

لاتعذليه، فإنَّ العذل يوجعُهُ
قد قلت حقًا، ولكنْ ليس يَسمعُهُ

جاوزتِ في لومه حدًا أضرَّ به
من حيث قدرت أنّ اللوم ينفعُه

فاستعملي الرفق في تأنيبه بَدَلاً
من عُنفه، فهو مُضنى القلب مُوجَعُه

يكفيه من لوعة التفنيد أنّ له
من النوى كل يوم مايُروِّعه

كأنما هو في حَلٍ ومرتَحَلٍ
موكلٌ بفضاء الله يذرعه

وما مجاهدة الإنسان واصلةٌ
رزقًا، ولادَعَةُ الإنسان تقطعُهُ

والله قسَّم بين الناس رِزقَهم
لم يخلق الله مخلوقًا يُضيِّعُه

* * *

أستودع الله في بغدادَ لي قمرًا
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

ودّعته، وبودّي لو يودّعُني
طيبُ الحياة وأني لاأُودِّعُه

كم قد تَشفَّع بي ألا أفارقه
وللضرورات حالٌ لاتشفّعُه

وكم تشبّثَ بي يوم الرحيل ضُحىً
وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعُهُ

لاأكذب الله ثوبُ العذر مُنخرقٌ
عني بفرقته، لكنْ أرقّعُهُ

أعطيتُ ملكًا، فلم أُحسن سياسته
كذاك من لايسوس المُلكَ يُخلَعُه

ومَن غدا لابسًا ثوب النعيم بلا
شُكرٍ عليه، فإنّ الله ينزِعُهُ

* * *

كم قائل لي: ذنب البين، قلت له:
الذَّنبُ ـ والله ـ ذَنبي لستُ أدفعُه

إني لأقطعُ أيامي وأنفدها
بحسرة منه في قلبي تُقطِّعه

ماكنتُ أحسب ريب الدهر يفجعني
به ولا أنّ بي الأيامَ تفجعُه

لأصبرنَّ لدهرٍ لايُمتّعني
به ولابي في حالٍ يمتّعُه

علمًا بأنّ اصطباري مُعقبٌ فرجًا
فأضيقُ الأمرِ إنْ فكرتَ أوسعُه

عسى الليالي التي أضنتْ بفرقتنا
جسمي ستجمعني يومًا وتجمعُه

وإنْ تَنلْ أحدًا منا منيّته
فما الذي بقضاءِ الله يمنعُه

هذه الأبيات من نفيس القول وفاخره، ففيها يصور الشاعر رغبته الملحّة في الاغتراب، بعد أن ضاقت به سُبل العيش في بغداد، على الرغم من توسلات زوجته وإلحاحها عليه بالبقاء بجانبها، ولكنه شدّ العزيمة وقررالارتحال، وهو يُمنّي نفسه بأن يجني من غربته هذه مايجعله يعود بمال وفير يكفيه مؤونه التماس سبل العيش الكريم في بلده الذي نزح منه، لينعم بحياة واعدة هنيئة، فغادر بغداد ميمّمًا شطر الأندلس. والرحلة من المشرق إلى المغرب، في ذلك الزمان، كانت محفوفة بمخاطر جمّة، ومع ذلك نفّذ الشاعر بغيته، وألقى عصا التسيار في الأندلس، وظنّ أنه ودّع أيام البؤس وساعات الشقاء، ولكنّ سوء الحظ أبى أن يفارقه، حتى إنه عندما قدّر أنه بلغ نهاية المطاف أوكاد، وأوشك على تحقيق مناه،

كانت الصدمة التي لم يكن يتوقعها، فخاب أمله.

ونفوس البشر تتفاوت في تحمل صدمة خيبة الأمل وإخفاق المسعى، فبعضها تنحني للعاصفة، وبعضها تكتفي بالاستسلام للقدر وتقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، وبعضها تنهار عندما تشعر أن اليأس يلتهم فيها الأمل، وهذا ماحلّ بصاحبنا الشاعر.

فقصيدته كتجربته الشعورية طويلة، وكحسرة نفسه عميقة، فقوام هذه القصيدة أربعون بيتًا، وهي قصيدة يتيمة، لم نعرف لناظمها قصيدة سواها، فتضافرُ جودة المبنى وأصالة المعنى أكسبا الشاعر الشهرة وأضفيا على القصيدة سر السيرورة والانتشار.

ولاتعرف كتب تاريخ الأدب إلا النزر اليسير عن الشاعر وحياته، فابن حجة الحموي في كتابه (ثمرات الأوراق) يسمي الشاعر «عليّ بن زريق الكاتب البغدادي»، وابن معصوم في كتاب (أنوار الربيع) يسميه «محمد بن زريق الكاتب البغدادي»، ثم تأتي بعد هذين المصدرين مجموعة من كتب المراجع تكتفي بلقبه (ابن زريق البغدادي). كالكشكول لبهاء الدين العاملي، وجواهر الأدب للهاشمي، وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان.

وقد ضنّت هذه الكتب بأخبار الرجل، واكتفت بإيراد القصيدة مع ذكر أسباب نظمها التي لخصها محقق كتاب (أنوار الربيع) بقوله: أحوال ابن زريق مجهولة بقدر شهرة قصيدته، وكل ماورد عنه أنه قصد صاحب الأندلس ومدحه فلم يلق منه غير خيبة الأمل، فاعتلّ ومات غمًا، ووُجدت القصيدة تحت وسادته. وتوسّع صاحب تاريخ آداب اللغة العربية في هذا الخبر فأضفى عليه مسحةً درامية، فقال: إن ابن زريق قال هذه القصيدة في حال غمّه ويأسه بعد أن قصد صاحب الأندلس، ومدحه فلم يعطه إلا عطاءً قليلا، فاعتل غمًا ومات. وذكروا أن صاحب الأندلس أراد بهذا أن يختبره، فلما كان بعد أيام سأل عنه، فتفقدوه في الخان الذي كان يقيم فيه فوجدوه ميتًا وعند رأسه القصيدة المشار إليها. هذا مع ملاحظة أن أحد أقدم المصادر التي ذكرت بعض أبيات القصيدة، وهو يتيمة الدهر للثعالبي يَنسب أربعةً منها للوأواء الدمشقي، وتابعه محقق ديوان الوأواء فأثبتهما في ذيل الديوان.

ولاشك أن عاملين مهمين قد ساعدا على انتشار القصيدة وسيرورتها في أوساط المثقفين والأدباء، وهما: جودة القصيدة، والظروف المأساوية التي أحاطت بالشاعر فجعلته ينظمها مجسّدًا فيها معاناة الاغتراب وخيبة الأمل، وقد لاقت قبولاً كبيرًا ورواجًا في أوساط الأدباء والمتأدبين، فقد رُوي عن ابن سعيد، أنه كان يقول: «من تختّم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وحفظ قصيدة ابن زريق، فقد استكمل الظرف كله».

ومن الغريب أن تكون للقصيدة كل هذه الشهرة، ومع ذلك تخلو منها الكتب الأساسية في الأدب إلا أقلها. كما أنه من الغريب أن تسكت كتب الأدب عن إيراد المزيد من أخبار الشاعر وأشعاره أو منزلته بين كُتّاب زمانه، هذا الشاعر الذي نجزم - من خلال تحليلنا لفنيّات القصيدة - بأنه شاعر متمرس بقول الشعر، ضليع من معاناة القريض. فليست القصيدة تبوح بأن ناظمها غِرٌّ في صناعة الشعر، بل تَشِي الصور والمعاني بأن وراء هذه القصيدة موهبة أبدعت معانيها، وعبّرت عن مكنونات نفس قائلها، وأحكمت صياغتها. فمبدعها معرق في قول الشعر، ولكن سوء حاله وضيق ذات يده، وضآلة موقعه الاجتماعي حمل تاريخ الأدب على إهماله ونسيان أحواله. نقول هذا القول مع اعترافنا بأن قلةً من الأدباء عُنوا بهذه القصيدة، فهذا علي بن عبدالله العلوي يشرح معانيها، وهذا علي بن ناصر الباعوني يخمّس أبياتها، وهذان الأثران لحقهما سوء طالع الشاعر فظلا حتى الآن في مخطوطة قابعة في برلين ينتظران من ينشرهما.

ولاأريد أن استرسل في مزيد من الحديث عن صورة خيبة الأمل التي لاقاها الشاعر، وحسبي أن استطرد إلى عرض قصيدة قالها شاعر لبناني من شعراء العصر الحديث، ضاقت به سُبل العيش في بلاد الشام فيمم شطر أمريكا، واتخذها دارا لهجرته، ومرَّ في مرحلة من مراحل حياته بأيام بؤس وشؤم جعلت أمله يخيب، وجعلت اليأس من

لاتعذليه

لابن زريق البغدادي

تحقيق المنى يدبُّ إلى قلبه، فتذكر، وهو في محنته هذه، محنة صديقه في (حرفة الأدب) و (خيبة الأمل) الشاعر ابن زريق، و (الشجى يبعث الشجى) كما يُقال. ذلك الشاعر من شعراء المهجر المغمورين نسبيًا يُسمى: (أبو الفضل الوليد ١٨٨٩-١٩٤١) واسمه الحقيقي: (إلياس طعمة)، كان مارونيًا فأسلم، واغترب إلى البرازيل، له دواوين من الشعر الرقيق المشحونة بالعواطف والرؤى الإسلامية، تدعونا المناسبة أن نختم هذه النبذة من قصة قصيدة (ابن زريق) بقصيدة أبي الفضل التي حكى فيها تشابه الحالين، ومحنة القلبين، ومعاناة الشاعرين في تجربة الاغتراب المخفق، قال أبو الفضل:

أصاحبَ «لاتعذليه» سلامْ
على زفراتك عند الحِمامْ
بكيتَ غريبًا، فأبكيتني
فروحي وروحك إلفا حمام
دموعكَ سالتْ لذكر العراق
فسالت دموعي لذكر الشآم
وكم شاعر مستهام بكى
على طللَيْ منزلٍ وغرام
وعاش على أملٍ خُلَّبِ
وماظفرتْ نفسه بمرام
إذا مابنينا قصور الرجاء
رأينا خرائبها والحطام
شقينا كلانا، فمتَّ، وكدتُ
أموتُ، فجسمي براه السقام
ومرَّ شبابي سريعًا ولمْ
يزر طيف سُعدى ولو في المنام
سعينا لخير الأمور بلا
مكافأةٍ حيث فاز اللئام
فوا أسفاه، كذاك وُلِدْنا
لنشقى، ومافي الثغور ابتسام
فمثلك، خُضْتُ بحارًا وَجُبْـ
ـتُ قفارًا وشِبْتُ لفرط اهتمام
فذوّبتُ قلبي وعيني جوىً
ونفسي مطامعها كالضِرام
ولم أجْنِ إلا الندامة مما
غرستُ، وهذا نصيبُ الكرام
تفردتُ بين الورى بلبلاً
فضاع الصفير وضاق المقام
وشِعرُكَ شق حجاب العصور
وذكركَ فيه كريّا الخزام
فردده الخافقان، فكان
لروحك بعد المماتِ انتقام
وذابتْ عليه حشاي لأني
بشعر الشعور شديدُ الهُيام
وأيّ حشًا لاتذوب على
قوافيكَ وهي دوامي السهام
فنفسك سالت كنفْس الهزارِ
على نغَمِ الشوق والاغتمام
وللحزن والحب أعذبُ صوت
وأرفعُ شعرٍ، وأقوى كلام
وإيمان قلبك في الشعر لاح
يعزّيكَ حُسنًا وراء لثام
وليس لقلبي الجموح عزاءٌ
ولليأس والشك فيه اصطدام
فكم في القنوط له صَيحةٌ
صداها تكرر تحت الظلام
وأشعارنا لغةٌ بيننا
ولكنها عجمةٌ للأنام

شعرتُ بأنني أسرفت في الاقتباس من قصيدة أبي الفضل الوليد، ولكنَّ شفيعي في هذه الإطالة جمال الأبيات المقتبسة، وتعبيرها الدقيق عن حالتي الشاعرين، وكنتُ أريد أن ألجم القلم عن مزيد من الاقتباس، غير أنني وجدتُ ختام قصيدة أبي الفضل يتحدث عن معاناة (مغتربة) ثالثة هي اللغة العربية التي هاجرت مع المهاجرين إلى بلاد الغربة، وهي تعاني في ذلك (المغترب) أزمة الذوبان والانمحاء، وأكتفي بإيراد تلكم الأبيات التي تصور واقع اللغة العربية التي كانت تحتضر على شفاه الذين ينطقون بها في المهجر، قال:

فما لغة العُرب مسموعة
من القوم، والأكثرون نيامْ
ضرائرها كِدنَ يقتلنها
وكدنا نقول: عليها السلام
وماعربيّة هذا الزمان
كتلك التي رُبّيَتْ في الخيام
تُحمّس جيشًا، وتنشد شعرًا
وتَعلو الجواد، وتَجلو الحسام
وأفضل من هؤلاء البنين
عظامُ الجدود الغزاة العظام
فأين الإباء؟ وأين السخاءُ؟
وأين الوفاء؟ وأين الذمام؟
على فقدنا بالرجاء نعيش
لعلَّ نجومًا وراء الغمام
إذاً فلْنُغَنّ وننسى الهموم
فإن الحياة غدًا لانصرام

من إعداد : د. تماضر حسون

الثقافة السِّلعية

في إحدى الجلسات دار نقاش طويل حول عمليات الاستهلاك في المجتمعات العربية على اختلاف ألوانها: الغني منها، ومتوسط الحال، وذاك الذي يعيش العَوَز. وخلص معظم المناقشين إلى أن على المجتمعات أن تعمل على توفير المزيد والمزيد من السِّلع لاستهلاكها والاستمتاع بها مادام أن غاية عمليات التنمية تحقيق الرفاه والعيش الرغيد لأبناء المجتمع. والْتَزَمْتُ جانب الصمت حتى لا أُتَّهم بأنني ضد خطط التنمية، ومن ثَمَّ فإنني أبحث عن شقاء الإنسان، وحرمان أبناء المجتمع من الاستمتاع، وتساءلت في سِرِّي: هل استهلاك المنتجات والسِّلع، الذي يتعاظم يومًا بعد يوم، يعني التحسن والتقدم لمجتمعاتنا؟ أو أنه ،ببساطة، فُرِضَ على إنساننا العربي أنَّى وُجِدَ أن يدفع ثمنًا لِمَا كان بلا ثمن في الماضي؟ أو أنَّ على هذا الإنسان أن يدفع المزيد ليُعَوِّض التدهور الذي أَلَمَّ بيئتهَ ومحيطه وأسرته؟ وهل تعيش الأَسرة الآن حياة أفضل لأنها تدفع لِدُورِ الحضانة والْمُرَبِّيات أجورًا، بعد أن استغنت عن حضن الجدة أو العمة أو الخالة؟ أو أنها تعيش سعيدة، لأنها تدفع أقساطًا متزايدة لشراء السيارة، والتلفاز الملون، والفيديو، وكاميرات الفيديو، والميكروويف؟ وهل تعيش الأسرة حياة أفضل، لأنها تستطيع الآن أن تُبَدِّل أثاث المنزل، وأدوات المطبخ، كل خمس أو ست سنوات ، بعد أن كان هذا الأثاث قبل أزمنة خلت يستمر ـ بفضل جودته ومتانته ـ جيلاً أوجيلين؟

هل تشعر الأُسر بالسعادة ودفء العلاقات الحميمة، لأنها تحرق المزيد من الوقود لضمان تدفئة أو تبريد لبيوتهم الحديثة، التي تضاهي الأفران بحرارتها صيفًا، وبيوت الأسكيمو شتاءً؟ هل أصبح الأفراد أكثر حكمة لأنهم استعاضوا عن الاستمتاع بزيارة الأقارب والأصدقاء والمكتبات والمتاحف والطبيعة والبحر والجبل والصحراء والسهل، بالجلوس ساعات وساعات أمام التلفاز والفيديو والألعاب الإلكترونية، مُنْفقين الأموال الطائلة لاقتنائها، مهدرين العمر والجسد، ظانِّين أنهم بهذه الأشياء يستطيعون البحث عن وهم الفرار أو الهروب من صحراء حياتهم المخيفة المجدبة؟ لست أدري...!!

ثُمَّ امتدَّ النقاش وتطور ليشمل الموازنة بين حياة العمال اليوم ومن قبل، وخلص المناقشون إلى أن حياة عمال اليوم أكثر سعادة لأنهم يملكون أسباب الرفاه والراحة والترف ويتمتعون بصنوف السلع والمنتجات الاستهلاكية، الأمر الذي لم يكن متاحًا من قبل إلا لفريق ممن هم أقل فقرًا. وتساءلت مرة أخرى في سري: أقل فقرًا مِمَّنْ؟ من الصوماليين؟ من الهنود؟ من البنغلاديشيين؟ مِمَّنْ ...؟ كذلك لست أدري... فالموازنة هذه من النوع التجريدي تمامًا .. فالفقر ليس شيئًا موضوعيًا محددًا يمكن قياسه بإحصاءات وأرقام. ففقراء الصومال يمشون حفاة الأقدام، وفقراء بنغلاديش يموتون جوعًا، وفقراء فرنسا فقراء لأنهم لم يتمكنوا من توفير مدخرات تمكنهم من شراء سيارة، أو من السفر لقضاء إجازة صيف ممتعة.

في الأربعينيات من هذا القرن كان الفرد في سورية يُعَدُّ فقيرًا إذا لم يكن لديه مذياع، وفي الستينيات كان يعد فقيرًا من لم يكن لديه جهاز تلفاز، والآن يُحِسُّ الناس بالتعاسة إذا لم يكن في مقدورهم الحصول على سيارة!

إن معيار الفقر ليس واحدًا، وفي كل مجتمع يكون فيه الفرد فقيرًا ومعوزًا بمقاييس المعايير الثقافية والاجتماعية لمجتمعه، تلك المعايير التي تُشَكِّل رغباتنا وحاجاتنا وتحفزنا على إشباعها.


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف
تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي
www.ahlaltareekh.com



الأفاكيهُ والنوادرُ مدخلٌ لتدريس اللغة العربية

عبد الله بن سليم الرشيد



من كتاب العدد



عبد الله بن سليم الرشيد

- مواليد عام ١٣٨٥هـ
- حاصل على الماجستير في الأدب الحديث عن أطروحة عنوانها: «شفيق جبري، حياته وأدبه».
- عمل بالتدريس في معهد الملز العلمي لمدة أربع سنوات.
- يعمل محاضراً في قسم الأدب في كلية اللغة العربية بالرياض.
- صدر له ديوان «خاتمة البروق» ١٤١٣هـ، عن النادي الأدبي بالرياض.

الأفاكيه، جمع أفكوهة، وهي طرائف الكلام ومُستَمْلحة، والنوادر جمع نادرة: ماشذّ وخرج من الجمهور، وذلك لظهوره (اللسان)

ومن خلال هذا التعريف اللغوي المختصر، يتبين المراد من العنوان ومايليه، فهذه المُلح والمضحكات وسيلة إلى غاية شريفة، هي تقريب فنون اللغة العربية إلى متلقيها على هيئة مَاتِعَة، تكشف عن أذهانهم الحُجبَ التي أُلقيتْ في روعهم ردحا من الزمن؛ بسبب الدعايات الجائرة ضد اللغة العربية وآدابها.

إنّ مدرس اللغة العربية اليوم يُنظر إليه على أنه أشبه بمَن يعمل في مُتْحف، فليس بين يديه غير تُحف مُغبَّرة، لا صلة بينها وبين معيشة الناس من حوله إلا نظرًا وتَلَهِّيًا، وبخاصة من يتصدى لتدريس النحو والصرف وفقه اللغة وعلم الأصوات.

وتجاه هذه الحملة الظالمة، التي فعلت فعلها في نفوس الناشئة والمتلقين، تتلاقى جهود الغُيُر المخلصين، لإعادة ترتيب أذهان التلاميذ ليتلقوا اللغة بأسلوب جديد، فيه عراقة القديم، وطلاوة الحديث، على نمط يقرن المدروس بالواقع، ويجعلهما قُطبَيْ رحى.

ولستُ الآن ـ وأنا أشارك بهذا الجهد المتواضع ـ بصدد دفع التهم التي كيلت ولاتزال تُكال ضد لغتنا، فقد تولّى أمر الدفاع رجال أولو عزم شديد فَضحوا دسائس المستشرقين وسمادير المقلَّدين المخدوعين، ولكنني أود عرض طريقة أجدها مُثْلى للوصول إلى الأهداف المتوخّاة من تدريس اللغة العربية.

وأُولَى الخطا: أن المدرس ـ لا اللغة العربية وحدها ـ في حاجة إلى اتّباع منهج نفسي، يوحي للتلاميذ بسهولة مادته، ولطفها ويُشعِرهم بأنهم يدرسون مادة لاغنى عنها.

وقد يكون من مفردات النهج النفسي، أن يكون المدرس نفسه رجلا ظريفا فَكِهًا، يمازح تلامذته في غير إسفاف، ويجدّ في غير تزمّت، فكم من مادة تُحَبُّ لحب أستاذها، وإن كانت صعبة، وكم من مادة بغيضة، لثقل روح مدرسها وغلظ طبعه، وإن كانت سهلة المأخذ.

الأفاكيهُ والنوادرُ

مدخل لتدريس اللغة العربية

ومن ثم، فإن مدرس اللغة العربية حينما يتّبع هذا النهج، يكون قد قطع المرحلة الأولى من مراحل تقريب المادة العلمية لتلامذته، فإذا التفت إلى تراث العرب وآدابهم، وَجَدَهَا ثرّة باللطائف والمُلَحَ، وبكُل المُتَع والأفاكيه التي تثير الدهشة، وتغري بالاطلاع، وتحبّب المادة إلى دارسيها، ومن هذه النقطة تَبدأ المرحلة الثانية، وهي التي سأتوفّر على بسطها وجمع أطرافها مااستطعت.

إن مادة (النحو)، وهي أصعب مواد العربية وأعقدها، بل هي رأسُها ـ والصعوبة والتعقيد هنا نسبيان ـ زاخرة بالقواعد التي تتجمع أحيانا في ذهن التلميذ عشوائيا، فتجده يخلط بينها، ويقع في تناقض كبير؛ لأنه لا يجدها تعيش معه في بيته ولا في الشارع أو الملعب، ولأنه أيضا لايجد مجال التطبيق واسعًا، فمهمة النحو أن يملأ الذهن، لا أن ينظّم حركة الأحرف والكلمات وهيئة نطقها، وهذا مع الأسف هو واقع التدريس، ولا ذنب للتلميذ فيه.

أقول: إننا تجاه هذا الواقع غير المُرْضِي، في حاجة إلى مُطَرِّيات تُخَفّف الجفاف، وهذه المطرّيات ـ بالإضافة إلى النهج النفسي ـ تتمثل في عرض الأفاكية والنوادر، المستمدة من النحو نفسه، وكم في التراث من مُلَح نحويه تساعد على تثبيت القواعدعلى هيئة طريفة.

فمن ذلك :

(١) تقييد القواعد النحوية المسجوعة، مثل:

ـ فائدة: «ما» بعد «إذا» زائدة.

ـ قاعدة نحوية: كل الضمائر مبينة.

ـ الرأي المدوّن: أن العَلَم إذا وُصف بـ «ابن» لاينوّن.

(٢) وقد يكون تقييد القاعدة النحوية على شكل طريف، فيه روح السخرية، المحببة إلى النفوس، مثل:

ـ قال الشاعر مشيرا إلى قاعدة (أن الجمع مؤنث):

إن قومي تجمعوا
وبقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم
كل جمع مؤنث

ـ وقال محمد البزم (الشاعر والنحوي السوري) معرّفا الحال تعريفا طريفا: (إن الحال نعتٌ خالف منعوته في التعريف، فعوقب بالنصب) يشير إلى كون الحال نكرة منصوبة.

ـ وقد تأتي القاعدة على هيئة حوار طريف، مثل هذا:

قال المبتدأ للخبر: يا تُبَعُ ، مالي أراك لاتحيد عن التقليد، رأيتَني رافعَ الرأس، فرفعتَ رأسك لي؟! (١)

فقال الخبر: دع ذا، فلولاي ماكان لك جواب، ولا افترّ في ثغر قائلك الصواب.(٢)

فقال المبتدأ: ويلك، والله لو دعوتُ (كان)، لنُصبْتَ نصبَ الهوان.(٣)

فقال الخبر: أتهدّدني بكان وليس، وتميسُ كلَّ الميس؟! لئن لم تنته لأستغيثنّ بإن وأخواتها، سُمِّ عداها وجاراتها، فتصيرَ من منصوباتها.(٤)

(٣) ومما يساعد على ترسيخ القاعدة الصحيحة، ذكر الخطأ والتنبيه عليه، وقد فعل هذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقد لقّن بعض تلاميذه جملة أحاديث، ثم أنبأه أنها موضوعة، وأمره بتجنبها.

وهذا الخطأ نجده في بعض أفاكيه الأقدمين، المنثورة في الكتب التي ترجمت للنحاة، أو كتب الطرائف مثل: كتاب الأذكياء، وأخبار الحمقى والمغفلين، ومن أمثلتها ما يلي:

ـ سمع رجل قارئا يقرأ ﴿في بيوت أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفع﴾ بضم (بيوت)، فقال له: يا هذا، إنما هي (في بيوتٍ)، فعليك أن تجرها.

فقال القارئ: يامغفَّل، الله يقول: ﴿أذن الله أن ترفع﴾، وتريد أن أجرّها؟!

ـ قال نحوي لغلام: كيف كانت وفاة أبيك؟ فقال:ورمت قدميه، فقال النحوي: قل ورمت قدماه، فقال: ثم وصل الورم إلى ركبتاه، فقال: قل إلى ركبتيه، فقال الغلام: دعني ياعم، فو الله ما موت أبي بأشد عليّ من نحوك هذا.

ـ قال رجل للحسن: ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه، فقال الرجل: فما لأباه وأخاه؟! فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه. فقال الرجل للحسن: أراني كلما كلمتك خالفتني.

- قال رجل لرجل: قد عرفت النحو، إلا أني لا أعرف هذا الذي يقولونه: أبو فلان، وأبا فلان، وأبي فلان، فقال له: هذا أسهل الأشياء في النحو، إنما يقولون أبا فلان لمن عظم قدره، وأبو فلان للمتوسطين، وأبي فلان للرِّذْلة.

- كتب بعضهم: كتبت من (طيس) يريد (طوس)، فقيل له في ذلك، فقال: لأن (من) تخفض ما بعدها، فقيل له: إنما تخفض حرفا واحدا، لا بلدا له خمسمئة قرية.

وليس المجال واسعا لسرد كل ما تضمنه تراثنا من أدب الفكاهة، الذي يمكن اتخاذه - كما قلت - مدخلا لتدريس اللغة العربية، ولكن بإمكان مدرسيها العودة إليه في مظانه.

(٤) ومن الوسائل التي تقرب المواد اللغوية للتلاميذ، ربطها باللهجات المعاصرة لإشعار المتلقي بأنه لا يدرس لغة ميتة، بل لغة حية لاتزال تجري على الألسن.

وربط اللغة بالفصيح من كلام العامة، فيه غرس ثقة بأن هذا النحو والفنون الأخرى تجري على ألسنتهم، وكم من كلمة عامية، أو لهجة يُظن أنها لا تَمُتُّ للفصيح بسبب، فلعل في تذكير الطلاب بها وإشاعتها بينهم ما يُوثِّق صلتهم بما يدرسون، وإليك الأمثلة:

أ- في اللغة ضَرْبٌ يسمّى القلب المكاني، مثل: جذب وجبذ واضمحلّ وامضحلّ..

وفي العامية ما يشبه هذا، ففي بعض بلدان نجد يقولون : (ضعفد) يريدون: (ضفدع)، و(قضب) يريدون: (قبض). بل لعل قول المصريين: (بِتاع) مقلوب عن (تباع).

ب - في بعض اللهجات النجدية، يُوقف على نون الوقاية مسكّنة، فيقال: أعطانْ أي أعطاني. ولهذا شواهد في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وإذا مَرِضتُ فهو يشفِينِ﴾.

ج - يمكن أيضا جمع بعض الفصيح المشتهر على ألسن العامة، وسرده على التلاميذ، مثل: طش (أي ذهب)، وكركر (أي ضحك)، وانسدح (أي ألقى بنفسه على الأرض)، وهكذا.

٥- ومما وقع لي أني كنت أدرّس باب التصغير في الصرف، فسألت أحد التلاميذ عن تصغير (هذا)، فاجتهدوا في ذلك، وكان من اجتهادهم: أن تصغّر على (هُوَيْذَا) و (هُذَيْذا)، وما وقعوا في هذا الغلط المضحك؛ إلا لأنهم أوهموا أنفسهم أن النحو مرتبط بالتقعر والتكلف، فلما سألتهم أن يذكروا تصغير العوامّ لهذه الكلمة، أجاب كثير منهم في وقت واحد: (هَذَيّا)، وهكذا، لما ساروا على سجيتهم، وانعتقوا من وهم التقعر أصابوا المحزّ.

(٥) أما النوادر التي تفيد مدرس الأدب فكثيرة لاتُحصر، وكذلك من يدرس المطالعة والبلاغة، غير أني أضرب بعض الأمثلة لبعض فنون البلاغة، وعليها يُقاس:

أ- ففي باب الكناية مثلا، يمكن لمدرس البلاغة أن يَضرب نماذج عليها من اللهجة الدارجة، فيسألهم مثلا: إذا قيل عن فلان إنه (كريم عين) فماذا تفهمون؟ فسيقولون: إنه أعور، فإذا قيل: (إن المؤذنَ قاضبٌ أُذُنَه)، فما معنى ذلك؟ فسيقولون: أي إن وقت الأذان قد حلّ. وهكذا، حتى يُلقِيَ في روع التلميذ أنه لا يدرس لغة غريبة، أو أنه يدرس تكلفات لا حقيقة لها.

ب - وفي المجاز يضرب لهم أمثلة من مجازات المعاصرين، الشائعة في وسائل الإعلام، مثل: (القارة السوداء) و (الطريق السريع) و (الهدوء الحذر).

ج - كما أن الأفاكيه المتضمنة سجعا وجناسا وما إلى ذلك من ألوان البديع كثيرة، لا يحصرها حاصر، وهي منثورة في الكتب، وعلى مدرسي البلاغة مراجعتها والاستفادة منها.

وبعد:

فإن ثمة صراعا بين المثال والواقع، ونحن حين ندرّس اللغة العربية وفنونها، نقف في صف المثال جاهدين، ننازع الواقع المريض، الذي يسيطر على التلاميذ، ويغريهم بسهولته وتفلّته من القيود.

وحتى نحسم هذا الصراع لصالح المثال، لابدمن تحسين المادة وتزويقها؛ ليَغْرى بها التلامذة في كل المراحل التعليمية، ولتسموَ إلى المثال هِمَمُهُم، ويأنفوا من أن يحتويهم ذلك الواقع الهزيل.

الهوامش

١- فيه إشارة إلى كون المبتدأ والخبر مرفوعيْن، وإلى قول النحاة: إن الخبر مرفوع بالمبتدأ.

٢- فيه إشارة إلى افتقار المبتدأ إلى الخبر، وأنه لا يفيد إلا به.

٣- إشارة إلى عمل «كان» في الخبر.



الحارس

أحمد محمد عيسى

قام الليل لينزع أوتاد خيمته السوداء من فوق البستان في بحر السكون. في ركن قصي كان الصبي يتحسس النباتات باحثًا عن ضالته. شوكة متسترة بالظلمة تطعن إصبعه. تأوه. كاد الجوال أن يمتلىء بالورود. اصطدم بشجرة. ماذا دهاه الليلة؟ ليست أول مرة يسطو فيها على المكان. في المرات السابقة كان القمر بدرًا والصيد سهلاً. عيدان الفل والياسمين أو بعض الثمار الحلوة. زوج أمه - المُدمن - هو الذي علمه السرقة ليوفر له ثمن «الكيف».

عندما طلب منه ثوبًا غير الذي بلي غضب عليه وجعله لايقطف غير الورد البلدي في الليالي التي يغيب عنها القمر؛ لتجرحه الأشواك في كل خطوة!! بصق. لماذا يستكين؟ لم يعد صغيرًا فشاربه قد نبت برعمًا فوق شفته. فجأة، انبعث الضوء من كوخ الحارس، هرول قاصدًا البوابة، وجدها موصدة، تلفت يمنة ويسرة، وجد جُميزة عجوزًا، أخذ يتسلقها وجواله على ظهره، طرف الجوال يعلق في نتوء، جذبه بقوة فاختل توازنه. سقط في حفرةٍ وظل الجوال معلقًا في الشجرة. ألم شديد يدق يأفوخه، كاحله التوى تحته، جر جسده إلى الجميزة جرًا، وجد بداخلها تجويفًا واسعًا كالرحم، جلس القرفصاء كالجنين وأحس بالأمان والدفء. ودّ لو بقي في هذا المحضن لايبارحه إلى مكان آخر بقية عمره!! أذان الفجر يسري في الوجود فيقع على قلبه بردًا وسلامًا. خفق قلبه، نظر إلى السماء فكأنما رأى في ظلمتها دربًا منيرًا وبابًا مفتوحًا. لماذا لايذهب إلى الحارس فيخبره؟ شقشقة العصافير تُداعب هدأةَ البستان، ترحب باليوم الوليد. تغدو خماصًا، يالها من مخلوقات لطيفة. ودّ لو أصبح واحدًا منها ليذهب دون عودَة في الدرب المنير. أخذته سِنة من النوم، وعندما فتح عينيه وجد النهار قد انتصف. العصافير تروح بطانًا لتحتمي بأعشاشها من قيظ «بؤونة». قرصهُ الجوع واستبد به العطش. أمامه شجرة تفاح، زحف حتى أصبح تحتها. غالب ضعفه وألمه وانتصب قائمًا. مد يده ليقطف واحدة، تحجرت قلبه.. إنها البشارة. عاد إلى مكمنه وهو يتذوق حلاوة في فمه وريًا على لسانه برغم أنه لم يقرب الشجرة. البوابة تُفتح، يدخل الحارس وخلفه عملاق قبيح المنظر، يتلفتان، ثم طفقا يقطفان الثمار ويملآن جوالاً كبيرًا، وأخذا يتهامسان بصوت سمعه. الحارس يسرق البستان. خرج الشقي وقرينه وأوصدا البوابة. لمع الإصرار في عينيه، تسلق الجميزة، أنزل الجوال المعلق، أخرج منه الورود المذبوحة، أخذ يثبتها - عبثا - على عيدانها. تناثرت على الأرض وتمزقت. الحزن يعصف به. أراد البكاء فاستعصى عليه الدمع. جمع الورود في الجوال ووضعها برفق في حفرة ونثر فوقها التراب، ثم وثب إلى غصن غليظ في الجميزة فكسره. لَوَّحَ به في الهواء متوعدًا. وقف خلف البوابة. فرد قامته وشهر عصاه ولسان حاله يقول: (آن لهذا البستان أن يكون له حارس). عندما رجع الحارس ووجده على هذا الحال لطمه، وقيد يديه بحبل، وملأ جيوبه وجواله بالثمار ثم جره إلى مركز الشرطة متهمًا إياه بسرقة البستان.

مختارات من نثر إليوت

Selected Prose of T. S. Eliot

Edited with an Introduction by Frank Kermode

جمع وتحقيق: فرانك كيرمود

عرض وتعليق: د. علي شلش

مات الشاعر الناقد الإنجليزي ت.س. إليوت سنة ١٩٦٥م. ومنذ ذلك التاريخ لم تظهر عنه كتب كثيرة، كما كانت الحال في حياته. وحتى هذا القليل الذي ظهر عنه في إنجلترا وأمريكا، لايضم إلاً قليلاً آخر ذا قيمة. ومن هذا القليل الأخير كتاب «مختارات من نثر إليوت»، الذي جمعه وحققه وقدم له الناقد الإنجليزي فرانك كيرمود.

ويضم هذا الكتاب القيم عدداً من النصوص النقدية المهمة، التي اشتهرت في وقتها ثم اختفت، أو التي لم يعتن إليوت بجمعها وإعادة نشرها. كما يضم مقدمة جيدة لكيرمود نفسه. وبغير هذا الكتاب لايمكن فَهْمَ إليوت الناقد فهما صحيحا أو كاملا.

صدَّرَ كيرمود الكتاب بعبارة مفتاحية لإليوت ترجع إلى سنة ١٩٦١م، تقول العبارة: إن «النقد الأدبي نشاط متميز للعقل المتحضر»، وبالرغم من هذا المنطق المثير للخلاف الذي تنطوي عليه عبارة إليوت، فهي تعكس تصوره الشخصي وعقله المتحضر معا. ومن المحتمل - لأن كيرمود لم يُصرِّح بمصدره - أن تكون هذه العبارة مأخوذة من محاضرة لإليوت بعنوان «نقد الناقد»، ألقاها بجامعة ليدز خلال السنة المذكورة. وفيها مَيَّز إليوت بين ثلاثة أنواع من النقاد هم: المحترفون، أصحاب الذوق الكبير - الذين يُحيون الأدباء المنسيين والمتعرضين للإهمال -، الأكاديميون والنظريون. ولكنه وضع نفسه في نوع آخر يمثل النقاد الذين يأتي نقدهم كنشاط ثانوي بالقياس إلى نشاطهم كمبدعين.

وأعتقد أن هذا التصرف من جانب إليوت كان على سبيل التواضع. فالذي يقرأ نقده، أو يكتفي بقراءة مقالاته في هذا الكتاب، يخرج بأنه كان ناقداً عظيماً، بمقدار ما كان مبدعًا أو شاعراً عظيماً. وإذا كان جرب النقد كنوع من الاختبار لطاقته وتأكيد بعض فروض إبداعه، فالنتيجة واحدة، وهي أن نقده لم يكن تزجية لفراغ أو اختبارا لطاقة. وإذا كانت العبرة بالنتيجة - وكانت النتيجة هي ما أشرنا إليه - فقد كان نقده غير عادي من ناحية، ويَنِمُّ عن ذوق كبير، ومعرفة عميقة، وعقل خصب من ناحية أخرى.

ثلاث فترات

يروى كيرمود في مقدمته للكتاب أن إليوت قسَّم إنتاجه النقدي إلى ثلاثة عهود أو مراحل أو فترات:

١- فترة الكتابة لمجلة Egoist. وفيها ظهرت مقالته المشهورة ذات التأثير الواسع: «التقاليد والموهبة الفردية»، وَوَقَع إليوت تحت تأثير الشاعر الناقد الأمريكي عزرا باوند الذي وَصَلَه بأفكار الناقد الفرنسي ريمي دي جورمون، والفيلسوف الأمريكي هنري جيمس. كما تأثر إليوت في تلك الفترة بالمفكر الأمريكي إرفنج بابيت، والإنجليزي ا.هيوم، والفرنسي شارل موراس. واستمرت

تلك الفترة من ١٩١٤م حتى ١٩١٨م.

٢ـ فترة الكتابة لمجلة Atheneum وملحق التايمز الأدبي. واستمرت من ١٩١٨ إلى ١٩٣٠م

٣ـ الفترة التالية لعام ١٩٣٠م. وفيها غلبت على نشاطه النقدي المحاضرات والأحاديث العامة.

وأضاف إليوت إلى هذا التقسيم أنه كتب نوعين من المقالات النقدية: مقالات عامة عن الأدب، ومقالات في التذوق والتحليل لأدباء أفراد. وقال إن الأخيرة هي الأهم، وهي التي ستُهم قراء المستقبل. وهذا ما وافقه عليه كيرمود وبنى عليه مختاراته، مشيرا في الوقت ذاته إلى تراث إليوت النقدي الضخم الذي تناثر في المجلات دون أن يُجمع.

لقد صدق إليوت حين افترض أن أكثر مقالاته تأثيراً هي التي كتبها في مطلع حياته، بالرغم من أنه بخس قيمة مقالاته اللاحقة. وهذه المقالات الباكرة التي وصفها إليوت بأنها «عامة»، تضم مقالته عن التقاليد والموهبة الفردية، كما تضم مقالته عن الشعراء الميتافيزيقيين، ومقالته عن هاملت. ولكن جذورها الفكرية ترجع إلى قراءاته الأولى للشعر الإنجليزي القديم، وتفكيره في مشروع شعري جديد وقت كتابة قصيدته «الأرض الخراب». وأورد كيرمود قوله في كتاب «الغابة المقدسة» الذي ضم مقالاته الباكرة: «إن ناقد الشعر ينقده كي يبدع شعره هو»، وقد اشتهرت هذه العبارة وفسّرها الكثيرون بأنها مقياس النقد المجاور للإبداع عند إليوت. ولكن كيرمود وجد أن إليوت استعار عبارات كثيرة في شعره من قراءاته الأولى تلك، وأن عبقريته الشعرية قضت على نسبة هذه العبارات للآخرين. ومن ذلك عبارة «الدقيقة المحيرة» التي وردت في رسالة لإليوت كتبها إلى الشاعر ستيفن سبندر عام ١٩٣٥م. فقد اقتبسها من كتاب بعنوان «مأساة المنتقم»، واستعملها في مقالته عن التقاليد، ثم في مقالة أخرى عن تورنير عام ١٩٣١م. وفي الأخيرة وردت العبارة ضمن بيتين من الشعر يحتمل أن يكونا للشاعر الناقد جون ميدلتون مري. ثم وردت بأشكال مختلفة في شعر إليوت ونثره بعد ذلك.

وفي رسالته المذكورة إلى سبندر قال إليوت:


ت.س. إليوت

«الحق أنك لاتستطيع أن تنقد أي مؤلف لم تستسلم له استسلاما مطلقا... بل إن الدقيقة المحيرة لها اعتبارها. فلابد أن تسلم نفسك ثم تستعيدها. أما اللحظة الثالثة (أي بعد لحظتي التسليم والاستعادة ـ ع.ش)، فهي أن يكون عندك ما تقوله، قبل أن تنسى تماما الاستسلام والاستعادة. ولاشك أن النفس المستعادة لن تكون أبدا تلك النفس التي استسلمت من قبل».

وفي هذا الكلام تكمن حركة النقد عند إليوت كما يقول كيرمود. فهي تتخذ ثلاث لحظات: الاستسلام للنص، ثم استعادة النفس المُستسلِمة، ثم تسجيل ما يتكون من رأي عن النص. واللحظتان أو المرحلتان الأوليان تنطبقان على العمليتين الشعرية والنقدية معا، في حين تتمثل اللحظة أو المرحلة الثالثة في «نقد الورشة»، الذي تحدث عنه إليوت في مقالته «حدود النقد»، وتمثلها إعادة كتابة قصيدته «الأرض الخراب» مع باوند.

وهذه المرحلة الأخيرة عند الناقد ليست إبداعية بمقدار ما تكون تأملية، لأنه يصوغ انطباعه عن النص في بنية فكرية. وواجبه أن «يحلل ويصوغ» ـ كما قال هو نفسه ـ أو «يفكك ويبني» إذا شئنا معنى أكثر عصرية ففي مقالته «الناقد الكامل» أورد إليوت عبارة بالفرنسية تقول: «إن واجب الناقد هو أن «يصوغ eriger خواطره الشخصية في صورة قوانين». وهكذا يستسلم، ثم يتأمل في استسلامه. وهذا هو العنصر الإبداعي في نقده. فاللحظة الأولى (الاستسلام) عاطفية أو وجدانية لا فكرية. وفيها يشبه الناقد الشاعر. فالناقد يبدأ ـ مثلما يبدأ الشاعر ـ من انفعالاته وعواطفه، ولكنه ينتهي بشيء يقال. وهذا أيضا ما عَبّر عنه في مقالته عن التقاليد بقوله: «أن يكون لديك ما تقوله عن الاستسلام، وأن تفهم التجربة غير الزمانية وتتحدث عنها في خطاب زماني».

ومع أن إليوت رفض في مقالته المذكورة تقاليد الحركات الطليعية، مثل المستقبلية والدادوية، فقد كان هو نفسه طليعيًا ضد التقاليد، يعتقد أن العقل الأوربي مكسب كبير للشاعر الحقيقي، ولايعتقد أن القارئ

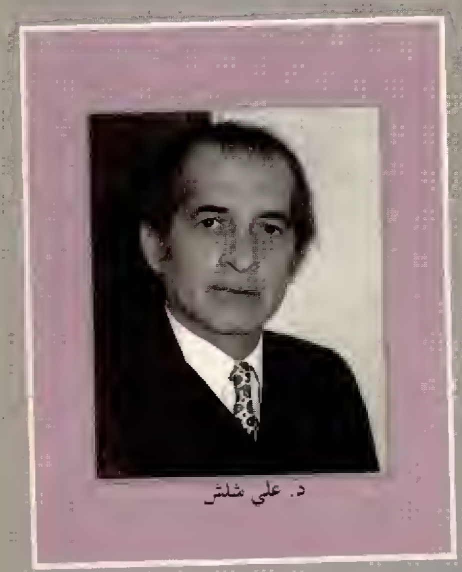
يجب أن يشارك الشاعر معتقداته، كي يستمتع بشعره. وأن القصيدة تعني عند الشاعر ما تعنيه عند القارئ، ولكنها تنشأ من أعماق الشعور حيث «تتردد صور معينة محملة بالانفعالات والعواطف». كما أن الشعر ليس بيانات نفسية (سيكلوجية) عن أصحابه أو فترات الزمن، وأن على الناقد رؤية الأدب خارج حدود الزمن. بل اعْتَقَدَ أن الشاعر يصل إلى التقاليد عن طريق التسليم المستمر لنفسه والتضحية المستمرة بنفسه والقضاء المستمر على شخصيته. وبذلك ارتبط مبدأ اللاشخصية بمبدأ التقاليد، وتضمن الاثنان مبدأ ثالثا هو ما عبر عنه بشكل ناقص في عبارة «المعادل الموضوعي» Objective Correlative، هذه العبارة المبهمة التي اشتهرت أكثر من اللازم لم تكن من بنات أفكار إليوت. فقد استخدمها - لأول مرة - الفنان الأمريكي واشنطن آلستون في منتصف القرن ١٩. ولكنه كان يعني بها شيئا مختلفا. وحين سمع إليوت بهذا في الخمسينيات أنكر أنه نقلها عن آلستون، وقال: إنه كان يظن نفسه صاحبها بلا منافس. ومع ذلك اتضح أن الفيلسوف الأمريكي جورج سانتيانا استخدم مصطلحا قريبا منها، هو «معادل الموضوع» Object Correlative. وربما اقتبس منه إليوت عبارته تلك التي وردت في مقالته «هاملت ومشكلاته» عام ١٩١٩م. وفي هذه المقالة شرح العبارة بأنها: مجموعة أشياء، أو موقف، أو سلسلة حوادث، تشكل صيغة الانفعال في الفن.

ولكن الخط الفاصل بين التعميم - أي الخروج برأي عام حول النص الذي يستسلم له الناقد عند إليوت - والتذوق يظل شديد الغموض كما يشير كيرمود بحق. فهل الاستسلام يمكن أن يكون تذوقا أو يسمح بالتذوق؟ وهل التذوق يعني الاستسلام والخضوع؟ وهل كل ناقد يستطيع أن يستسلم؟ وهل كل نص يستطيع أن يُخضع الناقد؟

كل هذه أسئلة لم يطرحها إليوت، وإن كانت فكرته تستحق التأمل والمزيد من التمحيص.

الولاء للماضي

يمضي كيرمود في التنقل بين أفكار هذه


د. علي شلش

المختارات الإليوتية المجهولة في الحقيقة، ويتوقف عند مقالة «وظيفة النقد» التي قرر فيها إليوت الحاجة إلى التضحية أمام شيء خارج الذات، وعَبَّرَ عن تفضيله الكلاسي على الرومانتي والتقاليد على التجديد المكتفي ذاتيا. وقال إن دور الناقد هو المساهمة في: «السعي العام وراء الحكم الصحيح». ويلاحظ كيرمود أن إليوت ربط النقد بالأخلاق والدين. وإذا كان طَالَبَ بهذا الربط ضمنا في مقالة «وظيفة النقد» فقد طالب به صراحة في مقالته «الدين والأدب». وربما استمد هذه الدعوة من إعجابه البالغ بشعر دانتي وشخصيته وفكره.

لقد حلم إليوت ذات مرة في محاضرة ألقاها عام ١٩٣٣م بأن «يكتب شعرًا يتصف بالشعرية في جوهره دون أن يبدو من الشعر، يقف عاريا بعظامه العارية، أو من الشفافية بحيث لا نرى الشِّعر فيه وإنما نرى الشِّعر من خلاله... أن أتجاوز الشعر كما سعى بيتهوفن في أعماله الأخيرة إلى تجاوز الموسيقا». ويبدو - كما يقول كيرمود - أن إليوت كان في ذهنه وقتها ذلك الجزء الأخير من «الأرض الخراب». وهذا مشروع دانتوي - نسبة إلى دانتي - ظل يخامره في شعره التالي. «فدراسة دانتي وممارسته بأسرهما تعلماننا أن الشاعر يجب أن يكون خادم لغته لا سيدها»، كما قال هو نفسه في مقالته المطولة عن دانتي. بل ظل دانتي نموذجه المثالي حتى آخر قصائده (جيديغ الصغيرة) التي حاكى فيها أحد أناشيد «الكوميديا الإلهية» الدانتوية.

وهكذا جمع عقل إليوت - كما يقول كيرمود - بين حب الاكتشاف والقدرة على الاحتفاظ، فاتجه نحو الأفكار الجديدة ولكنه ظل دائما على ولائه لماضيه.

لقد صحَّح كيرمود في هذا الكتاب بعض الأخطاء في التواريخ والمعاني. فمن المعروف أن إليوت أَرَّخَ مقالته عن التقاليد بسنة ١٩١٧م، في حين أنها ظهرت بمجلة Ego-ist في عددي سبتمبر وديسمبر ١٩١٩م (ألا يُحتمل أن يكون كتبها عام ١٩١٧م؟). كما أن مصطلح «تداعي الحساسية أو الأحاسيس» Association of sen-

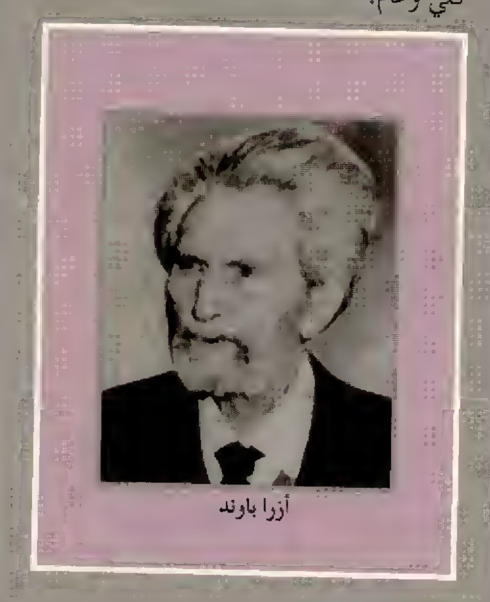
sibility ليس من ابتكاره برغم شيوع نسبته إليه مع مصطلح «المعادل الموضوعي».

تستوقفنا في المختارات المقالتان الخاصتان بالنقد النظري. الأولى بعنوان «الناقد الكامل» والأخرى بعنوان «وظيفة النقد». ولعلنا نعرف أن إليوت من النقاد القلائل في هذا القرن الذين أمعنوا النظر والتأمل في النقد. فمحصوله في هذا الميدان كبير ومقالاته في نظرية النقد كثيرة.

أما مقالته «الناقد الكامل» فقد نشرها بمجلة «أثينيوم» في يوليو ١٩٢٣م، أي إنها تنتمي إلى الفترة الثانية في تطوره النقدي التي داوم فيها على طرح أسئلة جديدة حول التذوق والتفسير. وقد استهلها بحكم عام على اثنين من أكبر النقاد الإنجليز:

«ربما كان كوليريدج أعظم النقاد الإنجليز، وآخرهم إلى حدٍّ ما. وبعد كوليريدج جاء ماثيو آرنولد. ولكن آرنولد - وسوف يسلم الناس بهذا على ما أعتقد - كان داعية للنقد أكثر من كونه ناقدا، ومروجا للأفكار أكثر من كونه مبتكرا لها».

وبعد أن يوثق دعواه هذه قليلا ينتقل إليوت إلى مناقشة ما يسمى «النقد الجمالي» أو «النقد الانطباعي» عند ناقد بعينه هو آرثرسيمونز. وكان لسيمونز كتاب جديد وقتها بعنوان «دراسات في الدراما على عهد إليزابث». ولكن إليوت اختار من المقالات الثلاث عشرة التي ضمها مقالة واحدة عن مسرحية «أنطونيو وكليوباترا»، وراح يعرضها ليدلل في عرضه على أن سيمونز لايزيد في نقده على تلخيص المسرحية وبيان دوافع شخصياتها، وتبسيط عقدتها، كأنه يكتب للمبتدئين. ثم يأخذ عليه تسجيل خواطره عن البطلة التاريخية بغير رابط. ويجد أن هذا الاسترسال العاطفي دون قاعدة فكرية تحكمه لا علاقة له بالنقد. ويتساءل: «إلى أي مدى يكون النقد تعبيرًا عن «المشاعر» و «الفكر»؟ وما نوع «الفكر» الذي يسمح به؟». وينقله السؤال إلى مناقشة التجريد في النقد، ويقارن بين أرسطو وصاحب الذكاء العادي من حيث تقدير كل منهما وفهمه للشعر، ويجد أن أرسطو هو الأقدر على التجريد وصياغة القوانين في الشعر، وفي غيره، لأن ذكاءه كلي وعام.


أزرا باوند

غير أن الناقد في الأمور ذات الأهمية الكبيرة يجب ألا يلجأ إلى القسر والإكراه كما يقول إليوت، وألا يُصدر أحكاما من قبيل: هذا أسوأ وذاك أفضل، وإنما يجب عليه ببساطة أن يُوضِّح، ثم يترك للقارئ أن يُشكِّل حكمه الصحيح لنفسه. أما الناقد «الفني» Technical الخالص، أي الذي يكتب كي يشرح لممارسي الفن شيئا جديداً أو ينقل إليهم درساً، فلا يمكن تسميته ناقداً إلا بمعنى ضيق، لأن هدفه محدود وذكاءه ليس من النوع الحر. وهذا الذكاء الحر هو الذي يُخصص كله للبحث والتحري. «وأما الناقد الأدبي فيجب أن يتخلص من عواطفه ماعدا تلك التي يثيرها العمل الفني في نفسه على الفور. وهذه (كما ألمحت) قد لا نسميها - على الإطلاق - عواطف إذا صَحَّت».

ويحاول إليوت أن يجد علاقة بين الذكاء الناقد والذكاء العالم إذا صح التعبير، ويعود مرة أخرى إلى أرسطو، ويذكر الناقدين الفرنسيين سانت بيف وريمي دي جورمون، ويجد أن الأخير - برغم أنه كان هاويًا - جمع بين الحساسية العالية والمعرفة والحس بالوقائع والتاريخ والقدرة على التعميم. فالتذوق أو إدراك الجمال - في النهاية - شيء، والنقد «الفكري» شيء آخر. «والتذوق في علم النفس الشعبي يُعَدُّ ملكة في حين أن النقد ملكة أخرى، أي براعة قاحلة في بناء منصات نظرية على مدركاتنا أو مدركات الآخرين. والمدركات لا تتراكم في العقل المتذوق حقًا على هيئة كتلة، وإنما تتشكل في صورة بنية Structure. (هل سبق إليوت البنيويين في استخدام المصطلح؟) والنقد هو بيان هذه البنية عن طريق اللغة. فهو تطوير للحساسية. ومن ناحية أخرى لايكون النقد الرديء سوى تعبير عن العواطف».

ويختتم إليوت مقالته بقوله:

«لقد التزم كاتب هذه المقالة في الماضي بمقولة أن «الناقد الشاعر ينقد الشعر كي يبدع الشعر». أما اليوم فهو أميل إلى الاعتقاد بأن الناقد «المؤرخ» والناقد «الفيلسوف» من الأفضل أن يُدْرَجا في عداد المؤرخين والفلاسفة ليس غير. أما الباقون فثمة درجات من الذكاء. ومن السخف القول بأن النقد

يكون من أجْلِ «الإبداع»، أو أن الإبداع يكون من أجل النقد، ومن السخف أيضا الزعم بأن ثمة عصورا للنقد وعصورا للإبداع، كأننا بالنفاذ إلى أعماق الظلام الفكري نملك آمالا أفضل في العثور على الضوء الروحي. فكلا اتجاهي الحساسية يكمل أحدهما الآخر. ونظراً لأن الحساسية نادرة وغير رائجة، ومرغوبة، فمن المنتظر أن يكون الناقد والفنان المبدع شخصاً واحداً على الدوام».

أنهى إليوت مقالته دون أن يحدد ماهية الناقد الكامل تحديدا صريحا. ولكننا نستطيع أن نستقرئ كلامه لنصل إلى هذه الماهية. فالناقد الكامل - إذا صح وجوده - لا يطلق العنان لخواطره عن النص أو الأدب عموما، ولا يحيل الملموسات إلى مجردات لوجه الفلسفة، وإنما هو الناقد الذكي ذكاء كليا القادر على التعميم أو استنتاج التعميمات. وهو أيضا الناقد ذو الحساسية الخاصة (العالية) والمعرفة الواسعة والإدراك للتاريخ.

وظيفة النقد

وأما مقالته الأخرى «وظيفة النقد» فقد نشرها بمجلته Criterion في أكتوبر ١٩٢٣، أي بعد نحو شهرين من ظهور المقالة السابقة. وقد بدأها بمقتطف حول علاقة الجديد بالقديم في الفن من مقالته عن التقاليد والموهبة الفردية، وكيف أن الجديد الحقيقي يجبر النظام القائم على التغير وإعادة ترتيب العلاقات والنسب والقيم الخاصة بكل عمل فني من حيث صلته بالكل، وهذا هو التكيف بين القديم والجديد. فالماضي يغيره الحاضر بمقدار ما يوجه الماضي والحاضر. وإذا كان الفنان مدعوا إلى التسلح بحس التقاليد هذا فالناقد مدعو كذلك. وإذا كانت المشكلة عند الفنان مشكلة نظام فوظيفة النقد تبدو في أساسها مشكلة نظام أيضا. وهذا النظام يحدده الموروث المشترك والقضية المشتركة اللذان يوحدان الفنانين بوعي أو بغير وعي، وإن كان الاتحاد غير واقع في معظم الأحوال، ولكن يجب العمل بوعي من جانب الفنانين الحقيقيين ذوي القدرة على العطاء الكثير. كما يجب على هؤلاء الفنانين أن ينسوا أنفسهم في عملهم.

تنطبق هذه الرؤية للفن على النقد أيضا،


جون ميلتون

من حيث هو «تعليق على الأعمال الفنية وشرح لها باستخدام الكلمات المكتوبة». وإذا كان النقد نشاطاً ذاتي الهدف فيجب أن يرمي إلى «تفسير الأعمال الفنية وتصحيح الذوق . ومن ثم يبدو واجب الناقد منطبقا تماما عليه». فالناقد إذا أراد تبرير وجوده يكون عليه أن يسعى إلى تهذيب أهوائه ونزواته الشخصية- وهي أثقال نعاني منها جميعا - وتذويب خلافاته مع أكبر عدد ممكن من زملائه من أجل السعي المشترك نحو الحكم الصحيح.

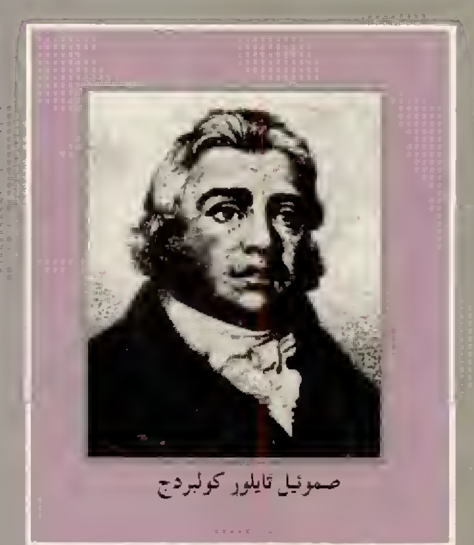
وينتقل إليوت إلى التعليق على بعض آراء معاصره جون ميدلتون مري حول الكلاسية والكاثوليكية، ثم يعود إلى موضوع المقالة فيرفض القول بفكرة الكمال في الأدب، ويناقش تمييز ماثيوآرنولد بين النقد والإبداع. ويرى أن آرنولد أغفل الأهمية الكبرى للنقد في عملية الإبداع ذاتها.

فالجزء الأكبر من جهد الأديب في تأليف عمله جهد نقدي، يتمثل في الغربلة والربط والبناء والحذف والتصحيح والاختيار. وهذا العناء الرهيب نقدي بمقدار ماهو إبداعي .

«بل إني - كما يقول - أذهب إلى أن النقد الذي يجريه الأديب المدرب الماهر على إنتاجه هو أشد أنواع النقد أهمية وعُلوا، وأن بعض الأدباء المبدعين (كما قلت من قبل فيما أعتقد) متفوقون على غيرهم، لا لشيء إلا لأن المَلَكَة النقدية عندهم متفوقة. وثمة ميل، أعتقد أنه ميل يُعبِّر عن صوتنا الداخلي، نحو الانتقاص من هذا العناء النقدي عند الفنان».

إذا كان جانب كبير من الإبداع على هذا النحو نقداً حقا كما يقول إليوت، أليس جانب كبير مما يسمى «الكتابة النقدية» إبداعًا حقًا أيضًا؟ وإذا كان الأمر هكذا أفلا يوجد نقد إبداعي بالمعنى المألوف؟ يبدو أن الجواب - كما يقول كذلك - هو أنه لايوجد تعادل بين الاثنين . وعندئذ يستطرد قائلاً: «لقد افترضت بداهة أن الإبداع، والعمل الفني، لايستهدفان سوى ذاتهما، وأن النقد - بحكم تعريفه - يدور حول شيء آخر عدا ذاته. وبذلك لا نستطيع دمج الإبداع في النقد مثلما نستطيع دمج النقد في الإبداع. فالنشاط النقدي يحقق أعلى إنجاز وأصدقه

في نوع من الاتحاد مع الإبداع في جهد الفنان. ولكن، لايوجد أديب مكتف بذاته كل الاكتفاء. فكثير من الأدباء المبدعين لديهم نشاط نقدي لايصرفونه كلية في إنتاجهم. ويبدو أن بعضهم يحتاج إلى المحافظة على طاقاته النقدية في حالة نشاط من أجل الإنتاج الحقيقي عن طريق تصريف هذه الطاقات في كتابات متفرقة. والبعض الآخر يحتاج عند الانتهاء من عمل، إلى مداومة النشاط النقدي عن طريق التعليق على هذا العمل. ولاتوجد قاعدة عامة».


صموئيل تايلور كولبردج

ويشير إليوت إلى أنه تحيّز في الماضي إلى النقاد المبدعين، ثم انتهى إلى اشتراط أن يكون الناقد ذا حس عالي التطور بالوقائع والحقائق. وعندئذ يصل إلى وظيفتي النقد اللتين شغلتاه مثلما شغلتا ريمي دي جورمون الفرنسي من قبل، وهما المقارنة والتحليل. فهاتان الوظيفتان عنده هما عدة الناقد الأساسية. ولكن يجب استخدامهما بعناية، وعلى الناقد أن يعرف ماذا يقارن، وماذا يحلل؟ ولكن، ماذا عن التفسير كوظيفة للنقد؟ انه وظيفة مشروعة في رأيه شريطة ألا تعني التفسير على الإطلاق، وإنما تعني «وضع يد القارئ على الحقائق التي قد تفوته من دون التفسير».

هذا هو أهم ما يخرج به قارئ المقالة عن وظيفة النقد. فإذا تساءلنا : وماذا بعد التفسير والمقارنة والتحليل؟

جاءنا الجواب بصورة غير مباشرة، فمن الواضح أن إليوت من المعتدّين بالحكم والتقويم كوظيفتين للنقد، وإن كانتا تأتيان بعد التفسير والمقارنة والتحليل. ومع ذلك فهو لم يوضح هذه الوظائف جميعا على نحو مفصل أو كاف. وإذا كان نزوعه الأخلاقي البارز كفيل بإضفاء هالة أخلاقية على نقده فقد كان في حلٍّ من هذه الهالة بحكم موهبته الكبيرة، وبراعته في التخفي في شعره ونثره - وربما في حياته أيضا - فالإيحاء والتلميح عنده من القوة بحيث يبعدان آثار التقرير والتصريح.

ولاشك أن إليوت من أهم نقاد القرن ٢٠، إن لم يكن من أهم نقاد الإنجليزية على وجه الإطلاق. ويرجع جانب من هذه الأهمية إلى أنه من النقاد القلائل، في تاريخ النقد الأدبي الحديث عمومًا، الذين تأملوا كثيرا في وظيفة النقد وهدفه وفائدته، ودور الناقد وواجبه. فحول هذه الموضوعات دار معظم نقده النظري، أو تصوره لنظرية الأدب. كما يرجع جانب آخر من أهميته كناقد إلى تجاوز عقله وذوقه لثقافته المحلية، وقدرته على استيعاب عناصر الثقافات الأخرى.

ماذا سيبقى من نقده إذن؟

ستبقى تطبيقات الجانبين المذكورين بالطبع، حتى لو لم يستطع أحد الانتفاع بها. ولذلك ستبقى أيضا مقالاته في تذوق الأدباء و«تحليل» أعمالهم، كما تنبأ هو نفسه. ومع أن بعض هذه المقالات يضم تناقضات صارخة في الأحكام وتوزيع درجات المجد، ولاسيما ما كتبه عن الشاعر الإنجليزي جون ميلتون، ففيها عمومًا يظهر عقله وذوقه غير المحليين. وقد وضعنا كلمة «تحليل» هنا بين أقواس، لأن التحليل عنده لم يكن - في الحقيقة - من النوع الرفيع العميق بمقدار ما كان وصفًا وتحليلاً لاحساسه الشخصي بالعمل المنقود، مع أنه عادي النقد الجمالي أو الانطباعي (التأثري)، وألزم الناقد بأداتي المقارنة والتحليل، كما مرّ بنا.

وإذا كانت مقالته «التقاليد والموهبة الفردية» مفتاح تصوره لنظرية الأدب والنقد، ففيها أيضا ما يبقيها تحت طلب النقد في المستقبل من حيث هي دعوة صريحة إلى تجاوز المحلية.

أما تعصبه للدين والكلاسية، وعداؤه للرومانتية والتقدم والمساواة والليبرالية، وجموده الفكري، واعتقاده في أهمية النخبة ودورها وثقافتها، وكلامه المثالي عن الحس التاريخي وضرورة تضحية الفنان بذاته، ودعوته إلى هروب الشاعر من ذاتيته وشخصيته وإخضاع الناقد للبحث العام عن الأحكام الصحيحة والمقاييس الموضوعية للقيمة، فهذه كلها أمور شديدة النسبية وكثيرة التغير ، ولادوام لها.

عرس الهوى

شعر: عدنان عبد الرحمن أبو العطا

شكا طرفي لقلبي ما يعاني ... وكيف النوم من وجدي جفاني

وقلبي حين وافته الشكاوى ... تدارس ما تقاسيه المعاني

فحار وفي المسامع وقع نبضي ... ومن خفقانه طبل القيانِ

بكى من حرّ وجدٍ قد تلظّى ... ويعلم أنّه قاضٍ وجانِ

وفكري قد نأى عقلي فأضحى ... كشادٍ فرّ معقود اللسانِ

وحبي مذ تمكّن في ضلوعي ... وفي لهبِ التأوّه إذ رماني

فذاب اللحم من همٍّ وظنٍّ ... وأنّ دمي بأعراق الجَنان

وعظمي كالخِيَاط بدا نحيلاً ... كما شوق المتيّم قد براني

وداواني الطبيب بكلّ علمٍ ... فما نفع الدواء وما شفاني

حبيبي والهوى لحنٌ طروب ... تساقيناه في صفو التداني

ويجري في الدماء كأن سحرًا ... جموحًا بات مطلوق العنانِ

فأسكرني وكان جنون عقلي ... يمنيني ويربو في كياني

وعِيلَ الصَّبرُ في صبري لأنّي ... على الهجران لا يقوى التفاني

فبحتُ بِهمٍّ قلبي لليّالي ... فواستني الكواكبُ والمغاني

حبيبي هل ترى يرضيكَ سقمي ... وحرماني ولقيان الهوانِ

وكنت ربيعَ أمسٍ قد تهادى ... على زهر الخمائل والجِنان

وكنت أمير روحي في هواها ... فتغمرها ببحر من حنانِ

وكان الفلّ قد أهداك طيبًا ... وفي الشفتين إغراءُ الجمان

فلا تكُ شامخًا في الجو تعلو ... ضعيفًا واهيًا مثل الدخانِ

أريدك في الهوى كالطّود صلبًا ... ومن صوّانه نبع الأماني

تعال نمازج النفسين نفسًا ... ونقهر بالجوى جمع الزمانِ

فإنّ لكل غرّيدٍ وطيرٍ ... بنا عرسًا يكلّل بالتهاني

وإنّا للزهور وشاحُ عطرٍ ... وإنّا للأنام صدى الأغاني

اللِّباسُ في صدرِ الإسلام (٢)

إعداد: عبدالحميد حسانين حسن علي

(ش)

الشَّمْلَةُ: من لباس الجسد، وهو كساء له خَمْلٌ مُتَفَرِّق يُلْتَحَف به، دون القطيفة، وهو كساء يُتغطى به، ويُتلفف فيه(٧٧)، وقد تكون الشملة من صوف أو شعر(٧٨)، وقد روي في الحديث النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى في شملة، قد عقد عليها(٧٩).

(ط)

الطيلسان: من لباس الجسد، وهو كساء مزوّر أخضر، لاأسفل له، من الصوف، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم، وهي كلمة أصلها في الفارسية «تاليسان»(٨٠).

وفي الحديث ماروي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا، عليهم الطيالسة»(٨١)، وكذلك ماروي عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له جبة من طيالسة، مكفوفة بالديباج، يلقى فيها العدو(٨٢).

(ع)

العَبَاءة: من لباس الجسد، وذكر الأزهري وابن منظور أنها ضرب من الأكسية، واسع، فيه خطوط سود(٨٣). وجاء في «محيط المحيط» أنها كساء من صوف، بلا كُمَّيْنِ، أو بهما، مفتوح من قُدام، يُلْبَس فوق الثياب(٨٤). وفي الحديث ماروي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قوله: انطلقت بعبدالله بن أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وُلِدَ، فأتيت النبي صلى الله عليه

من كتاب العدد



عبد الحميد حسانين حسن علي

- مواليد القاهرة، ١٩٥١م.
- ليسانس اللغات الشرقية، جامعة عين شمس.
- دبلوم الدراسات العليا في المكتبات والمعلومات، جامعة القاهرة.
- إخصائي مكتبات ومعلومات بوزارة الثقافة المصرية، ومعار حاليا لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- أهم مؤلفاته وأبحاثه:
الأقليات الإسلامية (ببليوجرافيا)، دليل محو الأمية وتعليم الكبار في العالم العربي (تحت الطبع)، إلى جانب عدد من المقالات في مجالات تخصصه نشرت في الصحف والمجلات.

وسلم، وهو في عباءة، يَهْنَأ بعيرًا له(٨٥).

وقد كانت العباءة من لباس عامة الناس، زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: إن الناس ينتابون الجمعة من منازلهم، من العوالي، فيأتون في العباء، ويصيبهم الغبار، فتخرج منهم الريح(٨٦).

العصَابة: من لباس الرأس، وهي كل مايُعَصَب به الرأس(٨٧)، ويذكر ابن منظور(٨٨) أنها العمامة، وكانت التيجان للملوك، والعمائم الحُمْرُ للسادة من العرب، وذكر قول الشاعر:

رأيتك هَرَّيت العمامة بعدها

أراك زمانًا حاسرًا لم تعصَّبِ(٨٩)

وفي الحديث ماروي عن صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر، متعطفًا ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة(٩٠)، وأيضًا، فقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم سرية، فأصابهم البرد، فلما قدموا عليه، أمرهم أن يمسحوا على العصائب والتساخين(٩١).

العمامة: من لباس الرأس، وقيل هي مايلفَ على الرأس(٩٢)، وذكر ابن منظور أنها من لباس الرأس، معروفة، والجمع عمائم. وفي ذلك يقول الشاعر:

ألقى عصاه وأرخى من عمامته

وفي الحديث ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس»، أي من حيث اللباس، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم طريقة خاصة في التعمم، وقد روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قوله: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه(٩٣).

(غ)

الغلالة: من لباس الجسد، وهو شعار يلبس تحت الثوب، لأنه يتغلَّل فيها، أي يُدْخَل فيها(٩٤)، ويذكر الأزهري أن الغلالة الثوب الذي يلبس تحت الثياب، أو تحت درع الحديد(٩٥)، فالغلالة ضرب من اللباس يتخذه الناس تحت الثياب، وتحت دروع المقاتلين، وفي الحديث ماروي عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - : كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة، فكسوتها امرأتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرْها لتجعل تحتها غلالة، إني أخاف أن تصف حجم عظامها»(٩٦).

(ف)

الفَروج: من لباس الجسد، قيل الفَروج القباء، وقيل قباء فيه شق من خلفه، وقيل قميص صغير، وقباء شُقّ من خلفه(٩٧)، وفي الحديث ماجاء عند البخاريّ أنه: أُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فروج حرير، فلبسه، فصلى فيه، ثم انصرف فنزعه نزعًا شديدًا كالكاره له، وقال: «لاينبغي هذا للمتقين»(٩٨).

(ق)

القُبطيَّة: من لباس الجسد، وقيل ثياب بيض رقاق من كتَّان، تتخذ بمصر(٩٩)، وجاء في «محيط المحيط» المعنى السابق نفسه، وذكر قول أبي الطيب المتنبي:

وعندي قباطيُّ الهُمام ومَالُهُ

وعندهم ممَّا ظَفِرتُ به الجَحْدُ(١٠٠)

وفي الحديث ماروي عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قوله: كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة، فكسوتها امرأتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مالك لم تلبس القبطية؟» قلت يارسول الله: كسوتها امرأتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرْها لتجعل تحتها غلالة، إني أخاف أن تصف حجم عظامها»(١٠١).

القُفَّاز: من لباس اليد، قيل: إنه لباس الكف، يحشى بقطن، ويكون له أزرار تزرر على الساعدين من البرد، تلبسه المرأة في يديها، وهما قفازان(١٠٢)، والقفاز كان معروفًا في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس القفاز في الإحرام، وروي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المحرمة لاتنتقب، ولاتلبس القفازين»(١٠٣).

القميص: من لباس الجسد، والجمع قمصان(١٠٤)، وقيل أيضًا: إنه لايكون إلا من قطن، وأما من الصوف فلا(١٠٥)، وقد ورد ذكر القميص في "القرآن الكريم" حيث يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف:١٨)، وقوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ (يوسف:٢٥)، وفي الحديث ماروي عن أم سلمة رضي الله عنها: كان أحب الثياب إلى النبي صلى الله عليه وسلم القميص(١٠٦)، وقد روي أنّ زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لبست قميص حرير سيراء(١٠٧)، وروي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنًا، قصير الطول، قصير الكُمَّيْنِ(١٠٨).

(م)

المجْوَل: ثوب أبيض يجعل على يد من تدفع إليه القداح، وثوب للنساء أو للصغيرة منهن، أو ثوب صغير للجارية، ومنه قول امرىء القيس:

إذا ما اسبكرّت بين درع ومجول(١٠٩).

المِرْط: من لباس الجسد، وهو كساء من صوف أو خزّ، وقيل إنه يؤتزر به، وربما تلقيه المرأة على رأسها، وتتلفع به(١١٠)، وفي الحديث ماروي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي الفجر، ومعه نساء من المؤمنات متلفعات في مروطهن، ثم يرجعن إلى بيوتهن(١١١)، وماروي أيضًا عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة، وعليه مرط مُرَحّل من شعر أسود(١١٢).

المطرَف: من لباس الجسد، وهي أردية من خَزّ، مربعة، لها أعلام، وقيل ثوب مربع من خز له أعلام(١١٣). وفي الحديث أن عائشة - رضي الله عنها - كست عبدالله بن الزبير مطرف خز كانت تلبسه(١١٤).

الملْحفَة: من لباس الجسد، وهي الثوب الذيَ يغطي به الرجل نفسه، وقيل هي اللباس فوق سائر اللباس، وقيل أيضًا الملاءة التي تلتحف بها المرأة، واللباس فوق سائر اللباس لاتقاء البرد ونحوه(١١٥).

وفي الحديث ماروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر متعطفًا ملحفة على منكبيه(١١٦)، وروي أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرتدي ملحفة غليظة(١١٧).

الموق: من لباس القدم، وقيل الموق: خف غليظ يُلبس فوق الخف، وهو فارسيّ معرّب من «موزة»(١١٨)، وفي الحديث ماروي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن امرأة بَغِيا رأت كلبًا في يوم حار، يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت موقها، فسقته، فغُفِر لها»(١١٩)، وكذلك ماروي عن بلال - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج يقضي حاجته، فآتيه بالماء فيتوضأ، ويمسح على عمامته، وموقيه(١٢٠).

(ن)

النَّصيف: من لباس الرأس، قيل النصيف: نصف الشيء، والعمامة، وكل ماغطَّى الرأس من البُرْد، والخمار(١٢١)، وقيل كل ماغطى الرأس من خمار وعمامة(١٢٢)، وفي الحديث ماروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال في معرض حديثه عن الجنة وصفة الجنّة: «.. ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض، لأضاءت مابينهما، ولملأت مابينهما ريحًا، ولَنَصيفُها خير من الدنيا ومافيها»، وماروي أيضًا أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولَنَصيفُ امرأة من الجنة خير من الدنيا، ومثلها معها»(١٢٣)، والنصيف في الحديثين السابقين بمعنى الخمار. ومنه قول الشاعر:

سقط النَّصيف ولم تُرِدْ إسقاطه
فتناولته واتَّقتنا باليد

النِّطاق: من لباس الجسد، وذكر الجوهري في "الصحاح" أن النطاق: شُقَّة تلبسها المرأة، وتشُدّ وسطها، ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة، والأسفل يَنْجَرُّ على الأرض. وقيل النِّطاق: مايُشَدُّ به الوسط وشقَّة تلبسها المرأة، وتشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض، والأسفل ينجر على الأرض، ليس لها حجزة ولانَيْفَق ولاساقان(١٢٤). وفي

الحديث ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وجب الخروج على كل ذات نطاق»(١٢٥)، و"ذات النطاقين": أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما -، فقد شقت نطاقها نصفين، جعلت تضع في أحدهما طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها أبي بكر - رضي الله عنه -، والآخر تلبسه.

النعل: من لباس القدم، وقيل الحذاء(١٢٦)، وذكر صاحب «محيط المحيط» أنه الحذاء وهو ماوقيت به القدم من الأرض(١٢٧)، وفي الحديث ماروي عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «استكثروا من النعال، فإن الرجل لايزال راكبًا ماانتعل»(١٢٨)، وكذلك ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب»(١٢٩)، كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن المشي بنعل واحدة، فقال: «لايمشيَ أحدكم في نعل واحدة، ليحفهما جميعًا، أو لينعلهما جميعًا»(١٣٠).

النقاب: من لباس الوجه، قيل إنه القناع على مارن الأنف، تستتر به المرأة وجهها(١٣١)، وذكر الأزهري أنه إذا أدنت المرأة نقابها على عينها فتلك الوصوصة، فإن أنزلته دون ذلك إلى المحجر فهو النقاب(١٣٢)، وفي الحديث ماروي عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى النساء في الإحرام عن القفاز والنقاب(١٣٣)، وكذلك ماجاء عن المرأة التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهي منتقبة، تسأل عن ابنها، وهو مقتول(١٣٤).

النَّمِرَة: شملة فيها خطوط بيض وسود، وهي بردة مخططة من صوف يلبسها الأعراب، وكل شملة مخططة من مآزر الأعراب فهي نمرة(١٣٥)، وفي الحديث ماروي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - حيث قال: .. وإنما كان لباسنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم النمار(١٣٦)، وكذلك ماجاء عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - حيث قالت: كان المسلمون ذوي حاجة، يأتزرون بهذه النمار(١٣٧).

الهوامش والمراجع:

٧٧- راجع مادة (ش م ل) في لسان العرب.
٧٨- راجع المادة نفسها في المعجم الوسيط.
٧٩- ابن ماجه: ١١٧٦/٢.
٨٠- راجع مادة (ط ل س) في محيط المحيط، والمعجم الوسيط.
٨١- مسلم: ٢٢٦٦/٤.
٨٢- ابن حنبل: ٣٥٤/٦.
٨٣- مادة (ع ب أ) في تهذيب اللغة، ولسان العرب.
٨٤- راجع المادة نفسها في محيط المحيط، والمعجم الوسيط.
٨٥- ابن حنبل: ١٧٥/١.
٨٦- مسلم: ٥٨٠/٢، ٥٨١.
٨٧- راجع مادة (ع ص ب) في الصحاح، وترتيب القاموس المحيط.
٨٨- انظر لسان العرب، مادة (ع ص ب).
٨٩- هَرَّيْت العمامة أي جعلتها ضخمة.
٩٠- ابن حنبل: ٢٣٣/١.
٩١- أبو داود: ٣٦/١.
٩٢- انظر مادة (ع م م) في لسان العرب، وترتيب القاموس المحيط، ومحيط المحيط، والمعجم الوسبط.
٩٣- أبو داود: ٥٤/٤.
٩٤- راجع مادة (غ ل ل) في لسان العرب.
٩٥- المادة السابقة نفسها في تهذيب اللغة للأزهري.
٩٦- ابن حنبل: ٢٠٥/٥.
٩٧- مادة (ف ر ج) في لسان العرب، ومحيط المحيط.
٩٨- البخاري: ١٤٧/١.
٩٩- راجع مادة (ق ب ط) في الصحاح، والمعجم الوسيط.
١٠٠- انظر المادة نفسها في محيط المحيط.
١٠١- ابن حنبل: ٢٠٥/٥، والحديث ذُكر كاملاً في المادة السالفة الذكر (الغلالة) في بحثنا هذا.
١٠٢- راجع مادة (ق ف ز) في لسان العرب.
١٠٣- أبو داود: ١٦٥/٢.
١٠٤- راجع مادة (ق م ص) في الصحاح، ولسان العرب.
١٠٥- المادة السابقة في القاموس المحيط.
١٠٦- الترمذي: ٢٣٧/٤.
١٠٧- ابن ماجه: ١١٩٠/٢، والسِّيَراء تعني الحرير.
١٠٨- الطبقات الكبرى: ٤٥٨/١.
١٠٩- راجع في ذلك محيط المحيط، مادة (ج و ل).
١١٠- راجع مادة (م ر ط) في الصحاح، ولسان العرب، وترتيب القاموس المحيط.
١١١- البخاري: ١٤٦/١، ابن حنبل: ٢٤٨/٦.
١١٢- مسلم: ١٦٤٩/٣، أبو داود: ٤٤/٤.
١١٣- انظر مادة (ط ر ف) في الصحاح، ولسان العرب، ومحيط المحيط.
١١٤- مالك: ٩١٢/٢.
١١٥- راجع مادة (ل ح ف) في الصحاح، ولسان العرب، وترتيب القاموس المحيط.
١١٦- البخاري: ٣١٤/١.
١١٧- ابن حنبل: ٩٨/٣.
١١٨- انظر مادة (م و ق) في الصحاح، ومحيط المحيط، والمعجم الوسيط.
١١٩- ابن حنبل: ٥٠٧/٢.
١٢٠- أبو داود: ٣٩/١.
١٢١- انظر مادة (ن ص ف) في محيط المحيط، والمعجم الوسيط.
١٢٢- راجع المادة نفسها في لسان العرب، والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط.
١٢٣- البخاري: ٢٤٠١/٥، ابن حنبل: ٤٨٣/٢.
١٢٤- راجع مادة (ن ط ق) في الصحاح، ومحيط المحيط، والمعجم الوسيط.
١٢٥- ابن حنبل: ٣٥٨/٦.
١٢٦- انظر مادة (ن ع ل) في الصحاح.
١٢٧- المادة نفسها في محيط المحيط.
١٢٨- ابن حنبل: ٣٣٧/٣.
١٢٩- المرجع السابق: ٢٦٤/٥.
١٣٠- البخاري: ٢٢٠٠/٥، مسلم: ١٦٠٠/٣.
١٣١- راجع مادة (ن ق ب) في محيط المحيط، والمعجم الوسيط.
١٣٢- انظر المادة السابقة في تهذيب اللغة للأزهري.
١٣٣- ابن حنبل: ٢٢/٢.
١٣٤- أبو داود: ٥/٣.
١٣٥- انظر مادة (ن م ر) في الصحاح، ولسان العرب، والمعجم الوسيط.
١٣٦- ابن حنبل: ٣٥٥/٢.
١٣٧- ابن حنبل: ٣٤٨/٦.



جحود

ابتسام إسماعيل شاكوش

بسم الله الرحمن الرحيم، نويت أن أصلي فرض الظهر أربع ركعات... استغفر الله العظيم، استغفر الله العظيم، ولكن الشمس قد غابت يا سليم، والظلام يلف المكان! الوقت إذا هو المغرب وفرضه ثلاث ركعات. لأبدأ من جديد: بسم الله الرحمن الرحيم نويت أن .... أحقا أنا مجنون؟ لكن لا .. المجنون لا يصلي يا هند ولايذكر ماضيه، أما أنا فأذكر جيدا كل يوم من تاريخ حياتي، حتى دون الرجوع إلى دفتر مذكراتي الذي صادرتيه فيما صادرت يوم أُخِذَتْ من المحكمة حكما بالحجر عليّ، حتى مرتبي التقاعدي الهزيل لم يعد من حقي التصرف فيه، صار لك أنت يا هند، رغم هذا فلستُ مجنونا؛ بل أذكر جيدا أيام كنت ضابطا في الجيش التركي، كيف كنت أتعامل مع جنودي وقادتي، وأعرف تفاصيل المدن التي زرتها، والمعارك التي اشتركت فيها، وكيف كنت أُستقبل كالأبطال في كل مرة أعود فيها إلى القرية، حيث تضيق مضيفة أبي - برغم اتساعها - بالوافدين ... الجميع قادمون يسلمون ويهنئون بسلامتي، وليسمعوا أحاديثي التي كانت تُحفظ في القرية كلها، وكأنها قادمة من كوكب آخر غير الأرض، كأني بهم الآن يحيطون بي، تبرق عيونهم بالمحبة، بينما قلوبهم المفتوحة دائما تكاد تحتضنني وتطير بي.

الله أكبر... ولكن، أين وصلت في صلاتي، وفي أية ركعة أنا الآن؟؟ أخطأت مرة أخرى يا سليم، استغفر الله العظيم، سأبدأ من جديد... قاتلك الله ياهند، أية متعة كنت تشعرين، وأنت تطلقين ضفائرك أمام الرجال؟ أي إحساس كان ينتابك أمام ذلك العدد من العيون الجائعة التي تحاصرك، وتكاد أن تقفز من محاجرها؟؟ بينما تَجَمَّدَ أصحابها، يسيل لعابهم، ودماؤهم تكاد تشتعل؟؟ قاتلك الله .. قاتلك الله.. وذلك الزوج، ألا تقيمين وزنا لمشاعره وكرامته؟... ولكني لم أبدأ صلاتي بعد، لقد وهن عزمي وعجزت رجلاي عن حملي، سأصلي قاعدا، وسيغفر الله لي كما وعد ﴿إن مع العسر يسرا﴾ صدق الله العظيم.

ولكني لست مجنونا يا هند، مازلت أذكر يوم خطبتك ،كيف توردت وجنتاك، وأخذت يداك وساقاك بالارتجاف، وأنت تقدمين لي فنجان القهوة - أود لو أفتدي بنفسي ذلك الفنجان، وتلك الحمرة التي ضرجت يومئذ خديك -، أين ذلك الحياء ياهند؟؟ لقد أصر والدك على نقل جهازك بنفسه من المدينة إلى قريتنا، متجاوزاً الأعراف والتقاليد، معرباً عن سروره بمصاهرة ضابط. فهل تذكرين؟ والآن تعاملينني هكذا! ألم تعودي بحاجة إليّ؟ أما عدت ترين فيّ ما يثير فخرك وتيهك أمام الصديقات؟

تغلقين بابك في وجهي، وتضطريني للوقوف ساعات في ساحة المرجة، أستجدي الناس ثمن قوتي، وأهيم في شوارع دمشق لا أعرف مستقرا؟ لا عتب عليك يا ابنة السوق، اللوم على من سعى وراء الحسن الزائف، ونعومة الأفاعي، تاركا أهله منسلخا من جذوره. الآن .. الآن صحوت من سكرتي.. سأصرخ بأعلى صوتي: أيها الناس.. انظروا حالتي.. إياكم.. إياكم.. حتى أولادي باتوا يخجلون من الانتساب إليّ.

لا.. لن أصرخ.. وكيف أفعل والمسجد قد خلا من الناس، وصوتي لن يتجاوز لهاتي؟؟ فأنا لم أذق طعما للزاد منذ يومين، ولست أملك ثمن رغيف، وسأنام ليلتي هذه في هذا المسجد كما نمت أمس وأول أمس... ولكن صلاتي.. استغفر الله العظيم.. لم يبق أحد في المسجد، وهذا يعني أن جزءاً كبيرا من الليل قد انقضى.. لا بأس سأنام قليلا ثم أصلي بعدما أستيقظ.

في ضحى اليوم التالي، في مكان آخر من مدينة دمشق، أمام منزل ظاهر الثراء، كان اثنان من رجال الشرطة يستأذنان للدخول، خرجت لاستقبالهما عجوز مترهلة، وجهها ملطخ بالمساحيق، وقد حشرت جسدها في ثوب يكاد أن يزهق أنفاسها لضيقه، أخبرتهما أنها أيقظت ابنها بعد كثير من الجهد، وهو في طريقه إليهما.

ساعة من الانتظار ، جاء بعدها صاحب الدار وآثار النوم لاتزال عالقة بأهدابه، لم يغسل وجهه بعد، ولم يخلع عنه ثياب النوم. وقف الشرطي وطلب منه بطاقته الشخصية، وبعد مطابقتها على أوراق كان يحملها ظهر في وجهه الارتباك، وقال بلهجة ملؤها الخجل: يؤسفني أيها السيد أن أخبرك: لقد عثرنا في زاوية أحد المساجد على شيخ عجوز لم يتعرف عليه أحد. فتشنا ملابس الرجل فما عثرنا إلا على صورتك، وبظهرها عنوان بيتك هذا وبطاقة ضابط متقاعد.. يظهر من تطابق الأسماء أن المتوفى والدك .. أطال الله عمرك... نحن آسفون.

انفجر الرجل غضبا.. وبشراسة وحش هوجم في مأمنه، صرخ في وجه الشرطي: أمِنْ أجل هذا أيقظتني؟ ألا تعرفون الأدب؟ ما علاقتي أنا بمتشرد مات في المَسجد؟ أمسؤول أنا عن كل من يحمل صورتي وعنواني؟؟ لِمَ تحدق فيّ هكذا، هات بطاقتي وسأقرأ لك مافيها اسمي... والدي سليم ، ووالدتي هند، هل تريد المزيد؟ اغرب أنت وصاحبك عن وجهي، لن أذهب معكما لاستلامه، ادفناه حيث تريدان وكما تريدان.. ليس أبي ولو تطابقت الأسماء. وأنت يا أمي.. إياك أن توقظيني مرة أخرى.. سأعود إلى سريري ولا أريد إزعاجا من أحد.

الأخ أحمد حمادة نكه مي ـ حلب ـ سورية

لعل السفارة السعودية في دمشق تقدم لك معلومات حول مسابقة القرآن الكريم التي تستفسر عنها.

الأخ مصطفى محمود السيد ـ سوهاج ـ مصر

رسالتك أحيلت إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ونأمل أن يتجاوب معها ويزودك بالمعلومات المطلوبة.

الأخوين: بلعيد رحوي بن عمرو ـ برج منايل، للّو طاهر ـ وهران ـ الجزائر:

المجلة تعتذر من عدم تقديم اشتراكات مجانية حيث إن نظامها لايسمح بذلك.

الأخوين محمد حسن ومطيع الله تاجك ـ بيشاور ـ باكستان:

أحلنا رسالتكما إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي، لعلها تقدم لكما المساعدة المطلوبة.

الأخ صلاح شعبان ـ دمشق ـ سورية:

عنوان دار النحوي للنشر هو: ص.ب ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١ ـ المملكة العربية السعودية.

الإخوة: زهير علوي السادة ـ الدمام، علي بن علي إبراهيم ـ الحديدة ـ اليمن، إبراهيم صابر أبو الفتوح ـ الواحات البحرية ـ مصر ـ فراس محمد سلّوم وجواد المقداد ـ دمشق ـ سورية، بوشول محمد ـ ورفلة ـ الجزائر ، جمال عبدالله وفوزي السالمي ـ تونس:

سوف تصلكم إيضاحات بشأن الحصول على مجلدات «الفيصل»، أما الإخوة الذين طلبوا أعداداً معينة فسيتم التجاوب مع طلباتهم في حدود الإمكانات المتاحة.

الأخ حسام عبدالرحمن العبد ـ عَمَّان ـ الأردن:

أحلنا رسالتك إلى قسم خدمات المعلومات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وسيزودك بالمعلومات اللازمة للدليل الذي تتولى إعداده.

الأخت نكاي حسيبة ـ البليدة ـ الجزائر

المدة المسموح بها للإجابة عن أسئلة المسابقة ٤٥ يوماً من بعد صدور العدد. أما قيمة الاشتراك الخاصة بالطلاب أو غيرهم فلايمكن تخفيضها أكثر لأنها وضعت بشكل مدروس.

الأخ لعلواني حمزة ـ برج بوعريريج ـ الجزائر:

يمكنك الحصول على عناوين الجامعات السعودية من الملحق التعليمي بالسفارة السعودية في الجزائر.

الأخوين مختار بلحاج ـ غليزان، عبدالقادر بن عبدالقادر ـ الشلف ـ الجزائر:

أوضحنا مرات عديدة من قبل أن المجلة ليس بها ركن للتعارف، وأن هذا ليس من اهتمامات المجلة.

الأخ نهاد رشيد ـ حمص ـ سورية:

بإمكانك مراسلة الكاتب للحصول على ماتريده، وعنوانه: رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

الأخ رمضاني بلقاسم ـ الجلفة ـ الجزائر:

شكرا على كلماتك الطيبة وتشجيعك للعاملين في المجلة.

الأخ يوسف عبدالله المحمود ـ المدينة المنورة:

كتبنا من قبل عن السرطان في أعداد قديمة، وهناك استطلاع علمي شامل عن هذا الموضوع سننشره في أحد الأعداد القريبة ـ إن شاء الله ـ يتناول أحدث الاكتشافات العلمية في هذا المجال. العدد الذي طلبته في طريقه إليك.

الأخ عبدالرحيم قصري ـ الرباط ـ المغرب:

يسرنا تعاونك معنا، ونأمل أن ترسل إلينا نماذج من أعمالك للاطلاع عليها أولا، وأهلا بك.

الأخ لعمارة عبدالمجيد ـ المسيلة ـ الجزائر:

نأمل أن يزودك قسم خدمات المعلومات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمعلومات المطلوبة، حيث أحلنا رسالتك إليه.

الأخ سعيدي مصطفى ـ مفتاح ـ الجزائر:

يمكنك الحصول على عناوين جمعيات المعوقين في المملكة العربية السعودية عن طريق مراسلة العنوان التالي: الأستاذ ضيف الله البلوي مدير عام الجمعيات الخيرية، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الأخوة: أنّمم بي ـ كيرالا ـ الهند، محمد ملحان بن محمد يوسف ـ سريلانكا، مرزوقي بن حسين ـ سمبيلان ـ ماليزيا، عبود ساناد وأفيل سالم رجب وأريب رحمان وأصبر الدين ودني أكبر وفوزان مولاني ـ أندونيسيا، محمد الأمين دوكوري ـ غينيا، موسى محمد ـ أكرا ـ غانا، عثمان عمر الحسن ومحمد سمير موسى بشي ومحمد غالي ألاش كورا ونورا الحاجي ساني وبيللو محمد وعبدالله سليمان وعلي إسماعيل ـ نيجيريا:

نأمل أن تكون الأعداد التي طلبتموها قد وصلتكم، وشكرا.

الإخوة والأخوات: بجاوي سعيد ـ الجزائر العاصمة، ركاح نجيب ـ الأغواط ، مهماهي ناصر وسعاد لوصيف وبوبشير عبدالمالك ـ باتنة، عزوز الطاهر ـ بسكرة، لعمارة فتحي وصالح البلّي ـ بوسعادة، بن هكو مراد ودهيني رضوان ـ البيض، فاخر لخضر ـ تيارت ، نكاي حسيبة ـ تيبازة، مروش ناجي وعمراني عبد القادر ومحمد بوطيبة ومحمد قماري بن أحمد ـ الجلفة، مراد صادق ـ الشلف، عليلي عبد القادر وعبد القادر ديلمي ـ عين الدفلة، مختار بلحاج ـ غليزان، فاروق بو خالفة ـ قسنطينة ـ طيبي خليفة ـ المسيلة، بيوضة السعيد ـ الوادي ـ الجزائر، أحمد شولهان وأمرازي محمد رئيس ـ جاكرتا ـ أندونيسيا، محمد ريزال بن منصور ـ ماليزيا:

سنستجيب مع طلباتكم في حدود ما تسمح به إمكانات المجلة.

الإخوة : غيتاوي الطيب والعماري محمود ـ أدرار، بكرو عبدالعزيز ـ باتنة، لعلواني حمزة ـ برج بوعريريج، محمد الصديق بن غزالة ـ بسكرة، رحماني مبارك ـ بشار، سعداوي نورالدين ـ تقرت، بلحوت ناجي ـ الجلفة، مغلولي عزالدين ـ جليجل، طوبال بشير ـ سطيف، حبيب لمونس ـ المسيلة، جنيدي رابح ـ المغير، محمد غرياني ـ ورقلة، عطاالله رشيد ـ وهران ـ الجزائر:

طلبات اشتراكاتكم حُولت للقسم المختص، وسيتم تزويدكم بالإيضاحات اللازمة.

● ● ●

قصة ألمانية أم روسية أم لبنانية ؟!



نتشرف بأن نرسل إلى سيادتكم صورة مقال نشرته صحيفة "الأهرام" بعددها الصادر بتاريخ ٤ مارس ١٩٩٢، بعنوان "جائزة الدولة لقصة ألمانية"، جاء فيه مايلي :

« يعتبر الأخوان الألمانيان (ياكوب ووليم جريم) من أشهر من كتب القصص الخيالية للأطفال، وقد كتب الأخوان جريم عددا كبيرا من الحكايات الشعبية، في كتابهما "حكايات الأطفال والبيوت" . وقد ظهر الجزء الأول من هذا الكتاب سنة ١٨١٢ والجزء الثاني سنة ١٨١٤.

ومن بين الحكايات التي كتبها الأخوان جريم : الأميرة والأقزام السبعة، وذات الرداء الأحمر، والذئب والعنزات السبع، وغيرها من الحكايات الشهيرة التي يعرفها الأطفال حاليا بكل لغات الدنيا .

ومن أهم حكاياتهما « حكاية الجد والحفيد» التي تحكي قصة الابن وزوجته اللذين أبعدا الجد ليأكل وحده في المطبخ،

عن موقف الأدب والأدباء من التدخين



نشرت مجلة "الفيصل" في العدد ٢٠٨ لشهر شوال ١٤١٤هـ في الباب القيّم «مناقشات وتعليقات» ، تعليقاً مطولاً للأستاذ الأخ عبدالله زنجير من مكة المكرمة، أدرجَ تحت عنوان : "هذا رأي الطب .. فما موقف الأدب ؟!"، وقد تناول الأستاذ زنجير في تعليقه موقف الأدب والأدباء من التدخين. وقد دبّج الكاتب تعليقه اللطيف إثر اطلاعه على مقال الدكتور محمد مصطفى السمري عن "التدخين وأمراضه العشرين" المنشور في العدد ٢٠٤.

بعد قراءتي تعقيب الأستاذ زنجير وتعليقه، أودُّ أن أبدي الملاحظات التالية:

(١) يستغرب الكاتب غياب دور الأدب العربي في التوعية والتوجيه باتجاه التحذير والترهيب من عادة التدخين الرذيلة، ونحن لانؤيد الأخ الكاتب في ماذهب إليه، لأن الكتّاب والأدباء والشعراء العرب تناولوا هذا الموضوع، خاصة الشعراء منهم. ودليلنا على ذلك ماأورده الكاتب في تعقيبه وتعليقه من نماذج شعرية متنوعة تناولت هذا الموضوع.

وإذا كان الأخ المعقب لم يطّلع على نماذج أدبية وشعرية كافية في هذا الموضوع، فذلك لايعني أن الأدب لم يتناول موضوع التدخين. ففي سورية مثلاً، أصدر الأستاذ عبدالقادر عياش كتاباً بعنوان : «التبغ في حياة الناس»، ذكر فيه كل شيء عن التبغ، ومصدره وتاريخه، وزراعته وانتشاره، وأدواته وطرق تدخينه، وماآل إليه من عادات وتقاليد، وماقيل فيه من شعر وكتابات ونوادر، ومن حرّموه على العامّة ... إلخ.

ومع اهتمامي بموضوع الدخان والتدخين في الأدب العربي. لم أطّلع على النماذج الشعرية التي أوردها الأخ عبدالله في تعليقه. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن الكاتب أو الباحث أو حتى القارىء النهم للمطالعة لايمكنه أن يطّلع على كل مايُكتب أو كُتِبَ في موضوع ما

في طبق من خشب، ثم فوجيء الابن بابنه الحفيد الصغير، يلهو بصنع طبق من خشب، ويقول: «عندما تكبر ياوالدي، سأجعلك تأكل من هذا الطبق الخشب، وحدك في المطبخ، مثلما فعلت مع جدي!!

والغريب أن نفس هذه القصة الألمانية، موجودة حاليا بالعربية في المكتبات المصرية، ومكتوب عليها أنها قصة عربية من لبنان !! والأعجب من ذلك، أنه مكتوب أيضاً على الغلاف أنها فازت بجائزة الدولة في أدب الأطفال، باعتبارها قصة عربية» انتهى.

كما نرسل صورة من غلاف قصة «مائدة الحب» التي كتبها الأستاذ عبدالتواب يوسف، وهو الذي نشر في مجلتكم مقالا بعنوان «لقاء الأجيال» (العدد ٢٠٩ لشهر ذي القعدة ١٤١٤هـ).

وواضح أن هذا الكتاب هو المقصود بمقال الأهرام، فعلى الغلاف مكتوب «من كل بلد عربي قصة» وأنها «قصة من لبنان» من المجموعة الفائزة بجائزة الدولة في أدب الأطفال، وقد لاحظنا أن الأستاذ عبدالتواب يوسف قد ذكر في مقاله أنها قصة كتبها تولستوي، وأن هناك من نقلها ووضع اسمه عليها .

ونترك لسيادتكم تقدير دلالة هذه الوقائع التي نبعث بها إليكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

عزة عبدالعزيز
عضو المجلس العالمي
لكتب الأطفال
القاهرة ـ مصر

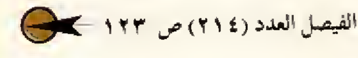
---

(٢) أخطأ الأستاذ زنجير في تعريف الشاعر الشعبي والشعر الشعبي. فالشاعر الشعبي هو الشاعر الذي يكتب باللهجة العامية، ويسمَّى في بلاد الشام ومصر بالزجّال، بينما يُسمى في الجزيرة العربية بالشاعر النبطي. والقصائد التي أوردها المعقب لاتنتمي إلى الشعر الشعبي، بل هي نُتفٌ شعرية من قصائد فصيحة، بغض النظر عن مستواها الفني. إن نظم الشعر باللغة الفصحى دون إبداع وسبك لايمكن أن يكون معياراً سليماً للتمييز بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي.

(٣) يقول المعقب إن أي شاعر من الشعراء الفحول لم يتناول موضوع التدخين والتنديد به في شعره. وهذا قول غير دقيق، فما أكثر القصائد الشهيرة التي نظمها الشعراء الفحول في هجاء التدخين! فللشاعر المهجري الكبير زكي قُنصل أكثر من قصيدة، وسبق لمجلة "الفيصل" أن نشرت مقاطع مطوّلة من قصيدته الشهيرة "السيجارة" في العدد ٩٣، بل إن وزارة التربية والتعليم في سورية أوردت في مناهج المرحلة الابتدائية جانباً كبيراً من هذه القصيدة ليحفظه الطلاب. وقصيدة "صحبي المدخنون" المدرجة في ديوان الشاعر الفحل أحمد الصافي النجفي أشهر من أن تُعرّف. والشاعر القروي رشيد سليم الخوري موقفه المعروف من الدخان والمدخنين أورده في مقدمة ديوانه، وللمرحوم محمد المُسُوتي (١٨٥٢ ـ ١٩٢٠م) قصيدة مطولة طُبعت في كراسة تحت عنوان "عقود الجواهر الحسان في بيان حرمة التبغ المشهور بالدخان" . أما عن الكتّاب الكبار ، فقد قرأت مؤخراً مقالة رائعة للأديب المرحوم يحيي حقي في كتابه "فكرة فابتسامة" بعنوان «أنا خرمان !»، وفيها يندّد بالدخان والمدخنين ! وخشية الإطالة، أُحيل القاريء المهتم بهذا الموضوع إلى مراجعة مقالتنا «حزب المدخنين» المنشورة في عدد أكتوبر ـ تشرين الأول ١٩٩٢م من مجلة "الخفجي" السعودية .

(٤) قدّم الأستاذ زنجير في تعقيبه اقتراحاً لطيفاً يقضي بجمع كل القصائد التي تندّد بالدخان والمدخنين في ديوان وتقديمه هدية إلى كل مدخّن! ونحن نعتقد أن القضاء على عادة التدخين بشكل نهائي في مجتمعاتنا لايمكن أن يتمّ بالتوعية الصحية أو بفرض الغرامات على المدخنين، ولاحتى برفع سعر علبة الدخان، لأن الواقع أثبت، ويثبتُ، فشل مثل هذه الحلول. وإن الحلّ الأمثل يكون بإصدار قوانين في كل الدول العربية، يوضع بموجبها التبغ وزراعته وحيازته وتصنيفه وتعاطيه واستهلاكه في قائمة الممنوعات، شأن المخدرات تماماً ! .

مأمون صافيا
جبلة ـ سورية



مع العاقل والمجانين



في أثناء مطالعتي لعدد صفر ١٤١٤هـ من مجلة «الفيصل» الغراء رقم ٢٠٠ وقفت عند مقال «العاقل والمجانين» وهو مقال طيب. وقد أكثر الكاتب من الاستشهاد بآي الذكر الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة، وقد قام مشكوراً بتخريج الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

ولكن لنا عليه ملاحظات في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، حيث عزا الأحاديث إلى كتاب «رياض الصالحين». وكتاب «رياض الصالحين» من أنفس الكتب وأطيبها وأنفعها، بل - والله - إني أطالب كل مسلم باقتنائه والإفادة من كنوز السنة التي يحويها، لكن العزو إليه فقط لايصح، حيث إن الكتاب يحوي أحاديث من البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وموطأ مالك. فعند العزو إلى كتاب «رياض الصالحين» دون الإشارة إلى مخرجي الأحاديث لا أستطيع أن أعرف مخرجي الحديث على وجه الدقة، لذا كان الأولى عزو الأحاديث إلى مصادرها الأساسية من دواوين السنة، أو الإشارة إلى مخرجيها من المحدثين.

وأرى من الواجب عليَّ تجاه قراء مجلة

«حتى لاندفع الثمن!»

لاتظلموا المدرسين، فليسوا المسؤولين كليًا



طالعت العدد ٢٠٦ من مجلة «الفيصل»، ولفت انتباهي في باب «على موعد» مقال للأخ الكاتب محمود رداوي تحت عنوان «حتى لاندفع الثمن!»، حيث طرح مسألة تدني المستوى التعليمي للتلاميذ، مسندًا سببه الرئيس إلى وجود معلمين غير أكْفَاء. وأعتبرُ هذا الحكم قاسيًا في حق المدرسين، لأن العملية التعليمية التربوية كما نعلم جد معقدة، يعتبر المعلم قطب الرحى فيها، ولكنه ليس المسؤول كليًا عن تدني مستوى الناشئة. بل هناك عوامل متعددة ومتداخلة مع بعضها أسهمت في هذا التدنّي. منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **ضعف في التكوين:** إن البرامج المخصصة لتكوين المعلمين تعتمد أكثر على تلقين الطالب المعلّم الطرائق البيداغوجية للمواد التي سيدرسها مستقبلاً لتلامذته، في حين نجد أن في هؤلاء الطلبة من هو في حاجة إلى مزيد من المعرفة، واكتساب مهارات جديدة تمكنه من أداء مهمته التلقينية في أحسن الظروف.
- **غياب التكوين المستمر للمعلمين:** إنها عملية

«الفيصل» ـ وأستميح كاتب المقال عذراً ـ أن أذكر التخريجات الحقيقية لهذه الأحاديث، وهي على النحو التالي:

١ ـ حديث «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل» وتكملة الحديث: «وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة». والحديث متفق عليه أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

٢ ـ حديث «فاتقوا النار ولو بشق تمرة»، هو جزء من حديث : «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة». والحديث متفق عليه أخرجه الشيخان البخاري ومسلم، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

٣ ـ حديث «أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». والحديث متفق عليه أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

٤ ـ حديث «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». والحديث متفق عليه أخرجه الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وبعد، فإني أوصي نفسي وإخواني الكتاب في مجلة «الفيصل» وغيرها تحري غاية الدقة، وتحقيق الأحاديث النبوية الشريفة وتخريجها وعزوها إلى مصادرها الأصلية، لعظم مكانة السنة وعظم كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لا يخفى على أحد. ﴿والله يقولُ الحق وهو يهدي السبيل﴾ (الأحزاب٤).

محمد نجيب لطفي

مصر ـ الفيوم ـ العدوة

مهمة وحيوية، يتعرف المربي من خلالها على ماالستجد من طرق ووسائل تربوية حديثة ومتطورة، ويجدد أيضًا معلوماته وينقحها، ويطوّر أساليبه التربوية التعليمية.

وهناك أيضًا عوامل مباشرة أسهمت هي الأخرى بحظ وافر في تدني المستوى التعليمي للأطفال، منها:

ـ غياب دور الأبوين: لاشك أن الأسرة تشكل النواة الأساسية التي تحضن الطفل، ففي كنفها يترعرع، ويتلقى المبادىء الأخلاقية، ومنها يستمد قوته وضعفه. لذا فإن أي تهاون ولامبالاة من طرف الوالدين، وأي تقصير في حق الطفل، يُعَرِّضُ هذا الأخير للتعثر الدراسي، بل للفشل أحيانًا. إنه كائن يحتاج إلى مراقبة وتوجيه، وتشجيع بشتى الحوافز، وأن نزرع في نفسه حب المطالعة، ومعانقة عالم الثقافة الرحب.

ـ المعينات التربوية وقلتها: لاأحد يجادل في أن الوسائل التعليمية سواء أكانت سمعية أم بصرية أم مقروءة، تؤدي دورًا مهمًا وفعالاً، في جعل الدروس مفهومة ومستوعبة بطريقة سهلة من طرف المتعلمين، وعدم وجود هذه المعينات التربوية، يجعل العملية التربوية تشكو من نقص واضح.

وخلاصة القول: إن العملية التعليمية لايمكن لها أن تؤتي أكلها وثمرتها، ولا تستقيم إلا بتضافر جميع القوى الغيورة، والمتخصصة في حقل التعليم من أطر عليا، وصغرى، ووضع برامج واضحة المعالم واستراتيجية تستجيب وحاجات تلامذتنا وفلذات أكبادنا.

عبد اللطيف جلاب

إقليم سطات ـ المغرب



ويأتيك بالأمثال

مَخْشُوبٌ لَمْ يُنَقَّحْ

يُضرب بهذا مثلا للشيء يُبتدأ به ولم يُهذب بعد.

والمخشوب هو المقطوع من الشجر قبل أن يصلح، ويقال « سيف خشيب» أي الذي لم يتم تهذيبه، ويقال أيضا للصقيل: «خشيب» وهو من الأضداد.

من عجائب الخلق

خلال ٢٤ ساعة فقط، يأكل الإنسان البالغ ما بين ٢ إلى ٢,٥ كيلو جرام من الطعام، ويشرب نحو ٢,٥ لتر من السوائل المختلفة، وأهمها الماء، ويُنتج ١,٥ لتر من العرق والبول، ونصف لتر ـ تقريبا ـ من اللعاب، ويُخرج نحو نصف لتر آخر من بخار الماء مع الزفير، ويتنفس ١٢٣ ألف مرة!

إحصائية

يمشي الرجل العادي بمعدل ٢٠ ألف خطوة يوميًا، أي ما يزيد على نصف المليار خطوة في ثمانين سنة، أو ما يعادل الطواف حول العالم ست مرات.

أول برقية

حملت أول برقية أُرْسلت بواسطة تلغراف مورس من مدينة واشنطن إلى مدينة بلتيمور يوم ٢٤ مايو ١٨٤٤م هذه العبارة: «هذا من فضل الله».

خوف وخوف

المخلوق إذا خفته استوحشت منه وهربت، أما الخالق إذا خفتَه آنست به وتقربت إليه.

تقسيمات اليوم

- السَّحر.
- الفجر..
- الصباح..
- الشروق.
- البُكور.
- الضحى.
- الهاجرة.
- الظهيرة.
- الرَّواح.
- العصر.
- الأصيل.
- العشاء.
- الغسق.
- العَتَمَة.

بريد وبردة

كان الرُّسل الذي يحملون الرسائل من بلد إلى آخر، يرتدون بردة (عباءة) حمراء للدلالة عليهم، ومن هنا كان مسمى المهنة «البريد»، وهي كلمة عربية الأصل مشتقة من «البُردة».

سوق عكاظ

سُمِّي «سوق عكاظ» بذلك، لأن العرب كانوا يتعاكظون، أي يتجادلون فيه ويتفاخرون. وكان يُعقد في مكان قرب الطائف لمدة عشرين يومًا كل عام، وبالتحديد من غرة ذي القعدة إلى العشرين منه.

غلطة !

ظلت لوحة «القارب» للفنان الفرنسي الشهير هنري ماتيس معلقة في متحف الفن الحديث في نيويورك بالمقلوب لمدة ٤٧ يومًا، قبل أن يكتشف مسؤولو المتحف الغلطة!

علامات الجاهل

قال حكيم: للجاهل ست علامات يُعرف بها: الثقة بكل إنسان، وعدم التمييز بين العدو والصديق، وإفشاء سِرِّه إلى كل الناس، وكثرة الكلام فيما لايعنيه، والغضب من غير شيء، ووضع الشيء في غير محله.

أشعب.. والطمع

وقف أشعب يومًا أمام رجل يصنع طَبَقًا، فقال له: أسألك بالله أن تزيد سعته طوقًا أو طوقين.

قال الرجل: وما قصدك من ذلك؟

قال أشعب: لعله يومًا يُهدى إليَّ فيه شيء!

غرائب الكون

تصل درجة حرارة الصاعقة أثناء اتجاهها إلى الأرض إلى نحو ٣٠ ألف درجة مئوية (٥٤ ألف فهرنهايت)، أي ما يعادل درجة حرارة سطح الشمس ست مرات.



آثار في مدائن صالح

من ابتغى الخير اتقى الشر

أعطى الحسين بن علي رضي الله عنهما شاعرًا مالاً، فقيل له: لِمَ تعطي مَنْ يقول البهتان، ويعصي الرحمن؟! قال: إن خَيْرَ ما بذلت منْ مالك ما وقيت به عرضك، ومَنْ ابتغى الخير اتقى الشر.

عقوبات الحاسد

قال أبو الليث الفقيه: تصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود: الأولى: غَمٌ لا ينقطع، الثانية: مصيبة لا يُؤجر عليها، الثالثة: مذمة لا يُحسد عليها، الرابعة: سَخْطُ الرب، الأخيرة: يُغلق عنه باب التوفيق.

هكذا كانوا

دخل رجل على مسلم بن قتيبة الباهلي، فَكَلَّمه في حاجة، ووضع نصل سيفه على إصبع قدم مسلم، وجعل يُكَلِّمه في حاجته وقد أدمى إصبعه، ومسلم صابر، فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف، دعا مسلم بمنديل، فمسح الدم من إصبعه وغسله، فقيل له: أصلحك الله ألا نحيت قدمك أو أمرته برفع سيفه عنها! قال: خشيت لو فعلت أن أقطعه عن حاجته.

المضحك والمبكي

قال أبو الدرداء: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث: أضحكني مُؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل لا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط ربه أم راضٍ عنه.

وأبكاني هول المطلع من أمر الآخرة، وانقطاع العمل، وموقعي بين يدي الله أيأمر بي إلى الجنة أم إلى النار.

الرضا والسخط

قال بعض الحكماء: إذا رضي الله عن العبد حَمَّله ما يُطيق ودون ذلك، ورزقه من حيث لا يحتسب، ووفقه لعمل الخير، ولم يَكِله إلى نفسه، واستنقذه من الشدائد.

وإذا سخط على العبد، حمّله ما لايطيق، وابتلاه بدَيْن لايجد قضاؤه، وأغواه بعداوة من هو أقوى منه على دنياه، وأولعه بمطامع كاذبة، وأوكله إلى نفسه، وأسلمه إلى الشدائد.

أحق منه بالسؤال

طرق سائل باب جماعة فقالوا له: يفتح الله عليك. قال: لو كسرة خبز يابس، فقالوا: ليس عندنا. قال: قليل من الحنطة أو الفول، قالوا: لاقدرة لنا على ذلك. قال: فشربة ماء.

قالوا: ومَنْ زعم أن عندنا ماء؟ قال: فما جلوسكم هنا؟ قوموا وأسالوا فأنتم أحق مني بالسؤال.

ثلاث للكمال

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ثلاث مَنْ كُنَّ فيه كَمُلَ: مَنْ إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا قَدرَ عفا وكفَّ.

المعلم جحا

يُروى أن جحا سأل يومًا طلابه. مَنْ منكم يعلم؟ فقام جميع الطلاب برفع أياديهم إشارة لكونهم يعلمون، فقال جحا: ما دمتم جميعا تعلمون فما من داعٍ إذنْ لأن أعلِّمكم، وترك الغرفة وانصرف. وفي اليوم التالي أعاد عليهم السؤال نفسه، فرفع نصف الطلاب أياديهم، فقال لهم: على الذين يَعْلَمون أن يُعَلِّموا مَنْ لا يعلمون، وتركهم وانصرف. حتى إذا جاء اليوم الثالث أعاد سؤاله عليهم، فلم يرفع أحد يده، فقال جحا: مادمتم جميعًا لاتعلمون، فأنا لا أُعَلِّم أمثالكم شيئا!

الديناصورات



الديناصور انقرض، ونشأت ديناصورات جديدة من الحديد. انظر إلى محطات الكهرباء، أو إلى محطات تحلية المياه الضخمة، تجد أن الديناصور كان - بالنسبة لها - مخلوقا صغير الحجم.

وقد اخترع اليابانيون شيئا أعظم من كل ذلك بمواد ثانوية لايُؤبَه لها؛ فهم يصنعون سدوداً للسيول من المطاط، السدُّ الواحد يعترض الأودية، ويحجزها بين جبلين، ويُخزن من المياه بحيرات واسعة. فماذا؟ وكيف؟ إنهم ينفخون هذه المطّاطات (أو المطاطيط) بمحرك كهربائي حتى تصبح مثل الجبال المضطجعة على الأودية، ثم إذا احتاجوا للمياه فتحوا صمامات مصنوعة على فجوات في هذه المطاطيط فانساب الماء بالمقدار الذي يحتاجونه. فإذا انتهى الماء كان بإمكانهم تفريغ هواء هذه السدود، واستخدامها في مكان آخر.

ديناصور جميل ومفيد، لأنه استفاد من إمكانات الطاقة العقلية التي استطاعت حجز مياه السُّحب بواسطة مادة خام هي المطاط، بتزويجها من خامة جميلة هي الهواء.

لقد سَخَّر الله لنا ما في السماوات وما في الأرض. ولكن لابد من قدح زناد العقل، للاستفادة التامة من هذه الإمكانات السماوية والأرضية.

العقل يستطيع أن يجترح العجائب، ويُركِّب الغرائب، ونحن لا نستفيد منه بشكل صحيح. ولكننا نبهر بما يصنعه اليابانيون والغربيون.. حتى اقتنعنا بأن عقول اليابانيين وشعوب الدول الصناعية أرقى من عقولنا. وصرنا ننظر إلى هذه الشعوب على أنها أرقى، وأفضل، وأكمل تنظيمًا، وأحسن تخطيطًا منا. وصرنا نقول: إن عند الغرب خططًا استراتيجية وخططًا تكتيكية، وخططا بعيدة المدى، وقريبة المدى، ونَفَسًا طويلاً، ونفَسًا قصيراً، وإن عقول الغربيين عقول مُفَكِّرة تعمل بالحقائق، لا بالأوهام، وإنها تغلبت علينا بهذه العقول.

وفجأة يأتي قائل ليقول: لماذا تؤمنون دائما بالمؤامرة، وتفسرون كل شيء على أنه مؤامرة؟ لا. لا. هذا غير صحيح. الغرب لا يتآمر ولا يخطط، ولا يفكر، ولايضع استراتيجيات ولا تكتيكات للعدوان فقط. فما هذه سوى أوهام مريضة تعشش في عقولكم.

أي إن الغرب لا يستفيد من قدراته العقلية والسياسية مادام أنه ليس عنده مؤامرات ولا تخطيطات.

أظن أن القارئ العزيز يستطيع أن يفهم لماذا انقرضت الديناصورات؟ لقد أخطأتْ في تفسير روح العصر، ومن ثَم خَرَجَتْ من كل العصور. لقد أعطانا الله العقل لكي نستخدمه. واليابانيون والغربيون يستخدمون عقولهم علميا وسياسيا وصناعيا وعسكريا. وهم يأتمرون فرادى ويأتمرون مجتمعين، ويستفيدون من الطاقات العقلية في كل مجال.

هذا ما أظنه، وفوق كل ذي علم عليم

محمد علي الجفري

العلم وقدرات الإنسان النفسية

يبحث في كنه الظاهرات الغريبة، والجاذبية التي تمارسها على الناس في كل زمان ومكان. والكتاب ثمرة استبانة شاملة وجهها المؤلفون امبروازرو، وستانلي كريبتر، وجيرالد سولفان إلى العديد من أعضاء فرق البحث المتخصصين في «السيكولوجياالمقاربة» في شتى القارات، الإصدار جديد في موضوعه ومنهجه، اذ يؤكد أن الظاهرات الغريبة التي ينظر إليها الإنسان بدهشة واستغراب يمكن إخضاعها لأساليب البحث العلمي ومناهجه وأدواته.. ويتناول المؤلفون ظاهرات التواصل التي يجمعها مصطلح الإدراك فوق الحسي: التخاطر، البصيرة، المعرفة المسبقة، المعرفة الراجعة، والظاهرات التي تنتج من تأثير الفكر في المادة كعملية ليِّ المعادن، وظاهرات الشفاء قرب الطبيعة، والشفاء عن بُعد.

الكتاب يقع في ٤٤٤ صفحة من القطع الكبير، ومكتوب في الأصل باللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم تُرجم إلى اللغة الفرنسية، وترجمه عن الفرنسية إلى اللغة العربية وجيه أسعد.

أدبنا الضاحك

كتاب يبحث في فلسفة الضحك عمومًا، وأسراره ومبعثه عند العرب خصوصًا، يسلط فيه المؤلف عبد الغني العطري الضوء على جانب من الأدب العربي ظَلَّ مُهملاً، وقد استدعى ذلك الرجوع إلى أمهات كتب التراث للوقوف على العديد من النوادر والقصص والطُّرف، وتقديمها للقارئ، لمحو الاعتقاد المغلوط السائد: «أن الأدب العربي لا يتناول إلا القضايا الجدية، ولا يدرس سوى أغراض الشعر المعروفة كالمديح، والهجاء، والغزل والرثاء، والوصف، دون الطُّرفة، والنادرة».

عالج المؤلف في ١٢ فصلاً موضوعات، مثل: «مضحكو العرب»، «النثر الضاحك»، «الهجاء الضاحك المضحك»، «الطفيليُّون الضاحكون»، «الضحك مع المغفلين والحمقى»، «الأدب الضاحك في عصر الانحطاط»، «الضحك في الأدب الحديث»، كما أفرد ملحقًا لمختارات من التراث الضاحك.

الكتاب صدر في طبعته الثانية المنقحة عن دار البشائر في دمشق، ويقع في ٣٦٥ صفحة من القطع الكبير.

أحمد محمد جمال رجل الدعوة والفكر

يقدم زهير محمد كتبي سيرة فكرية وثقافية عن الشيخ أحمد محمد جمال - يرحمه الله - معرِّفًا بإنجازات، وأعمال، ومؤلفات، وفتاوى هذا المفكر السعودي الذي توفي في عام ١٤١٣هـ . يحتوي الكتاب سردًا مفصلاً عن نشأة أحمد محمد جمال، ووفاته، وقائمة بمؤلفاته، واستعراضًا لإسهامه في مجالات الأدب والتاريخ الفكري الإسلامي، كداعية ومثقف، كما يحوي على آراء العديد من المثقفين، وتقويمهم لعطاءات الفقيد. ويقدم المؤلف نماذج من القضايا العربية والإسلامية التي شارك فيها الشيخ أحمد جمال بقلمه عبر الصحف والمجلات، واتخذ بشأنها مواقف محددة ظل ينافح عنها بثبات. ويختتم المؤلف كتابه بملحق من الأرشيف يسجل بالصور لقاءات الفقيد، في مراحل مختلفة من عمره، بالمسؤولين والأدباء والمفكرين في المحافل الدولية والإقليمية والمحلية.

الكتاب يقع في ٢٥٤ صفحة من القطع الكبير، وصدر في جدة، عام ١٤١٥هـ.

البلغة في أحاديث الأحكام

قام مركز جمعه الماجد للثقافة والتراث بدبي بتكليف لجنة من الأساتذة والخبراء للإشراف على تحقيق الكتب التراثية، وتقديم الصالح منها للنشر كمبادرة لمواجهة ظاهرة الطبعات السقيمة لأسفار جليلة المضمون، يقوم بتحقيقها غير المتخصصين.

والإصدار الذي نحن بصدده إخراج جديد للسِّفر المسمى: «البُلغة في أحاديث الأحكام بما اتفق عليه الشيخان»، للإمام الفقيه سراج الدين أبي حفص بن عمر بن علي بن الملقِّن المعروف بـ «ابن النحوي»، وهو مختصر لكتابه الشهير: «تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج»، يشتمل على أصح الأحاديث النبوية الشريفة، مما اتفق عليها الشيخان البخاري ومسلم، أو إفراد أحدهما، وأحاديث عند غيرهما مما لم يوجد عندهما - وقد حققه وخرَّج أحاديثه محي الدين نجيب - ويحتوي الكتاب على ترجمة المؤلف، ومصنفات أعماله، وأسماء مشايخه وتلاميذه.

الكتاب يقع في ٢١٨ صفحة من القطع الكبير، وقد صدر عن دار البشائر في دمشق.

الأخدود

مجموعة قصصية للقاص المغربي عبد المجيد بن مسعود تحتوي على ١٨ أقصوصة، تتسم أحداثها بعدم التحديد، ويطغى فيها الموقف على الحدث في معالجات الكاتب للقضايا المعاصرة التي تؤرق مجتمعه، كما تغيب «روح الحكاية» في الأقاصيص. ويسعى الكاتب إلى تعويض ذلك أحيانا بتكثيف الحديث الداخلي النفسي «المنولوج»، وإيراد لمحات ترجع إلى أحداث ووقائع تاريخية كما في أقصوصة «وراء السراب». وبالرغم من أن أقاصيص المجموعة محتشدة بالمحبطات الباعثة على التشاؤم، فإن الكاتب لايوصد أبواب الأمل في رؤية واقع جديد.

خصص الكاتب ريع مجموعته القصصية لصالح مسلمي البوسنة والهرسك.

الكتاب صدر عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ويقع في ٦٢ صفحة من القطع الصغير.

العقل الأدبي

تأليف أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، يقدم الكاتب عبر مقدمة وستة فصول دراسات نقدية وتنظيرية في الأدب مع التركيز ـ بوجه خاص ـ على الحداثة والتراث. ففي، الفصل الأول يقدم تصنيفًا للأدب يتبعه في الفصل الثاني بحديث عن «منهج المنهج»، ثم يتناول ما أسماه بـ «حداثة المخلاة»، ثم يقدم مجموعة ظواهر حداثية، ويختتم الفصل الأخير باستعراض هموم نقدية. وقد ألحق المؤلف بالكتاب قائمة بأسماء المصادر والمراجع فضلاً عن فهرس تفصيلي.

الكتاب صدر في طبعته الأولى عام ١٤١٤هـ، عن مطبوعات نادي القصيم الأدبي ببريدة، ويقع في ٢٧٧ صفحة من القطع الوسط.

من بدائع الأدب الإسلامي

دراسة نقدية لنصوص من الخطابة والقصة والشعر، عالجها الدكتور محمد بن سعد الدبل من خلال ثلاثة فصول. ويحتوي الكتاب نقاشا مستفيضاً عن فنون الرسائل والوصايا والعهود، كما يستعرض المؤلف موضوعات القصة الإسلامية وخصائصها الفنية، ويُتْبِعُها نصوصاً من الشعر، فيناقش موضوعات وخصائص الشعر الإسلامي، كما يتناول بالتحليل موقف الإسلام من الشعر، ويُورد شواهد توضح الصلة بين القرآن الكريم والأدب الإسلامي، ومدى إفادة الأدباء المسلمين من هذه الصلة، ويقدم نماذج من أعمال الأدباء ممن يتصف أدبهم بالنزعة الإسلامية، وفي ذلك يؤكد د. الدبل أنه «إذا كان الأدب الهادف يرقى بالوجود، وبإنسانه من خلال الخصائص الفنية لأي لون من ألوانه، فإن من أجلّ خصائص الأدب الإسلامي: المثالية، و الواقعية، والالتزام.وهذه الخصائص ذات أثر كبير في توجيه الأدب والأديب».

الكتاب صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي، وهو رقم «٦٧» في سلسلة إصداراته، ويقع في ١٧١ صفحة من القطع المتوسط.

المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد عبد القادر فقيه

يقول الأديب عبد العزيز الرفاعي ـ رحمه الله ـ في تقديمه للأعمال الكاملة للشاعر محمد عبد القادر فقيه: «إن النماذج التي قدمها الشاعر في قصائده، تدل دلالة كافية على المجالات الشعرية التي خاض غمارها، وتُعبِّر عن نوازعه التي منح القارئ أطرافًا منها في ديوانه الأول: «أطياف من الماضي» ـ الذي نجده ضمن هذه المجموعة ـ كما يقدم الشاعر نفسه تقديما كاملاً، ويعطي الفرصة لمؤرخي الأدب والشعر للتعرف على دقائق من مراحل الشعر في المملكة العربية السعودية وبخاصة في منطقة الحجاز ، وفي مكة المكرمة بصفة أخص»

تقع المجموعة (الطبعة الثالثة) في ٩٣٥ صفحة من القطع الصغير، وأثبت الشاعر في مُغلف مجموعته بعضًا من التناولات النقدية التي استقبل بها الأدباء ديوانه الأول.

مفاهيم وتطبيقات في السلوك الإداري

يتحدث عن الجوانب السلوكية في العملية الإدارية، ويقدم المصطلحات المتخصصة في صورة مبسطة من خلال تناول بعض الأفكار حول قضايا إدارية محددة، كما يلقي الضوء على عدد من المفاهيم الإدارية مثل: إدارة الوقت، اتخاذ القرار، تقويم الأداء، الحوافز، فريق العمل، المشاركة والمشاركة العكسية، الرقابة الذاتية، سلوك القدوة. والكتاب لايقدم دراسة علمية عن عناصر العملية الإدارية، لكنه يتحدث عنها في سياق اشتراطات يرى المؤلف أنها مطلوبة لتفعيل العملية الإدارية وتحقيق الأهداف، ويؤكد ذلك من خلال بعض الحالات التطبيقية المناسبة لمجال التدريب الإداري.

الكتاب من تأليف يوسف محمد القبلان، ويقع في ٢٤٩ صفحة من القطع الكبير، صدرت طبعته الثانية عن العبيكان للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ.

مسابقة مجلة
الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة . مجلة الفيصل،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢١١)

ج١ : وردت في القرآن الكريم آيات عدة تصوِّر مراحل خلق الجنين، وتطور نموِّه. ومن هذه الآيات ماورد في سورة المؤمنون (الآيات ١٢ ــ ١٤)، وفي سورة الإنسان (الآية : ٢)، وكذلك في سورة القيامة (الآيات ٣٧ ـ ٣٩). وفي سور أخرى من القرآن الكريم.

***

ج٢ : الاجتهاد، عند علماء الأصول، مصطلح يقصد به أن يبذل المجتهد قصارى جهده في استنباط حكم شرعي ظني من دليله. فلا اجتهاد فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولااجتهاد فيما هو قطعي الثبوت والدلالة.

وقد اتخذ الاجتهاد صورًا متعددة، من المشاورة والاتفاق والإجماع، ثم نشأت مدارس مختلفة منها مايفضل الوقوف عند الأثر، ومنها ما يجتهد بالرأي. ثم اتسعت دائرة الاجتهاد مع أوائل القرن الثاني الهجري بعد نشوء المذاهب الفقهية الكبرى وبدء تدوين الفقه وأصوله.

نتائج مسابقة العدد (٢١١)

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، أحمد صالح إبراهيم الجطيلي، القصيم ـ المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، عطيات محمد مصطفى، بورسعيد ـ مصر.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، كوثر عوض محمد عمر، ودمدني ـ السودان.

***

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من :

١ـ إدريس الحاج أحمد السقاط، مراكش ـ المغرب.

٢ـ كريمة بنت عبد الكريم الآغا، حلب ـ سورية.

٣ـ ابن يحيى عباس، المسيلة ـ الجزائر.

٤ـــ وصفية علي أحمد سليمان، عمّان ـ الأردن.

٥ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد الرقيبة، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية.

***

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد(١٢ عددًا)، كل من :

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٢١٤)
للاشتراك املأ هذه القسيمة

الاسم : ....
المهنة : ....
العنوان : ....

أما أركان الاجتهاد فهي ثلاثة : المُجتَهِد، والمُجتَهَد فيه، والاجتهاد نفسه . ولها تفصيلات عديدة مبسوطة في مظانها، فليراجعها من يشاء.

***

ج٣ : هو الصحابي الجليل «أُبَيّ بن كعب بن قيس» (ت : ٢٠هـ : ٦٤٠م) . وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أقرأ الصحابة لكتاب الله . وكان رضي الله عنه قارئًا وفقيها بالقرآن ، كما اشتهر بالعلم ورجاحة العقل .

***

ج٤ : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

تأليف أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني .

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : تأليف أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي .

الصادح والباغم : تأليف محمد بن محمد بن الهبارية .

***

ج٥ : تمثال الحرية أقدم بناءً من برج إيفل ؛ إذ بُني الأول في عام ١٨٨٤م ، أما الثاني فقد شرع في بنائه عام ١٨٨٧م . وقد صممهما المهندس الفرنسي ألكسندر جوستاف إيفل .

اسئلة مسابقة العدد (٢١٤)

السؤال الأول :

يستحب للمسافر إذا خرج من بيته أن يدعو بما هو مأثور. اذكر دعاءين مما كان يدعو به الرسول صلى الله عليه وسلم حال سفره .

***

السؤال الثاني :

حرّم الإسلام الغَصْب ، وهو أخذ شخص حق غيره والاستيلاء عليه عدوانًا وقهرًا . اذكر حديثين شريفين في تحريم الغصب .

***

السؤال الثالث :

صحابي جليل ، صلبه المشركون ثأرًا لقتل أحد رؤسائهم ، قيل له قبل الصلب « أتحب أن محمدًا مكانك ، وأنت في أهلك سليما معافى؟» من هو، وبماذا أجابهم؟

***

السؤال الرابع :

شاعر، قُتل على شعر قاله في هجاء أحد الخلفاء . من أشهر أبياته وأرقها :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

من هو؟

***

السؤال الخامس :

كان غزو هتلر لإحدى الدول الأوربية سببًا في اشتعال الحرب العالمية الثانية بين دول المحور والحلفاء . ماهي هذه الدولة؟

١ـ منيرة بنت حسن بوعرادة، سوسة ـ تونس .

٢ـ أحمد عبد الرازق أبو العينين، الدقهلية ـ مصر.

٣ـ سعد أحمد سعد، الدوحة ـ قطر.

٤ـ ميمونة ممدوح القطان، عمّان ـ الأردن .

٥ـ العربي عبد القادر، المسيلة ـ الجزائر.

٦ـ وليد سالم عيد سالم الحجوري، ينبع البحر ـ المملكة العربية السعودية .

٧ـ فوزي محمد حسن العشري، الدقهلية ـ مصر.

٨ـ محمد عبد الغني محمود، عمان ـ الأردن .

٩ـ فاغية أحمد ميان الزبيدي، ينبع البحر ـ المملكة العربية السعودية .

١٠ـ فاتن حسني حافظ شاهين، الدقهلية ـ مصر.

***

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من :

١ـ بلبلي مبروكة ، الطارف ـ الجزائر.

٢ـ محمد إدريس السندي، السند ـ الباكستان .

٣ـ نضال محمد سليم اعبيد، أدلب ـ سورية .

٤ـ خلود عبد الرحمن خضر، عمّان ـ الأردن .

٥ـ العربي محمد مفتوح ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

قصة من فرنسا

رعشة

تأليف: جي دو موباسان

ترجمة: د. ناول عبد الهادي

دخل رواد الفندق إلى صالة العشاء في هدوء، ثم أخذوا أماكنهم فشرع الخدم في خدمتهم على مَهل كي يتبحوا للمتأخرين منهم أن يتناولوا العشاء بدورهم.. وكان المُستَجِمُّون الذين اعتادوا نزول هذا الفندق من قبل ينظرون باهتمام إلى الباب كلما فُتِحَ أملاً منهم في رؤية وجوه جديدة.

وسط هذه الحياة المزدحمة التي تضفي على جيراننا وعلى الغرباء اهتماما خاصا. نحس بالنفور لأسبوع ونتمتع بالصداقة لشهر، وننظر إلى الناس من زوايا مختلفة. وقد نهتدي فجأة في حوار قصير ذات مساء على مائدة العشاء، أو تحت أشجار الحديقة، أو قرب ماء العين المنهمر أن في الناس ذكاء عاليا، ثم يمُرُّ شهر فننسى أولئك الأصدقاء الجدد.

في هذا الوسط تتكون العلاقات المتينة ويلتقي الروّاد فيها بينهم طيلة النهار.. وكثيرا ما نتعارف بسرعة ونحتفظ بذكريات عزيزة لهذه الساعات والمحادثات الأولى من صداقاتنا الأولى التي تكشف عن النفس، وتلك النظرات المتسائلة والمجيبة عن الأفكار الخفية التي لا يقوى اللسان على التلفظ بها، كما نحتفظ بذلك الشعور الجميل ونحن نفضي بما في قلوبنا إلى أناس نَظُنُّ أنهم أسَرُّوا إلينا بما في أعماقهم.

في هذا المساء، كبقية الأماسي، كنا ننتظر دخول وجوهٍ جديدة، فلم يدخل غير اثنين لكنهما كانا غريبين حقا: رجل وامرأة... أب وابنته. فتذكرت أبطال إدجار ألن بُو مع أن عليهما مسحة من جمال حزين. كان الرجل نحيفا منحني القامة قليلا، شعره الأبيض يتناقض مع سحنته الشابة، أما هيئته فكان عليها شيء من الخطورة.. وكانت الفتاة في سن الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين ضعيفة شاحبة يبدو على محياها الإرهاق والإعياء، وكم مرة نصادف أناسا من هذا النوع فيبدون لأعيننا كأنهم أضعف من أن يتحملوا أعباء الحياة وضروراتها.. كانت الفتاة المتوسطة الجمال تأكل ببطء. كما لو أنها لا تقوى على تحريك ساعديها، فلم أشك في أنها هي التي جاءت للاستشفاء في المياه المعدنية.

كانا يجلسان قبالتي في الجهة الثانية من المائدة، فلاحظت بغتة أن الأب يأتي برعشة عصبية خاصة.. كان كلما هَمَّ بتناول شيء ترتعش يده بسرعة قبل أن يلمس الشيء الذي يريد أخذه، ومرت لحظات فامتعضت من حركة الرجل وأدرت رأسي كي لا أراه، وعنت مني التفاتة فلاحظت أن الفتاة تحتفظ بقفاز يدها اليسرى أثناء الأكل.

بعد العشاء خرجت لأتجول في حديقة المؤسسة القائمة حول المياه المعدنية على سفح الجبل الشامخ الذي تنبجس منه عيون كثيرة ماؤها من أعماق البراكين القديمة، كان الجوُّ شديد الحرارة وكنت أذرع الوادي الظليل مصغيًا إلى الحفيف الذي



يسود الحديقة وإلى موسيقى الكازينو المجاور، فأبصرت الرجل وابنته قادمين نحوي في خطى وئيدة، فحيَّيتهما كما يُحيِّي رواد الفندق جيرانهم لكن الرجل وقف فجأة وسألني :

- ألا يمكنك يا سيدي أن تدلنا على كيفية القيام بنزهة قصيرة سهلة جميلة إن كان بالإمكان . . ؟ واسمح لي بالاعتذار عن هذا الإزعاج .

فتطوعت بقيادتهم إلى الوادي حيث يتدفق جدول صغير بين مُنْحَدَرَيْنِ عظيمين، ثم أخذنا نتجاذب الحديث حول صلاحية المياه المعدنية، فقال الرجل :

- أواه، إن ابنتي مصابة بمرض عجيب حِرْنا في تشخيصه، فهي تعاني من تشنجات عصبية غريبة . نظن حينا أنها مصابة بداء القلب، وحينا آخر نظن أن بها مرض الكبد، والآن قِيل أنها تعاني آلامًا في المعدة . . هذا هو السبب في مجيئنا إلى هنا، لكني أعتقد أنها تعاني من مرض الأعصاب . على كل حال فهي حزينة جدًا .

فتذكرت لِلتَّو رعشة يده العنيفة، وسألته :

- قد يكون ما بها وراثيًا؟ ألست أنت أيضا تتألم من مرض الأعصاب؟

فأجاب بهدوء :

- أنا؟ أبدًا . . لقد كانت أعصابي دائما هادئة . . ثم استطرد يقول :

ـــ ربما أضلَّتك حركة يدي كلما هممت بأخذ شيء . فإني أُصِبْت بهذه الرعشة بعد حادث رهيب مررت به . . تصور يا سيدي أن هذه الفتاة قد دُفِنَت حية!

فلم أجد ما أقوله غير «آه»! تأثرًا واستغرابًا .

ومضى يحكي :

ـــ هذه هي القصة : إنها بسيطة . ، كانت جوليت مصابة بعدة حوادث أثّرت في قلبها، فحسبنا أنّ بها داء القلب، لذلك اخذنا نترقب كل الاحتمالات .

وذات يوم جاؤوا بها إلى البيت باردة لا تؤتي حراكًا، فقد كانت جثة هامدة وسط الحديقة قبل أن يحملوها .

وجاء الطبيب وفحصها، وسهرت بجانبها يومًا كاملاً وليلتين، ثم حملتها بنفسي في نعشها حتى المقبرة حيث دفنتها في القبو المخصص للعائلة، مع كل المجوهرات والعقود والخواتم وجميع الهدايا التي أهديتها لها، فقد كان ذلك مطلبي .

ولعلك يا سيدي تستطيع إدراك حالتي النفسية إذ ذاك إثر عودتي إلى البيت أنا الذي لا أحد لي سواها، فزوجتي كانت قد تُوفيت منذ زمن طويل . دخلت غرفتي وحيدًا شبه مجنون وألقيت بجسمي على الأريكة دون تفكير ولا قوة .

ثم دخل خادمي العجوز «بروسبير» الذي ساعدني على تكفين جوليت وإيداعها المرقد الأخير وسألني :

ـــ هل يرغب سيدي في تناول شيء؟

فأومأت له برأسي أن «لا» دون أن أنبس بكلمة . فأردف يقول : لقد أخطأ سيدي فقد يحيق به مكروه . . أولا يريد سيدي أن أساعده لينام في سريره؟

فأجبت :

ـــ لا . . اتركني

فانسلَّ وخرج .

لست أدري كم مَرَّ عليّ وأنا في حالتي تلك، كانت ليلة ليلاء، البرد فيها قارس وريح الشتاء المثلجة تصفق على النوافذ في حركة رتيبة . وفجأة دق ناقوس الباب الخارجي فتحركت في جلستي، ثم عاد الناقوس يُدَوِّي في رحاب القصر الخالي وكأنه منبعث من قبو . . كانت الساعة الثانية صباحًا فتساءلت : مَن ياتُرى سيقدم في هذه الساعة من الليل؟ ودق الناقوس مرتين من جديد فأخذت شمعة ونزلت السلم قائلا :

ـــ من هناك؟

لكني خجلت من ضعفي فجذبت المزلاج الكبير وقلبي يخفق بعنف فقد كنت خائفًا . ولمّا فتحت الباب رأيت في الظلام هيئة بيضاء تشبه الشبح فتراجعت والقلق يعصرني وسألت :

ـــ من . . من . . من أنت؟

فأجابني صوت :

ـــ إنني أنا يا أبي . !

لقد كانت ابنتي .

أذهلتني المفاجأة وَخشِيتُ أن يكون بي خبل فتراجعت إلى الخلف أمام الشبح محاولاً أن أتَّقيه بيدي، ومنذ تلك الليلة لازمتني هذه الرعشة التي رأيتها منذ قليل والتي لم تفارقني حتَّى الآن . .

ثم اسْتَأنَفَتْ ابنتي تقول :

ـــ لاتخف يا أبتي فإني لم أمتْ، وإنما أرادوا سرقة خواتمي فقطعوا أصبعي ولما سالت الدماء استعدت حيويتي . وأحسست - يقول الأب - أنّها فعلا غارقة في الدماء، فركعت على رُكْبَتَيَّ مختنقًا منتحبًا حتى إذ استعدت هدوئي أصعدتها إلى غرفتي وأجلستها على أريكتي، ثم ناديت «بروسبير» بدقات متتالية على الجَرَسِ ليُشْعِلَ النّار ويهيئ الشراب، فجاء يعدو لكنه ما إن لمح ابنتي حتى فغر فاه وسقط على ظهره ميتا . لقد كان بروسبير هو الذي فتح القبو وبتر الإصبع لكنه لم يحتط فيرد النعش إلى مكانه لعلمه اليقين أن من المستبعد أن أتهمه .

ألا ترى يا سيدي كم أننا سيئو الحظ؟ .

وسكت الرجل .

كان الليل قد بدأ ينتشر فَيُغْرِق في ظلمته الوادي الصغير الحزين، فاعترتني رعشة خوف خفية وأنا بجانب هذين المخلوقين الغريبين : بين هذه الميتة المبعوثة وذلك الأب ذي الحركات المفزعة .

ولما لم أجد ما أقوله تمتمت :

ـــ ما أفظعه من حادث!

ثم أضفت بعد حين :

ـــ من الأفضل أن نعود فالجوّ بارد .

ورجعنا إلى الفندق .

ترجمة الإبداع السعودي إلى الفرنسية

مهرجان أصيلة يكرم الأديب السوداني الطيب صالح

افتتاح أول جامعة إسلامية في لوس أنجلوس

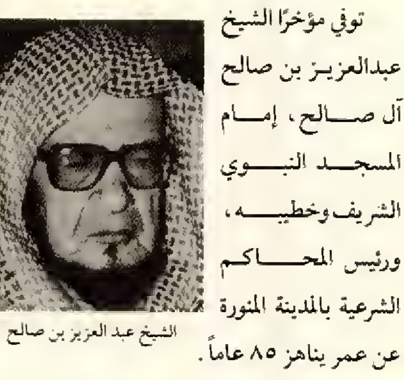
الأهرام تنظم ندوة «مشروع حضاري عربي»

إلغاء حرفين من اللغة الإسبانية

السعودية

وفاة إمام المسجد النبوي وخطيبه

توفي مؤخرًا الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل صالح، إمام المسجد النبوي الشريف وخطيبه، ورئيس المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة عن عمر يناهز ٨٥ عاماً.


الشيخ عبد العزيز بن صالح

والفقيد من مواليد المجمعة عام ١٣٣٠هـ، وتوفي والده وهو صغير، فكفله أخوه، ودرس في كُتّاب الشيخ أحمد الصانع، حيث أتم حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة، ثم تلقى علومه على يد الشيخ عبدالله العنقري قاضي المجمعة، والشيخ عبدالله بن عبدالوهاب الزاحم، والشيخ محمد الخيال.

وعُيِّن عام ١٣٦٣هـ قاضياً في مدينة الرياض، ثم نقل إلى المدينة المنورة للعمل مع الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب الزاحم، وفي عام ١٣٦٨هـ عُين بموافقة الملك عبدالعزيز إماماً للمسجد النبوي وخطيباً له، وظل يتولى هذه المهمة لمدة تصل إلى ٤٥ عاماً. كما تولى عام ١٣٧٤هـ رئاسة المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة، وكان - يرحمه الله - عضواً في الهيئة العامة لمجلس القضاء الأعلى، وهيئة كبار العلماء.

تنفيذ الاتفاقية العالمية لحماية الحقوق الفكرية

بدىء - مؤخراً - في تطبيق مواد الاتفاقية العالمية لحماية الحقوق الفكرية، بعد أن صدرت الموافقة السامية على انضمام المملكة العربية السعودية إليها، ونبهت الإدارة العامة للمطبوعات في وزارة الإعلام محلات بيع برامج الحاسب الآلي وألعابه، ومحلات بيع الأشرطة السمعية والبصرية وتوزيعها (الاستوديو والفيديو) إلى ضرورة احترام حقوق الملكية الفكرية، مؤكدة على أن الوزارة ستقوم بحماية هذه الحقوق مع تشديد العقوبات على مَنْ يتعدى عليها.

وكانت السعودية قد أصدرت عام ١٤١٠هـ نظاماً لحماية حقوق المؤلف، لايزال ساري المفعول، وسيكون مرجعاً في تطبيق الاتفاقية العالمية التي تشمل المواد المقروءة والمسموعة والمرئية بأشكالها كافة.

نشاط متحفي

يشهد قطاع المتاحف حركة نشطة، تتجه إلى إنشاء متاحف جديدة وتجديد أخرى، وتحويل بعض القصور التاريخية إلى متاحف.

ففي الرياض تجري اللمسات الأخيرة، على قصر المصمك، ليتحول إلى متحف عن تاريخ مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - وتاريخ المملكة، نظراً للأحداث الكبيرة التي شهدتها أروقة هذا القصر خلال مرحلة التأسيس.

وفي جدة يجري تجهيز قصر خُزام بالمقتنيات الأثرية وترتيبها فيه، تمهيداً لافتتاحه مع نهاية صيف هذا العام.

وافتتح متحف قصر شُبرا في الطائف بعد انتهاء العمل من تجهيزه بوصفه متحفًا إقليميًا، وبدأ في استقبال الزوار.

وفي مكة المكرمة أسس أول متحف من نوعه لزهور مكة ونباتاتها وطيورها وحيواناتها، يضم

ماانقرض منها في صورة محنطة، وماهو موجود حالياً في صورته وبيئته الطبيعية، ليكون مرجعاً شاملاً لطبيعة مكة المكرمة والحياة فيها قديماً وحديثاً.

جائزة جمعية رعاية الأطفال المعاقين

دعت الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين الجامعات والكليات التي تهتم برعاية المعاقين، وكذا مراكز البحث والجمعيات والمنظمات والمراكز العلمية المحلية والعربية والعالمية المهتمة بالإعاقة، إلى ترشيح من تراه مستحقاً لجائزة الجمعية في مجال البحث العلمي.

واشترطت الجمعية أن يكون المرشح قد أعد بحثاً تطبيقيًا عن مشروع غير مسبوق للوقاية من الإعاقة أو العلاج أو التأهيل، ولم يسبق تقديمه لجهات أخرى أو نال صاحبه جائزة عنه، وإذا كان البحث دراسة لبرنامج أو تحليلاً لجهاز أو عقار، يجب أن يكون الباحث الرئيسي أحد المشاركين الرئيسيين في هذا المشروع، أما إذا كان البحث يتناول أجهزة وأدوات فيجب أن تكون مرتبطة - بشكل مباشر - بالوقاية أو التأهيل أو العلاج لأحد أنواع الإعاقة، وثبوت نجاحها العلمي والوظيفي.

وتحدد يوم السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة ١٤١٥هـ (٣٠ نوفمبر ١٩٩٤م) موعداً نهائياً لاستقبال الأعمال المرشحة على عنوان الجمعية (ص.ب ٨٥٥٧ الرياض ١١٤٩٢). وسيتم الإعلان عن أسماء الفائزين في حفل خاص يقام في شهر شوال ١٤١٥هـ (مارس ١٩٩٥م).

تمنح هذه الجائزة للأشخاص والشخصيات الاعتبارية من داخل المملكة العربية السعودية، وتتكون من ميدالية ذهبية تحمل اسم الجمعية وشعارها، وشهادة تقدير، ومنحة بحثية تصل قيمتها إلى ٥٠٠ ألف ريال تصرف للبحث العلمي في مجال الإعاقة وفقاً لضوابط محددة، ويحتفظ الفائز بالجائزة بحقه في براءة الاختراع للوسائل والأجهزة والعقاقير التي مُنح بموجبها الجائزة، وكل المميزات الأخرى الخاصة بالاختراع.

كشف أثري

اكتشفت شمال مدينة عنيزة بالقرب من مستشفى الملك سعود نقوش مهمة متنوعة بحالة جيدة أغلبها يمثل نقوشا لحيوانات.

ويجري قسم الآثار بإدارة تعليم عنيزة مسحاً لمنطقة جبل الصنقر، حيث يتوقع أن يسفر البحث عن اكتشاف مزيد من النقوش، خاصة بعد ماأكدت اكتشافات موقع درب زبيدة أن عنيزة كانت مأهولة بالسكان في العصر الهلنستي.

ترجمة الإبداع السعودي إلى الفرنسية

تنوي الرئاسة العامة لرعاية الشباب تنفيذ مشروع ثقافي يهدف إلى التعريف بالأدب السعودي عالمياً، من خلال ترجمة مجموعة من الإبداعات الشعرية والقصصية السعودية إلى اللغة الفرنسية، بإشراف مجموعة من النقاد والأكاديميين السعوديين.

تشرف على المشروع إدارة الأندية الأدبية في الرئاسة، التي تسعى لأن تكون النماذج المختارة ممثلة للفكر والأدب السعودي، ومستوعبة لمختلف التوجهات.

معرضان لفناني عسير والرياض

استضافت قرية المفتاحة بمركز الملك فهد الثقافي في عسير معرضين تشكيليين جماعيين أولهما لفناني منطقة عسير، والثاني لفناني مدينة الرياض في شهر صفر الماضي.

ضم معرض فناني عسير نحو ثمانين لوحة قدمها ٢٥ فناناً، فيما قدم ستة من فناني الرياض قرابة ستين لوحة.

عبرت الأعمال المشاركة عن مختلف المدارس الفنية واتجاهاتها.

الفائزون في مسابقة أبها

أعلن نادي أبها الأدبي أسماء الفائزين في مسابقته الثقافية الرابعة والعشرين في مجالات البحوث والشعر والقصة القصيرة.

تقدم لمسابقة البحوث ٣٣ متسابقًا ومتسابقة، وأسفرت نتائجها عن فوز مصطفى يعقوب عبد رب النبي بالجائزة الأولى، تلاه مصطفى محمد أحمد رجب، ثم أسماء أبوبكر محمد.

وشارك ٦١ شاعراً وشاعرة في مسابقة الشعر التي جاءت نتائجها على النحو التالي: الأول جاسم محمد أحمد الصحيح، الثاني محمد محمد القرني، الثالث محمد علي النعمي.

وفي مجال القصة القصيرة تقدم ٥٢ متسابقاً ومتسابقة بمجموعات قصصية، وفاز بالمركز الأول أحمد هيبة، ثم صباح محمد محمد حسن وسمير أحمد الشريف في المركزين الثاني والثالث.

كتب جديدة

"حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة" تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، صدر مترجماً باللغة الألبانية عن لجنة أوروبا الشرقية في الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

"تلوث البيئة وكيف عالجه الإسلام" تأليف د. محمد أحمد رشوان، صدر ضمن سلسلة «من ينابيع الثقافة» عن الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

"همس الدموع" ديوان للشاعر د. عبدالله علي الحسيني البركاتي، صدر عن نادي مكة الثقافي الأدبي.

"ندوة الرفاعي" تأليف د. عائض الردادي، صدر عن دار الرفاعي في الرياض.

"المجالس الأدبية في الأندلس" تأليف د. عبدالله علي ثقفان.

"الغطاء النباتي الطبيعي في الإقليم الجنوبي الغربي" تأليف فريدة محمد حسن قدح.



صدر الكتابان السابقان عن نادي أبها الأدبي.

"زمزم والزمازمة" تأليف فيصل محمد أحمد عبيد زمزمي، صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية.

الإمارات

ندوة عن طرق اكتشاف الموهوبين

ينظم مكتب التربية العربي لدول الخليج بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة ندوة في دبي خلال الفترة من ١٤ إلى ١٦ ربيع الآخر الجاري (١٩ إلى ٢١ سبتمبر ١٩٩٤م) تحت عنوان "أساليب اكتشاف الموهوبين ورعايتهم في التعليم الأساسي بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية".

ترمي الندوة إلى تطوير العلوم التربوية وتأصيل مناهجها، وتجديد مؤسساتها، والتعرف على طرق اكتشاف الموهوبين ورعايتهم، وأفضل السبل لتحقيق ذلك.

قسم لمكافحة السرقات الأدبية

شكلت وزارة الإعلام والثقافة قسماً خاصاً للإشراف على تطبيق قانون حماية المؤلفات الفكرية والإنتاج الأدبي والفني، والذي يبدأ العمل به اعتباراً من شهر سبتمبر الجاري.

مجموعة العمل بالقسم خضعت لدورات تأهيلية وتدريبية حول كيفية اكتشاف السرقات وضبطها، وقد اختيرت بعناية ودقة.

سلطنة عمان

الملتقى الأدبي الخليجي

اختتم في غرة شهر ربيع الأول الماضي ١٤١٥هـ الملتقى الأدبي الثالث لدول مجلس التعاون الخليجي.

نظمت الملتقى هذا العام وزارة التراث القومي والثقافة العمانية، وشهد لقاءات ثقافية بين أدباء دول مجلس التعاون وشعرائها، وأمسيات شعرية وقصصية.

مصر

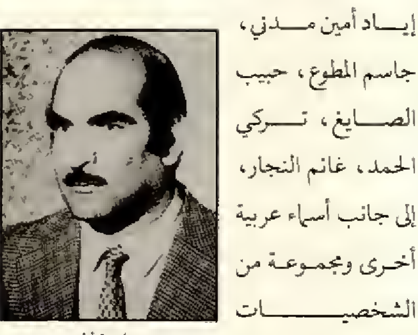
ندوة: مشروع حضاري عربي

تنظم صحيفة الأهرام ندوة بعنوان "مشروع حضاري عربي" خلال الفترة من ١٣ إلى ١٥ ربيع الآخر الجاري. وسيشارك فيها مفكرون ومثقفون وسياسيون من مختلف الأقطار العربية، يمثلون شتى أوجه الحياة من: اقتصادية وسياسية وفكرية واجتماعية وثقافية.

تتركز الندوة حول ثلاثة محاور هي: العلاقات العربية - العربية بأوضاعها الحالية وسبل دعمها في مختلف المجالات، العلاقات العربية - الإقليمية، العلاقات العربية - الدولية ودور العرب في النظام العالمي الجديد.


د. عصمت عبد المجيد

ويتوقع أن يشارك في الجلسة الافتتاحية الأمين العام لجامعة الدول العربية د. عصمت عبدالمجيد، ووزير الإعلام صفوت الشريف، ووزير الخارجية عمرو موسى، ووزير السياحة ممدوح البلتاجي، وعدد من الوزراء المصريين، كما دُعي لحضورها وزراء الخارجية العرب. ومن أبرز المفكرين والمثقفين المدعوين للمشاركة: غسان تويني، الأخضر الإبراهيمي، محمد عابد الجابري، إياد أمين مدني، جاسم المطوع، حبيب الصايغ، تركي الحمد، غانم النجار، إلى جانب أسماء عربية أخرى ومجموعة من الشخصيات المصرية.


محمد عابد الجابري

وهناك اتجاه لطرح فكرة عقد الندوة سنوياً في القاهرة أو أية عاصمة عربية أخرى، وإصدار وثيقة ختامية عن المشروع الحضاري العربي في الفترة المقبلة.

نسخة مصورة لمخطوطات البحر الميت

تمكن مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة من الحصول على نسخة مصورة من وثائق البحر الميت، التي اكتشفتها بعثة آثارية إسرائيلية عام ١٩٤٧م في كهف قمران في الأراضي المحتلة، وظلت السلطات الصهيونية تحيطها بالسرية والكتمان رافضة أن يطلع عليها أحد.

ترجع أهمية هذه الوثائق إلى أنه يمكن من خلال دراستها إعادة كتابة الديانة اليهودية من جديد، حيث يختلف ماورد فيها عما هو مسجل في التوراة الموجودة لدى اليهود حالياً.

وتتكون النسخة التي حصل عليها المركز المصري من جزءين: يضم الأول صوراً ضوئية (فوتوغرافية) للوثائق التي تتكون من ست مجموعات، أما الثاني فيضم معلومات أولية بالصور والوثائق المختارة.

وفاة أبو زيد وزهدي

فقدت الصحافة الفنية والتشكيلية اثنين من أبرز عناصرها بوفاة الناقد الفني الصحافي جلال

أبو زيد (٥٤ عاماً) وشيخ رسامي الكاريكاتير زهدي العدوي (٧٧عاماً).

وُلد جلال أبو زيد في مدينة بور سعيد عام ١٩٤٠م، ومارس العمل الصحفي أثناء دراسته في كلية التجارة حيث شارك في تحرير مجلة "أخبار بور سعيد"، وتعاون مع صحف القاهرة، وعقب نيله بكالوريوس كلية التجارة عام ١٩٦٢م، ترك مصر إلى المملكة العربية السعودية للعمل محاسباً في بنك الرياض، ثم مديراً لمكتب إحدى شركات الأدوية وأحد محلات العطور الكبرى. وخلال فترة عمله هذه تعاون مع معظم صحف السعودية ومجلاتها وأسهم في تأسيس الصفحات الفنية فيها، كما قدم – إلى جانب نشاطه الصحافي – أعماله للإذاعة والتلفاز.

ويعد أبو زيد أحد أوائل النقاد الفنيين في السعودية التي أقام فيها منذ عام ١٩٦٢م حتى وفاته، وكانت له علاقات وثيقة بفنانيها، وتتلمذ على يديه العديد من نقادها الفنيين.

أما زهدي العدوي، واسمه الحقيقي طه إبراهيم العدوي، فقد وُلد في محافظة الشرقية عام ١٩١٧م، وتخرج في كلية الفنون الجميلة عام ١٩٤٢م، وعمل في معظم صحف مصر ومجلاتها، إلى أن استقر في مؤسسة روز اليوسف التي تصدر مجلتي "روز اليوسف" و "صباح الخير". أسس عام ١٩٨٥م جمعية الكاريكاتير المصرية، وظل رئيساً فخرياً لها منذ تأسيسها حتى وفاته.

مجلة جديدة

صدر عن دار دراش للنشر في القاهرة العدد الأول من مجلة "لمسة"، وهي مجلة ثقافية اجتماعية فنية تصدر شهرياً وترأس تحريرها الناقدة الصحافية حُسن شاه.

كتب جديدة

"من الصمت إلى التمرد: دراسات ومحاورات في الأدب العالمي" دراسة أدوارد خراط، صدر ضمن سلسلة «كتابات نقدية» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة في القاهرة.

"احتفاليات المومياء المتوحشة" ديوان جديد للشاعر محمد عفيفي مطر، صدر عن دار سينا في القاهرة.



فهمي هويدي

"القاهرة: تاريخ حاضرة" تأليف أندريه ريمون، ترجمة لطيف فرج، صدر عن دار الفكر للدراسات في القاهرة.

"التدين المنقوص" تأليف الكاتب الإسلامي فهمي هويدي، صدر عن دار الشروق.

"داعي الفلاح في أذكار المساء والصباح" تأليف الإمام جلال الدين السيوطي، حققه وأخرج أحاديثه أحمد عبدالله باجور، وصدر عن الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر.

السودان

معرض للتراث العربي والإسلامي

أقيم في قصر الشباب بأم درمان معرض للتراث جمع بين حقب زمنية مختلفة، تروي أثر خلاوي (كتاتيب) القرآن الكريم في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية واللغة العربية في السودان.

تناول المعرض تاريخ الخلاوي، والثورة المهدية، وضم مخطوطات نادرة يعود تاريخها إلى مئات السنين، إلى جانب بعض الأدوات التي استخدمت في الخلاوي مثل اللوح الخشبي الذي كان الطلاب يكتبون عليه، والمسبحة، والركوة (إناء لحفظ ماء الوضوء)، وصور مختلفة لكبار الشيوخ والمعلمين الذين عملوا في الخلاوي، وعُلقت تحتها الملابس التي كانوا يرتدونها، وأنماط من السيوف والحراب التاريخية، وخاتم السلطان علي دينار (أحد رموز البطولات السودانية) وخاتم السلطان التركي عبدالحميد، وغير ذلك من المعروضات.

الأردن

مهرجان جرش

اختتمت أعمال مهرجان جرش الثالث عشر للثقافة والفنون في نهاية شهر صفر الماضي، وقد تميزت بمحاولة جادة لاستعادة الوجه الثقافي للمهرجان، بعدما طغت عليه الأعمال الفلكلورية والغنائية في السنوات السابقة.

كما شهد مهرجان العام الحالي عودة خليجية للمشاركة على استحياء، حيث شاركت قلة من مثقفي الخليج ومبدعيه في أعماله، بعد مقاطعة استمرت ثلاث سنوات، وفي الوقت نفسه غاب العديد من رموز حركة الحداثة الذين وجهت إليهم دعوات للمشاركة، فلم يحضر أدونيس وأحمد عبدالمعطي حجازي ومحمود درويش وسعدي يوسف.



محمود درويش

استمر المهرجان خمسة عشر يوماً، وتضمن أمسيات شعرية وقصصية ومحاضرات متنوعة، وعروضاً فلكلورية وغنائية، إضافة إلى سوق شعبية ضمت معروضات تراثية متنوعة: نحاسيات وحجاريات وفخاريات، وأزياء ومنسوجات وبُسُط.

تكريم مجلة "الآداب"

أقام الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في عمان ندوة تكريمية لمجلة "الآداب" اللبنانية وإسهامها في إثراء الحركة الثقافية العربية. استمرت الندوة يومين، وتم خلالها عرض ٢٣ بحثاً لأدباء من بلدان مختلفة (مصر وسورية



د. سهيل إدريس



والعـــراق والجزائر والبحــــرين وفلسطين والأردن وتونس وليبيا وإيطاليا ويوغوسلافيا).

تضمن بـرنـامج النـدوة ثـلاثـة محاور هي: "الآداب والإبداع في الحداثة الشعـرية وفي القصة والرواية"، "الآداب والفكـر في النقد وفي المدارس الفكـريـة والثقـافيـة وفي الفكـر القـومي"، و "شهـادات" وأعقب مناقشة هذه المحـاور تعليق لمدير تحرير الآداب سماح إدريس، تأسست الآداب عام ١٩٥٣م، ويرأس تحريرها مؤسسها د. سهيل إدريس.

اتحاد للمتاحف العربية

أوصى المشاركون في المؤتمر الدولي للمتـاحف الـذي نظمـه في عمان المجلس الـدولي لـلآثـار (الإيكـوم) تحت عنـوان "المتـاحف والحضـارة والتنمية" بإنشاء اتحاد لمجالس المتاحف العربية.

ودعا المؤتمرون الـذين يمثلـون ١٨ دولة عـربية المؤسسـات الدوليـة المهتمـة بالمتـاحف التي تمتلك آثاراً عـربية، إلى الإسهـام بالـدعم المادي والمعنوي والفني للدول التـي أُخذت منها تلك الآثـار، التي حققت للمتـاحف الدوليـة فـوائد ماديـة ومعنويـة وثقافية.

جوائز شومان للعلماء العرب الشبان

أعلنت ــ مـؤخـراً ــ أسماء الفـائزين بجـوائز عبـدالحميد شـومـان للعلماء العـرب الشبان لعـام ١٩٩٣م، بعد تنافس دار بين نحو مائة مرشح من مختلف أنحـاء الـوطن العـربي، وحجبت جـائزتـا العلوم الزراعيـة والعلوم الطبية السـريريـة لعدم تميز النتاج المقدم لنيلها.

تقاسم جائزة الفيزياء والجيولوجيا كل من: د. سـامي حسين علي محمود (جـامعـة اليرمـوك ـ الأردن)، د. سلوان كمال جميل عبود العاني (جامعة بغـداد)، د. إبـراهيم عثمان رشيـد أبـو الجرايش (جـامعة اليرمـوك) لتميـز نتـاجهم في مجال فيزيـاء الحالة المكثفة. وحصل على جـائزة العلوم الهندسية د. خالـد عز الـدين عبدالغني (جـامعة القـاهرة) لغزارة نتاجـه العلمي وقيمته العلمية العـالية. وفاز بجائزة العلـوم الحيوية مناصفـة كل من: د. هدى صـالح عماش (جامعـة بغـداد) لأبحاثهـا في مجال التقنيـة الحيويـة وإسهـامها في تبسيط العلـوم، د. إبـراهيم محمـد راغب (جـامعة الإمـارات العـربيـة المتحـدة) لإنتـاجـه المتميز في مجال علـم الأحيـاء الدقيقة، واختراعاتـه ذات التطبيقات الصناعية في العالم العربي. ونـال جائزة العلوم الطبية الأسـاسية د. عبـدالحميـد عبيـد عـوض مصيقـر (جـامعـة الإمــارات) لغـزارة نتـاجـه العلمي وخـدمـاتـه للمجتمع. وتقـاسم جائزة الكيميـاء مناصفـة كل من: د. محمـد سرور السعيـد الشهاوي (جـامعـة الإمـارات) لأعمالـه المتميــزة في مجال الكيميــاء التحليلية، د. محمود يوسف قدرة الطالب (جامعة اليرمــوك) لأعمالـه المتميــزة في مجال الكيميــاء العضوية. وفاز بجائزة العلوم الإنسانية مناصفة كل من: د. محمد علي السليمان فرغل (جامعة اليرموك) لإنتـاجه في حقل اللغـويات، د. عـادل مصطفى أحمد الأسطة (جـامعة النجـاح الوطنيـة ـ فلسطين) لنتاجه المتميز في حقـل الأدب والنقد. وفاز بجائزة العلوم الاجتماعية د. محمود خضر سـلامة الجعفري (الجامعة الإسلامية بغزة) لأصالـة أبحاثه ومعالجتها

محاضرات وندوات

"فنون العمارة الإسلامية وزخارفها" موضوع محاضرة ألقتها في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة عفاف علي بدران.

"التراث والفكـر العربي المعـاصر" عنـوان محاضرة ألقـاها في النـادي العربي ببريطانيا د. نقولا زيادة.

"أمراض القلب المستعصيـة" موضوع نـدوة أقيمت في معهد القلب في القاهرة، أدارها د. ضياء الدين أبو شقة.

"الخليج في عـامي ١٩٩٤ ــ ١٩٩٥م: الماضي والمستقبل" عنـوان محاضرة ألقاها في مقر البرلمان البريطاني د. عمر الحسن، شارك في الحوار جون بولوك.

"المرأة في مصر القديمة" عنوان محاضرة ألقاها في مركز تسجيل الآثار في القاهرة د. عبدالحليم نور الدين.

"انهيار العلمانية والتحدي الإسلامي للغرب" عنوان ندوة أقيمت في مركز أبحـاث الديموقراطيـة بجامعة ويستمنستر، شارك فيهـا أحد عشر عالما ومفكرا وباحثا من أوربا والولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي، من بينهم رئيس المركز جون كين والكاتب الإسلامي فهمي هويدي.

"العمارة والبيئة في المدينة الإسلامية" عنوان محاضرة ألقاها يوسف أبو القاسم.

"الأثر المعماري لمباني مدينة الكويـت القديمة" عنوان محاضرة ألقاها أفانجليا سايموس.

ألقيت المحـاضرتـان السـابقتـان في جمعيـة المهنـدسين الكـويتيين بالكويت.

الرفيعة لموضوعات ذات أهمية لاقتصاد فلسطين. ونال جائزة الرياضيات والحاسوب د. مشهور عبدالله العقلة الرفاعي (جامعة اليرموك) لتميز عمله في حقل الرياضيات (التبولوجية الجبرية).

لبنان

اكتشاف سور بيروت الفينيقية

عُثر خلف ساحة الشهداء بوسط بيروت التجاري على سور مزدوج من الحجر الكبير غير المنحوت يمتد على طول حفرة السير، وجدار منحدر مرصوف بحصى كبيرة ضخمة يصل ارتفاعه إلى أربعة أمتار، خُدِشَتْ قمته بفعل الشوارع الحالية المزفّتة.

يعد هذا الكشف أول آثار لبيروت الفينيقية مابين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، ويدل على أن بيروت الفينيقية كانت تتألف من أكروبول محمي بسور منحدر، ومدينة مرتفعة قائمة عند أسفله، محاطة بالسور المزدوج، ومن شأن هذا الكشف أن يسد ثغرة في تاريخ المدينة تمتد على مدى ستة قرون.

ويعتقد الآثاريون أن إجراء حفريات في العمق تحت طبقة الماء قد يسفر عن اكتشاف مدينة أخرى منخفضة.

أبعاد

أصدر المركز اللبناني للدراسات مجلته الجديدة "أبعاد" وتهتم بالشؤون اللبنانية والعربية، ويشرف عليها بول سالم، ويدير تحريرها فارس أبو صعب.

كتب جديدة

"موسوعة صحة الطفل" (٤ أجزاء)، إعداد د. محمد صادق زلزلة. صدرت عن منشورات دار الجيل.

"أرمينيا والصمود" تأليف د. صالح زهر الدين، صدر عن منشورات كريكور قلايجيان.

"تعاطي المخدرات: المعالجة وإعادة التأهيل" تأليف د. سعيد محمد الحفار، صدر عن دار الفكر المعاصر.

"جهة الضباب" مجموعة شعرية لزهير غانم.

"ليل قلق" مجموعة شعرية لخديجة الصادق.

صدر الكتابان السابقان عن دار الورد.

"تغيب.. فأسرج خيل ظنوني" مجموعة شعرية لسعدية مفرح، صدرت عن دار الجديد.

"وجهي الآخر" رواية لسلوى رحباني، صدرت عن دار الفكر اللبناني.

سورية

جائزة اتحاد الكتاب للعوا وزرزور

تقاسم المفكر د. عادل العوا والروائي فارس زرزور الجائزة التقديرية لاتحاد الكتّاب العرب في دمشق.

والدكتور عادل العوا أستاذ جامعي متقاعد، عُرف بكتاباته الفكرية التي من أبرزها كتبه "علم الكلام" و "المذاهب الفلسفية" و "القيم والأخلاق".

أما الروائي فارس زرزور فقد بدأ رحلته مع الكتابة في مطلع الخمسينيات الميلادية، وقام بوضع نحو عشرين مؤلفاً أبرزها روايته "المذنبون".

كتب جديدة

"امرأة تكسر الظهر" مجموعة قصصية لخطيب بدلة، صدرت عن دار الينابيع.

"نفي العقل" تأليف أديب ديميتري، صدر عن دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع.

"دليل العالم: معلومات عامة.. أرقام،

"مناظير الرحم ودورها في تشخيص وعلاج العقم" عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى الحمادي بالرياض د. محمد الحلبي.

"بريطانيا والإسلام" موضوع ندوة أقامتها في القاهرة الجمعية المصرية لخريجي الجامعات البريطانية شارك فيها عدد من المتخصصين.

"مصر في أدب الرحلات الألمانية" موضوع محاضرة ألقتها في معهد جوته الألماني في القاهرة د. عطية خطاب.

"على ضفاف العالم النسوي" عنوان محاضرة ألقاها في جاليري الكوفة بلندن، هاني الفكيكي.

"دمشق القرن الماضي في عيون معاصرة" موضوع محاضرة ألقتها في مكتبة الأسد بدمشق خيرية قاسمية.

"التوجيه الإسلامي للعمران" عنوان ندوة أقيمت في مسجد د. مصطفى محمود في مصر، تحدث فيها د. عبدالباقي إبراهيم، وأدارها د. كارم غنيم.

"الزراعة وتدعيمها للحضارة المصرية القديمة" موضوع ندوة نظمتها في القاهرة لجنة التثقيف البيئي لجمعية محبي الأشجار في المعادي، وتحدثت خلالها د. نعمات أحمد فؤاد.

"أدب أمريكا اللاتينية" عنوان ندوة نظمها نادي الرياض الأدبي، تحدث خلالها د. حامد أبو أحمد.

"كيف تطلب العلم الشرعي؟" عنوان محاضرة ألقاها في جامع ابن سند بالجنوبية في الطائف الشيخ عبدالله سفر الغامدي.

"أحكام يحتاجها المسافر" عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأمير أحمد بالقمرية في الطائف، الشيخ فهد بن سعد الجهني.



تواريخ، وقائع" إعداد د. عبدالرحمن حميدة، د. ساطع محلي، صدر عن دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

"الملحمة الإغريقية القديمة" تأليف أ. ينهاردت، ترجمة د. هاشم حمادي.

"العرب النصارى" تأليف د. حسين العودات.

صدر الكتابان السابقان عن دار الأهالي.

تونس

جائزة اليونسكو لعائشة الفيلالي

حصلت التونسية عائشة الفيلالي على الجائزة الأولى لمنظمة اليونسكو لأفضل ابتكار في الصناعات التقليدية عن ابتكارها مجموعة أزياء شعبية مستوحاة من التراث الشعبي، وتبلغ قيمة الجائزة خمسة آلاف دولار أمريكي.

الجزائر

كتب جديدة

"لمن تهتف الخناجر؟ مجموعة قصصية للقاص عزالدين جلارجي، تقديم د. عبدالله ركيبي.

"دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة"، تأليف محجوب عرايبي، تقديم د. عبدالله ركيبي.

صدر الكتابان السابقان عن دار الهدى في الجزائر.

"النهار والليل"، مجموعة قصائد شعرية لأنيسة بومدين(حرم الرئيس الجزائري الأسبق)، صدرت بالفرنسية عن دار ميديا ــ بلوس للنشر والطباعة في قسنطينة.

المغرب

مهرجان أصيلة: الثقافة في خدمة التنمية

شارك ١٥٠ مفكراً ومبدعاً من مختلف أنحاء العالم في أعمال مهرجان أصيلة الثقافي السابع عشر، الذي عقد خلال الفترة من ٢٥ صفر إلى ٨ ربيع الأول الماضي ١٤١٥هـ(٢ إلى ١٥ أغسطس ١٩٩٤م).

الطيب صالح

رسائل جامعية

"أسماء الطيور في العهد القديم والأساطير التي دارت حولها" موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في شعبة اللغة العبرية بكلية الآداب في جامعة الإسكندرية، تقدمت بها فايزة عبدالفتاح محمد.

"مظاهر مرض نقص المناعة ـ الأيدز ــ في منطقة الرأس والرقبة" موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس، تقدم بها د. عبدالوهاب محمد.

"المسؤولية الصحفية الناشئة عن ممارسة مهنة الصحافة" موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدم بها مدحت محمد عبدالعال.

"أحكام النماء في الفقه الإسلامي" عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء في الرياض التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها حمد بن إبراهيم الحيدري.

"إنتاج المفاهيم الفلسفية في الفكر العربي المعاصر: المدرسة المغربية نموذجاً" عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الفلسفة بجامعة وهران في الجزائر، تقدم بها حسين الزاوي.

"الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص عند شعراء السبعينيات" موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد فكري الجزار.

"التوسعة العمرانية للحرمين الشريفين: دراسة تطبيقية على الحرم المكي" موضوع رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية في الرياض، تقدم بها خالد سليمان العبيد.

"التاريخ والمؤرخون في مكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم" عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى، تقدم بها محمد يوسف عابد.

"تحضير أجسام سيراميكية من أكسيد الزنك لاستخدامها في حماية الدوائر الكهربية الإلكترونية من خطر الزيادة في الجهد" عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم بجامعة عين شمس، تقدم بها أسامة أمين دسوقي.

"ميكانيكا التربية والأساسات" موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الهندسة بجامعة القاهرة، تقدم بها المهندس محمد نجيب حسني.

"نقد الشعر في الدراسات الأدبية الحديثة في الجزائر" موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية وأدابها بجامعة الجزائر، تقدم بها علي خذري.

شمل المهرجان ـ الذي تنظمه سنوياً جمعية المحيط الثقافية المغربية ـ أربع نشاطات أساسية هي: الدورة العاشرة لجامعة المعتمد بن عباد الصيفية المفتوحة، الدورة الثالثة عشرة للمنتدى الثقافي العربي الإفريقي، مشاغل الفنون التشكيلية ومعارض الفنون، والعروض الموسيقية.

وكرّم المهرجان الأديب السوداني الطيب صالح بمحاضرات وندوة مستقلة عن دوره في نقل الأدب العربي إلى الآفاق العالمية، وإثراء المتخيل العربي.

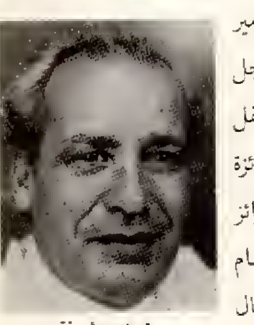
كما أقيمت عدة ندوات، فكانت الندوة الرئيسة في مجال الاقتصاد، وتناولت "الخصخصة بعد اتفاقية الجات"، فيما ناقشت الندوة الفكرية الرئيسة "التأثير الأمريكي في المتخيل العربي: الأسطورة والواقع"، وإلى جانب هاتين الندوتين عقدت ندوات أخرى منها: "المدينة والنحوت"، "البيئة الأخرى: التخطيط المعاصر للمدن والعمارة التراثية".

وتميز المهرجان هذا العام بتوظيفه الفنون بوصفها عاملا مؤثراً ومحفزاً لإصلاح البيئة، حيث أقيمت سبعة معارض تشكيلية، ومعرض للصور الضوئية (الفوتوغرافية)، إلى جانب مشاغل الفنون في مجالات الحفر والخزف والنحت والجداريات والصباغة الزيتية، وشمل التوجه الجديد لبرامج الجامعة الصيفية إقامة حلقات حوار فكرية وأدبية، وتم تقديم كتاب "المثالث والمثاني في روايات الأغاني" للأب أنطوان صالحاني، كما أقيمت أمسيات شعرية وقصصية ومحاضرات، وليال موسيقية شرقية وغربية لفرق من إيران والهند والصين وفيتنام وأفغانستان، إلى جانب مجموعة نيويورك لموسيقى شامبر.

"المناهل" تعاود الصدور

أعادت وزارة الثقافة إصدار مجلة "المناهل" الفصلية، بعد توقف طويل، وتهتم "المناهل" بالأدب والتاريخ العربي وقضاياهما، وتتميز بطابعها الأكاديمي.

جوائز الاستحقاق والكتاب وعبدالله كنون


محمد بن شريفة

ترأس الأمير مولاي رشيد نجل العاهل المغربي حفل توزيع جائزة الاستحقاق وجوائز الكتاب لعام ١٩٩٣م، حيث نال جائزة الاستحقاق كل من: محمد حجي العميد السابق لكلية الآداب في الرباط، ومحمد بن شريفة (أحد الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية من قبل)، ود. محمد القبلي عميد جامعة تطوان السابق، ود. محمد بنونة مدير معهد العالم العربي.

وكانت نتائج جائزة الكتاب التي تمنح لأحسن كتاب على النحو التالي: جائزة الإبداع فاز بها الشاعر عبدالكريم الطبال عن ديوانه "عابر سبيل"، جائزة النقد الأدبي والفني نالتها الناقدة ياسمينة الغلايلي عن كتابها "إشراقات الغرباوي"، وتقاسم جائزة العلوم الاجتماعية كل من حليمة فرحات عن كتابها "المغرب العربي في القرنين ١٢ـ١٣" وعلي سلوجاري عن كتابه "واقع وتطور الإدارة في المغرب". وحظي بجائزة الترجمة من الفرنسية إلى العربية إدريس بلمليح عن ترجمته كتاب "نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس الهجري"، والكتاب في أصله رسالة دكتوراه أعدها الوزير السوري السابق د. أمجد الطرابلسي. وقد حجبت جائزة أحسن كتاب في مجال العلوم الدقيقة والتقنية، وهي ظاهرة تكررت كثيراً خلال السنوات الماضية.

من ناحية أخرى أُعلنت أسماء الفائزين بجائزة عبدالله كنون للدراسات الإسلامية والأدب العربي، فقد فاز بجائزة الدراسات الإسلامية عبدالقادر الإدريسي عن كتابه "عبدالله كنون وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث"، ونال محمد الفلاح العلوي جائزة الأدب العربي عن كتابه "القرويون والفكر السلفي ١٨٧٣ـ١٩١٤م".

صراع الأصالة مع الحداثة


عبد الكريم غلاب

شهد الملتقى الشعري السادس لمدينة فاس، الذي اختتم أعماله مؤخرًا، نقاشًا حادًا بين دعاة التمسك بالأصالة والداعين إلى الحداثة.

فقد هاجم الحداثيون اتخاذ الملتقى صيغة نقاء حول الشعر العمودي في المغرب تكريماً للشاعر محمد الحلوي، معتبرين ذلك ردّة عن الصيغة التي قام الملتقى على أساسها، المعتمدة على ارتباط الشعر بالحاضر الثقافي، وردّ المدافعون عن الأصالة منددين بما يمارسه الحداثيون من إرهاب فكري ضد كل من يخالفهم الرأي أو الرؤية.

كان من أبرز دعاة الأصالة الذين تصدوا للحداثيين في الملتقى الأديب عبدالكريم غلاّب، المعروف بمناداته الدائمة باعتماد الأصالة والثقافة التقليدية، فيما شن الشاعر محمد الأشعري رئيس اتحاد كُتّاب المغرب هجوماً عنيفاً على دعاة الأصالة والعمود الشعري، وصل إلى حد اتهامه إياهم بتخريب الملتقى.

كتب جديدة

"أزمة الحداثة في الشعر العربي المعاصر" تأليف أحمد المعداوي، صدر عن دار الآفاق الجديدة.

"شيء كالظل" مجموعة شعرية لعبدالرفيع جواهري، صدرت عن دار تنمل في مراكش.

"مدخل إلى الأدب العجائبي" تأليف الكاتب البلغاري تزفتان تودوروفا، ترجمه إلى العربية الصديق بوعلام، وقدم له محمد برادة، صدر الكتاب عن دار الكلام.



تركيا

مركز للدراسات القرآنية

تقرر إنشاء مركز متخصص في الدراسات القرآنية للإسهام في تفسير القرآن الكريم، ويُعنى المركز الذي تبنت إنشاءه إدارة الشؤون الدينية باستخدام لغة دقيقة وواضحة في تفسير القرآن الكريم يمكن أن تفهمها طبقات المجتمع المختلفة، وتقديم معالجات دينية لمشكلات المجتمع الاجتماعية والثقافية.

ماليزيا

اكتشاف عملة ذهبية إسلامية

عثر في ولاية كلنتن الماليزية على عملة تاريخية إسلامية من الذهب ضُربت قبل تسعمائة عام، نقش على وجهها الأول عبارة "المتوكل على الله"، وعلى الوجه الآخر "جلوس كلنتن"، وفي أعلاها الأرقام "٥٧٧"، وجميع النقوش باللغة العربية.

ويعتقد المؤرخون أن الرقم المذكور يمثل التاريخ الهجري الذي صُكّت فيه العملة، وأنها ضربت بمناسبة جلوس ملك كلنتن المسلم على عرش البلاد.

الهند

نشرة بالعربية لمجمع الفكر الإسلامي

صدرت - مؤخرًا - باللغة العربية "نشرة مجمع الفكر الإسلامي" عن مجمع الفكر الإسلامي في الهند، ويشرف عليها الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي، من خلال مجلس إدارة يترأسه د. محمد منظور عالم.

اليابان

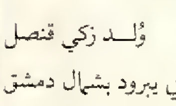
جائزة شعرية لطفلة فلسطينية

منحت الطفلة الفلسطينية نورا عناني (١١ عامًا) المقيمة في لندن جائزة الشعر في المسابقة التي نظمتها الخطوط الجوية اليابانية للأطفال بمناسبة مرور ثلاثة قرون على وفاة الشاعر الياباني ماتسيوباشو.

ويعد باشو رائد شعر الهايكو، وهو نمط شعري تتكون القصيدة فيه من ثلاثة أبيات مقسمة إلى ٢٢ مقطعًا صوتيًا، بواقع خمسة مقاطع لكل من البيت الأول والأخير، وسبعة للبيت الثاني.

الأرجنتين

وفاة زكي قنصل



زكي قنصل

توفي الشاعر المهجري زكي قنصل عن عمر يناهز ٧٨ عامًا إثر أزمة دماغية مفاجئة.

وُلد زكي قنصل في يبرود بشمال دمشق عام ١٩١٦م، وسبقه أخوه إلى الهجرة للأرجنتين، ثم مالبث أن لحق به، ومارس الأعمال الحرة، كما عمل في الصحافة لمدة عشرين عامًا، وفي السفارة السورية في بيونس أيرس. ولم يقطع صلته ببلاده على الرغم من الغربة والهجرة، إذ لم ينس جذوره العربية، وحرص على أن يكون سفيراً لبلاده في الساحة الثقافية والأدبية بالمهجر، حيث نظم لفترة طويلة ندوة الأربعاء في بيونس أيرس، التي قامت بدور كبير في إحياء تقاليد الأدب العربي والمحافظة عليه من الذوبان في غيره.

وللراحل نتاج كثير أغلبه شعري، منه دواوينه: "شظايا"، "نور ونار"، "جوع وعطش"، "سعاد"، "ألوان وألحان"، والمسرحية النثرية" تحت سماء الأندلس" وكتاب "الثورة السورية".

ويعد الشاعر الراحل من كُتاب "الفيصل" الدائمين، حيث نشرت له على امتداد أعدادها السابقة ثلاثاً وعشرين قصيدة بدءا من العدد رقم ١٧ (ذو القعدة ١٣٩٨هـ - أكتوبر ١٩٧٨م)، ولاتزال في جعبتنا مجموعة من القصائد التي خص بها «الفيصل» ولم تنشر من قبل، وسننشر أولاها في العدد المقبل إن شاء الله، ومنها هذان البيتان:

الموتُ جسرٌ للحياة، فلا تَخَفْ — من مات — غاشيةَ الترابِ الداثرِ

جئنا إلى الدنيا بدمعةِ واجفٍ — فلْنَذْهَبَنْ منها ببسمة شاكر!

(راجع عدد "الفيصل" رقم ١٨٥ باب "من تجاربهم" بقلم زكي قنصل).

الولايات المتحدة

جامعة إسلامية في لوس أنجلوس

تفتتح أول جامعة إسلامية في لوس أنجلوس تحت مسمى "جامعة الباسفيك الأمريكية الدولية" في المركز الإسلامي هناك.

تعنى الجامعة بتخريج دعاة يضطلعون بمهمة الدعوة الإسلامية بأسلوب يناسب العقلية الأمريكية، إلى جانب تدريس علوم الاقتصاد والاجتماع. وهي مفتوحة لكل الأعراق والديانات، وتمنح ثلاث درجات علمية: البكالوريوس والماجستيروالدكتوراه.

وسيكون الافتتاح — مبدئيا — بثلاث كليات هي: الدراسات الإسلامية، وادارة الأعمال والحاسب الآلي، والعلوم الإنسانية.

وقد نسقت إدارة الجامعة في مجال المناهج الإسلامية مع جامعة الأزهر وكليات الشريعة في المملكة العربية السعودية والكويت.

عصر مجلات الحاسوب

سوف يشهد العقد الحالي رواجًا لمجلات الحاسب الآلي الموجهة للكبار والصغار على حد سواء. ففي شهر سبتمبر الجاري ١٩٩٤م تطرح

شركة والت ديزني بالتعاون مع شركة زف ـ دبفيس للنشر العـدد الأول من مجلـة «فـاميلي بي. سي» المخصصة لتغطية أنبـاء الحاسب الآلي للمنـازل والأطفـال. وفي أكتوبـر تصـدر شركة سكـولاتيك العـدد الأول من مجلتهـا الفصليـة «فـاميلي كومبيـوتنج»، كما تطرح شركة زف ـ ديفيس للنشر مجلة أخرى شهـرية مـوجهـة للناشئين الـذين لايستخدمون الحاسب الآلي لأداء الأعمال، ويواكب ذلك قيـام مجلتَيْ "تشـايلد مـاجـازين" و «بي سي وورلـد» بطرح ملحق مـوجـه للصغـار تحت اسم «تشيلدرين كومبيوتنج».

وكانت شركـة "أبل" قد قررت إيقـاف المجلة الوحيـدة التي تـروج باللغـة العربيـة لمنتجاتها، في وقت تسعى فيه مـؤسسة سعـودية لإصـدار نسخة عربيـة من مجلة « بي. سي ماجازين»، وتقـوم شركة بايت بتنفيذ مشروع مماثل.

موسوعي اشترك في تأليفـه مجموعة من الأكاديميين والباحثين، صدر عن جامعة ميريلاند.

"تغير البحـر" (عن المعجـزة الاقتصـاديـة الآسيويـة)، تأليف جيمس سي. ابيجلين، صدر عن دار نشر ماكميلان.

"مدينـة فاضلـة عزلاء: أمريكـا اللاتينيـة بعد الحرب الباردة" تأليف جورج كاستانيدا، صدر عن دار نشر الفريد نوفي.

"مناطـق النفوذ: القوى العظمى تقسـم أوربا من ميونيخ إلى بالطا" تأليف ليـويد جاردنر، صدر عن دار نشر إيفان دي في شيكاغو.

"حماقـات أمـريكيـة" (معلومـات إحصـائيـة طريفة عن حياة الأمـريكيين)، تأليف هوف آدمز، صدر عن دار نشر روبلداي.

"حـــروب الفضـــاء" (شرح علمي مبسّر للمخـاطـر التي قـد تصيب الأرض إذا مـاحـدث ارتطام بين المذنبـات)، تأليف روبرتـش لي، صدر عن دار نشر بريتنيك هول.

"تعقب ابن آوى: البحث عن كارلوس الرجل الـذي يلح العالم في طلبـه" تأليف دافيـد يالـوب، صـدر عن دار نشر رانـدوم هـاوس في نيـويـورك.


كارلوس

والمعروف أن كـارلوس قد ألقي القبـض عليه في السودان في الشهـر الماضي، وسُلـــم إلى فـرنســا حيث تُجرى محاكمتـــه بتهمـــة الإرهاب.

إسبانيا

مهرجان للفنون الإسلامية

يقام في قاعة اليرموك في مدريد مهرجان الفنون الإسـلاميـة في الحادي عشر من شهـر ربيع الآخـر الجاري (١٦ سبتمبر ١٩٩٤م).

يستمر المهـرجان عشرة أيـام، ويعرض خـلالها ١٤٥٠ عمـلاً من التراث الإسـلامي، إضـافـة إلى عشر نـدوات تعـالج قضيـة إعادة كتـابـة التراث، ويُنتظر أن يشارك فيها كل من: د. رمضان الغزالي وأحمد حـامـد (مصر)، وليـد الـزغبي وراشـد زين وحازم المليك (سوريـا)، عبدالملك السـميحي ود. محمد القـاهوتي (المغـرب)، د. الوهـادي وعلي بن سليمي (تونس).

وسيتم خـلال المهرجـان تكـريم الشاعـرين: المصري عبدالـرحمن الأبنودي واللبنـاني محمـد علي شمس الـــدين لجهـــودهما في مجال الأدب الشعبي والفنون التراثية.

أين سكن أول إنسان في أوربا؟

اكتشف في المنطقـة الجبليـة المحيطـة بقـريـة اتابويـركا بالقرب من مدينة بـورجس أحفور يُعتقد أنه لأول إنسان سكن القـارة الأوربية، وهو لشاب يعود إلى ماقبل نحو نصف مليون عام.

لم يتمكن العلماء بعـد من اكتشاف سبب وفـاة ذلك الإنسان، إلا أنهم توصلوا إلى أنـه قدم مهاجراً من إفـريقيا، حيث سكنهـا الإنسان قبل مليـونين ونصف المليون عام. كما توصلـوا من خلال دراسة الأحفور إلى أنه كان يعيش في جماعات قليلة العدد، ويتراوح متـوسـط عمـره مـابين ٣٥و٤٠ عـامـاً، واستنتجـوا أن طبيعة المنطقـة التي عثـر عليه فيهـا تـوضح سبب لجوئه إليهـا، حيث تتميـز بتـوافـر مطالب الحياة فيهـا من مأكل ومشرب، لكونها تقع بين نهري ايرو ودويرو.

ويعدّ هذا أقدم أحفور للإنسان تم اكتشافه في قارة أوربا.

اللغـة الإسبـانيـة تحيـل حـرفين إلى التقاعد

ألغت اللغة الإسبانية حرفين من حروفها، بعد أن اتخذ اتحاد مجامع اللغـة الإسبانيـة، الـذي يمثل ٢١ دولة، في مـؤتمره العاشر قرارًا بحـذف حرفي C H ، L i من الأبجديات الإسبانية. لقي هذا القرار معارضة المجمع اللغوي في الإكوادور، فيما امتنعت بنما وأورجواي ونيكاراجـوا عن التصويت للقرار أو ضده.

جائزة أمير أستورياس لفوينتس

فـاز الكـاتب المكسيكي كـارلـوس فـوينتس (٦٦عامـاً) بجائزة أمير أستوريـاس للآداب، التي تمنح لمن يكتبون باللغة الإسبانيـة في إسبانيا وأمريكا اللاتينية.

مُنح فوينتس الجائزة ـ التي رُشح لها ٤٩ كاتباً ـ بعـد منافسـة حـامية مع الشـاعـر الإسباني رفـائيل ألبرتي، وجـاء في حيثيـات قـرار اللجنة تقـديـرهـا لفوينتس وكتاباتـه، لما تمثله مـن دفاع عن حـرية الخيـال والفكـر، إلى جـانب البعــد الإبـداعي والأخلاقي في رواياته وكتبه.

سبق لفوينتس أن نال الجائزة الـوطنية للآداب في المكسيكك عـام ١٩٨٤م، وجائزة سير فـانتيس الأدبية الإسبانية عام ١٩٨٧م وجائزة منديث بلاديو عام ١٩٩٢م.

ويعمل فـوينتس ــ حاليـاً ــ أستـاذاً بجامعـة بـرينتسون الأمـريكية، وقـد عمل دبلـوماسيـاً من قبل، وأسس عـدة مجلات، وهـو كـاتب متعـدد المواهب إذ كتب الروايـة والقصة القصيرة والمسرحية



والقصة السينمائية والتلفازية والمقالة، بدأ حياته الأدبية بنشر مجموعة قصصية بعنوان "الأيام الملثمة" عام ١٩٥٤م. من أبرز أعماله: قصته "المنطقة الأكثر شفافية"، وروايته التلفازية "المرأة المدفونة"، ومسرحيته "أوركيديا في ضوء القمر".

فرنسا

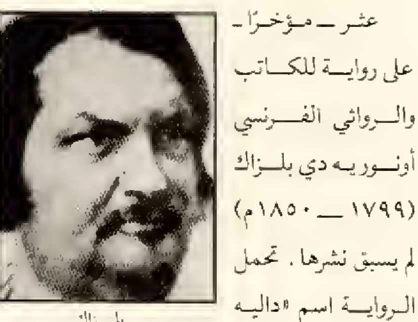
معرض "صور من الشرق"

عرض معهد العالم العربي في باريس نحو مائتي صورة ضوئية (فوتوغرافية) عن الشرق الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين. ضم المعرض مجموعة تمثل مناظر استشراقية، وصورا وجوانب للآثار والهندسة المعمارية الإسلامية، أُخذت من مصر وتركيا وسورية وفلسطين والجزائر ولبنان وتونس.

اختيرت المعروضات من بين مجموعات فرنسية وأوروبية مختلفة، لتقدم لقطات لعصر كامل من عمر الشرق الإسلامي.

رواية لبلزاك لم تنشر

عثر – مؤخرًا – على رواية للكاتب والروائي الفرنسي أونوريه دي بلزاك (١٧٩٩ ـــ ١٨٥٠م) لم يسبق نشرها. تحمل الرواية اسم «داليه مارانا»، كتبت عام ١٨٣٣م، واستلهمت أحداثها من الواقع الإسباني خلال القرن الثالث عشر الميلادي.


بلزاك

أحدث الكتب

"المراجعة" (محاولة لتصور وضع فرنسا المستقبلي)، تأليف فرانسوا كوران، صدر عن دار نشر أورو ليس في باريس.

"الشعلة المزدوجة" رواية الكاتب أوكتافيو باث، صدرت ترجمتها الفرنسية من إعداد كلود إيستيليد، عن دار نشر جاليمار.

"فرنسا الاشتراكية" تأليف برنار منيك جوبير، صدر عن دار نشر أرمان كولان.

بريطانيا

مجلة للسياحة والاقتصاد

صدر ـــ مؤخرًا ـــ العدد الأول من مجلة AIMET التي تعنى بشؤون السياحة والسفر والاقتصاد. تضمن العدد موضوعات سياحية واقتصادية عن المملكة العربية السعودية ومصر وإيران والضفة الغربية في فلسطين.

أحدث الكتب

"الأطفال أولاً" (معالجة لقضية صراع الأجيال)، تأليف بينلوب ليس، صدر عن دار نشر ميشيل جوزيف.

"إفريقيا الحمراء" (عن الحروب الأهلية في إفريقيا)، تأليف كاريل لاندري، صدر عن دار نشر بيكادور.

"خرافة الكاريزما" (دراسة لعناصر الكاريزما السياسية والشواهد التاريخية على فشلها)، تأليف جيفري والترز، صدر عن دار نشر كورونيت.

"الفرنسية أصلها عربي" (تناول معجمي يركز على تأثير اللغة العربية في اللغة الفرنسية) تأليف، د. توفيق عزيز عبدالله، صدر عن منشورات بزاز (دار مواقف عربية).

اليونان

جناح للآثار المصرية في متحف أثينا

افتتح في متحف الآثار في أثينا جناح خاص للآثار المصرية ضم ٣١١ قطعة أثرية.

ويحوي المتحف اليوناني في مخازنه أكثر من سبعة آلاف قطعة أثرية أصلية من الحضارة المصرية القديمة، حصل عليها خلال القرن الميلادي الماضي وبدايات القرن الحالي من اليونانيين الذين كانوا يقيمون في مصر.

ألمانيا

مجلات جديدة

ثلاث مجلات جديدة ينتظر أن تظهر قريباً في الأسواق الألمانية، اثنتان منها موجهتان إلى المرأة، والثالثة إلى النخبة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المشاركة في صنع القرارات.

أولى هذه المجلات ـــ وعنوانها "الاستعداد للحياة، تعتزم دار توزمو بوليتان للنشر الألمانية - السويسرية إصدارها في ميونيخ، مع مطلع الخريف المقبل، وهي موجهة إلى المرأة والشابات في ألمانيا وسويسرا والنمسا، وستصدر دار ميلش شتراست للنشر في هامبورج مجلة نسائية بعنوان "أميكا" في مطلع العام الميلادي المقبل ١٩٩٥م، فيما تصدر المجلة الثالثة وعنوانها "النخبة" شهرياً في مدينتي برلين وسايروكن عن دار نشر جديدة أسسها الصحافي والإذاعي كلاوس كيل، بمشاركة بعض الصحافيين الشباب.

إيطاليا

صحيفة يومية للمكفوفين

أصدرت إيطاليا أول صحيفة يومية لفاقدي البصر تطبع بطريقة "برايل" وتباع بالسعر نفسه المقرر للصحف اليومية العادية. يرأس تحرير الصحيفة الجديدة صاحب فكرتها ماريو مانتيللي.

تنويه

نشرنا في العدد الماضي مقالاً بعنوان "التربية الإبداعية: دلالاتها.. نظرات في إشكاليات الفهم والتطبيق في المدرسة الابتدائية"، وقد سقط سهوا اسم كاتبه علي خطيب. نعتذر للكاتب الفاضل والإخوة القراء عن هذا الخطأ غير المقصود.



لا إله إلا الله محمد رسول الله
بمناسبة ذكرى اليوم الوطني
للمملكة العربيّة السعودية
تقدم
أسمى آيات التهاني وأجمل الأماني الى
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
والى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
والى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
والى حكومة المملكة العربية السعودية
والى الشعب السعودي الكريم

المفارقة العجيبة !

إبراهيم نويري

إن الاحتكام إلى معايير ومقاييس محدَّدة ـ وإنْ كان لها صلة واضحة بواقعٍ ماثلٍ، ونماذج قائمة ـ قد لايكفي وحده في الاهتداء إلى إدراك الحقيقة كاملة، وتكوين صورة شاملة عن جوانبها وأبعادها المختلفة؛ لاسيما إذا كان هذا الاحتكام بحدِّ ذاته يرتبط بمفارقات عجيبة، تزيد الأمر إغراقًا في الحيرة والاضطراب!

وكمثال على ذلك: هل يمكن للناس أن يصدِّقوا رجلاً يدَّعي الغِنى والرفاهية، بينما هم لايجدون أيَّ أثر لهذا الادعاء في واقعه وحاله القائم ؟!! إن الناس أنفسهم لن يكونوا أناساً ـ حينئذ ـ إنْ هم صدّقوه وقبلوا زيفه وادِّعاءه.

إن الإسلام بوصفه حقيقةً خالدة، إلى جانب واقع العالم الإسلامي، يصوِّر ـ للأسف البالغ ـ هذه المفارقة الصارخة!

إن مايبعث على تكرار الأسف حقيقةً؛ كون المفارقة لاتزيد البشرية إلا حيرة وبُعدًا من التمييز بين الحق والباطل، أو بين الهُدى والضلال!

لقد صدق أحدُ الحكماء المعاصرين حين قال، وهو يشير إلى هذا الموضوع: «الدنيا اليوم: رجُلان، رجلٌ نام في النور، ورجلٌ استيقظ في الظلام».

نحن على يقين أننا نملك، بعقيدتنا الإسلامية، أسرار هذا الكون؛ وأن التصور الإسلامي يحتوي في أعماقه أصول الإنسانية وجوهر الحضارة؛ كما أننا على يقين أيضًا أنه ليس كالإسلام دافعاً وباعثًا على الخَلْق والإبداع والإسهام في بناء مسارات الحياة والحضارة وتطويرها وترشيدها. بيد أنَّ الناظر إلى حال العالم الإسلامي وواقعه يُصاب بالاندهاش والذهول، ولعل مايزيد هذا الشأن تأكيداً أنه لم يعد ــ من جهة إثبات تخلفه ـ يقتصر فقط على الملاحظين أو الدارسين المتخصصين في شؤون مناهج التنمية وأساليب التطور الاجتماعي، وإنما تحوّل إلى إحساس مشترك بين الجميع!!

إن العالم الإسلامي اليوم يقترب تدريجيًا، ليقف وجهًا لوجه مع هذه الحقيقة (الصَّدمة).. الأمر الذي يحتم على المخلصين والواعين الحقيقيين من أبناء هذه الأمة التفكير الجاد في رسم خطط ووضع برامج طموحة، ترمي إلى تحقيق الانعتاق الشامل، وإخراج العالم الإسلامي من دائرة التخلف والتبعية والإلحاق الحضاري.. وهو أمل يحدو كل مخلص من العرب والمسلمين في المشارق والمغارب، كما أن هذا الجهد هو أيضا ـ ومن جهة أخرى ـ ضريبةٌ ينبغي دفعُها في سبيل الحدِّ من الآثار السلبية لتلك المفارقة العجيبة؛ التي تضع وجهَيْ الصورة بشكل مؤسف يبعث على الأسى واللَّوعة. حيث إن الوجه الأول من الصورة يُوحي بأن «التخلف» هو في خانة العرب والمسلمين، بينما يوحي الوجه الثاني بأن «التقدم» هو في خانة أغلبية شعوب المعمورة.. وكأن المشهد بهذا التحديد: «المسلمون يرتِّلون القرآن (فقط)، وغيرُ المسلمين يعملون بمقتضى تلك التلاوة (فقط)!!».

إن هذه الضريبة من الجهد والبذل ينبغي أن تُحشد لها جميع طاقات الأمة وإمكاناتها وقدراتها حتى لايُتَّهم الإسلام ذاته ـ في أصوله ومنابعه ــ بأنه المسؤول عن تخلف المسلمين، وذهولهم المستمر عن الإسهام في بناء صروح الإنسانية، كما يجب كذلك أن يرتبط هذا الأمر ارتباطًا ضمنيًا بباعث العقيدة الإسلامية، حتى تَتَحقَّق له الفعاليَّةُ، وقُوَّةُ الدفع المطلوبة.

لقد سبق للمفكر السعودي الدكتور محمود محمد سفر الإجابة عن هذه المفارقة في كتابه القيم «ثقب في جدار التخلف، ص: ٩٥» في معرض حديثه عن بعض المأجورين ممّن يرمون الإسلام ذاته بالعجز، حيث قال: «.. الأمر في تصوري هو أن المسلم قد منح عقله إجازة مفتوحة لم تنته بعد، وفي غياب العقل تمرح العاطفة.. وترتبك الأولويات.. ويغيب المنطق.. لأن العاطفة والهوى يدعوان صاحبهما إلى اللّهو والعبث.. ولايشجعانه على الجهد والعرق، بل يطلبان له الراحة والمتعة».

وحتى يتحقق النجاح لهذا المسعى (تجديد انطلاقة المسلمين)، يجب جعل هذه الرغبة، وهذا الإحساس مشتركًا عامًا بين القيادات الفكرية والسياسية والعلمية، ومن ثمَّ الارتفاع بهذا الأمر إلى مستوى التحدِّي الحقيقي المرتبط بمصير هذه الأمة ووجودها ذاته؛ ونحن حين نعمل على إشاعة مثل هذه الأفكار الجليلة وترسيخها في أذهان واهتمامات أبناء أُمتنا، فليس معنى ذلك أننا نُهمل أو نغضّ الطرف نهائيًا عن المجهودات التي بُذلت في هذا الطريق، ولكننا نستفزُّ الهمم باتجاه شحذ الطاقة ودعم السير، عسى أن نصل يومًا إلى مُبتغانا، فنعود إلى الرِّيادة من جديد، وبعث أمجادنا وسؤددنا، فَنَسْعَد ونُسعِد غيرنا من بني الإنسانية بإذن الله.